

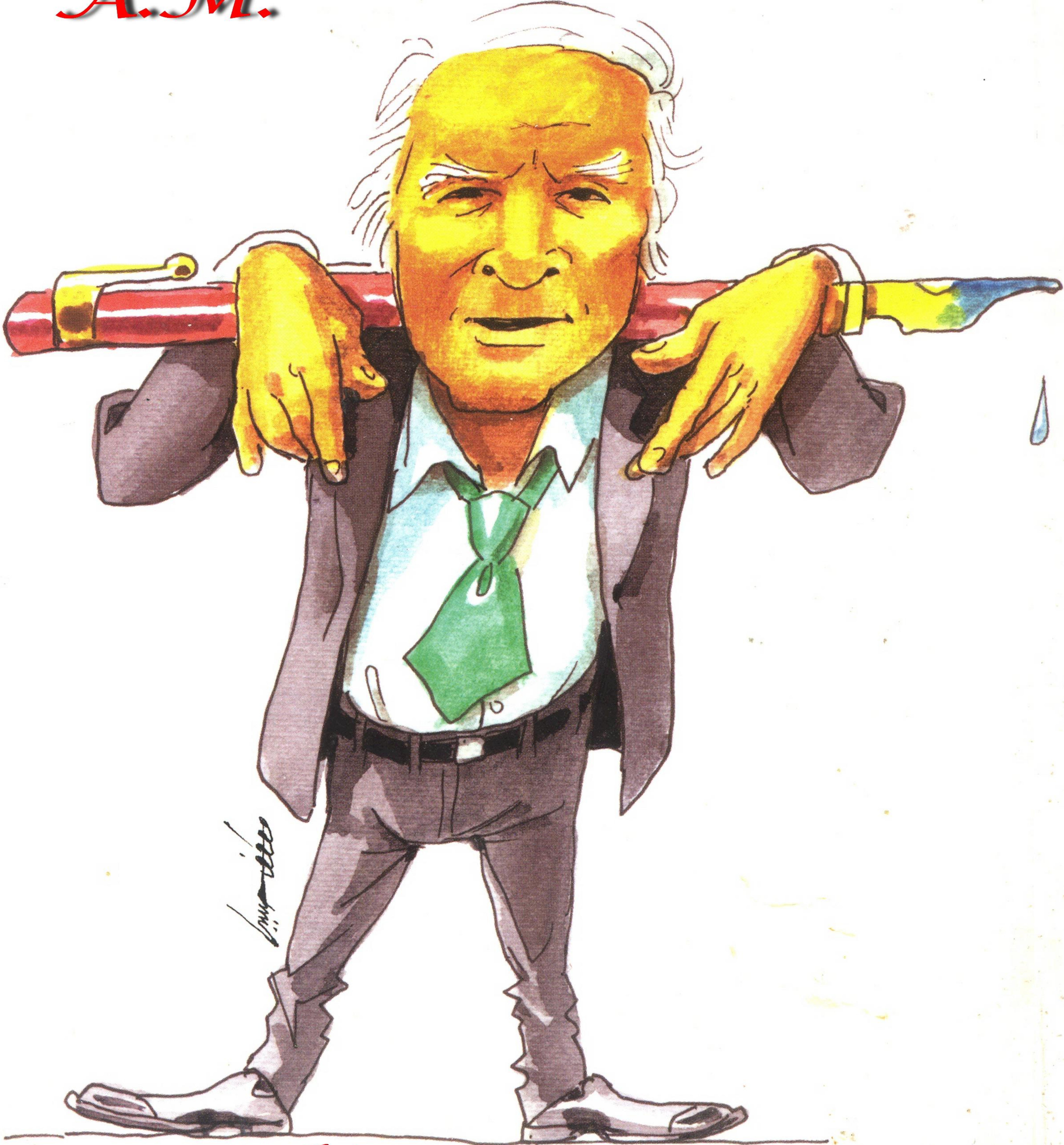
477

أحمد رجب

الطبعة
الثالثة

يخرب بيت الحب

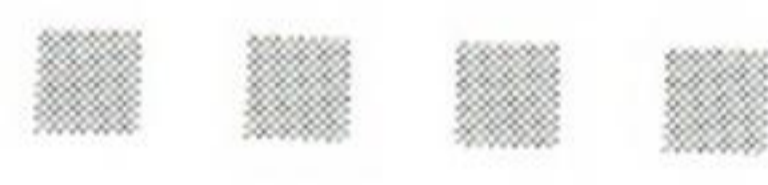
A.M.



الدار المصرية اللبنانية
واحة الكتب



من أمراض الحب بعد الزواج أن كلاً من الطرفين لا يُدرك السمات الخارجية الخاصة بالنوبات النفسية عند الطرف الآخر، كاستعداده للحديث، أو رغبته في الانفراد بنفسه أو جنوحه إلى الانطلاق والمرح، وإذا أضفنا إلى هذا كله جفاف الحياة الزوجية من الكلمة الحلوة واللمسة الحانية، فإننا نجد الرجل في النهاية يمارس حقوقه الزوجية وهو أقرب إلى شخص مغتصب منه إلى زوج محب، فلا تملك الزوجة إلا أن تردد في سرها دعاءً واحداً: «روح ربنا يهد حيلك»!



الكاتب الكبير أحمد رجب له مكانة وثقل كبيران لدى القراء، صنعهما عبر تاريخه مع الكلمة الساخرة؛ ليصبح اسمه أشبه بعلامة تجارية في الكتابة الساخرة، سواء عند القارئ المثقف، أو عند القارئ المبتدئ، الذي تتحول القراءة عنده - لمثل هذا الكتاب - إلى فرصة للضحك المغلف بفوائد عدة، في مُقدمتها الثقيف، والاستفادة من خبرات وتراكمات حياتية، في اتجاه يشغل بال أي شاب أو فتاة، هو تلك العلاقة المثيرة بين الرجل والمرأة، والمُحرِّك الأساسي لكل ما يتعلق بهما: الحب، والزواج.

Friday

3/2/2017



أحمد رجب

يخرب بيت الحب

في القصر
في القصر
في القصر

الدار المصرية اللبنانية

الى حبيبتي التي اعطتني
الذي الحب يغمر حـسـبـي ولم
تنتهر مني حبا بقدر ما اعطت
الى امي

الابن

DR. AHMED MADY
UROLOGY



مقدمة

(صحيفة سوابق الحب)

الحب جميل، وشرير خطر عندما يتنمر، الحب نعيم، وهو الجحيم إذا غضب.

الحب أحلام نحيا في رؤاها والويل عندما تصبح الرؤى أشباحًا تطاردك في الصحو والمنام.

الحب صديق يبدو مخلصًا غير أنه لا يعرف الوفاء ولا حسن الخلق.

الحب وادع وطيب يحنو ويسعد ولا تعرف متى ينقلب إلى وحشٍ يفترس.

الحب هادئ؟ مجنون؟ أحمق؟ ملاك؟ شيطان؟

الحب هو هذا كله، وهذا الكتاب قد يكون علاجًا لمرض لا علاج له.



الغيرة

ليس صحيحًا أن انجذاب المرأة إلى الرجل أو ارتباطها به يرجع إلى الاعتبارات العاطفية وحدها، فالاقتصاد كما في السياسة يلعب دورًا رئيسيًا في الحب واختيار الزوج لأن المرأة تقودها عواطفها وحساباتها الدقيقة بعكس الرجل الذي ينقاد خلف نوازعه الحسية، ولا تقل إننا في عصر مادي، فكل العصور كذلك، فمنذ مئات السنين أبرزت ستي دور الاقتصاد في الحب فقالت في أمثالها: «افتح جيبك ينستر عيبك»، وهي التي تحسّرت بعد زواجها حسرة اقتصادية عبرت عنها بقولها: «عازبة عدس متجوزة عدس»، وهي التي سخرت من العجز الاقتصادي لجارتها فقالت: «الست والجارية على صحن بسارية».

والغيرة عند الرجل مبعثها الحب أو الرغبة في الاستئثار بأثناه، بينما الغيرة عند المرأة يغلب عليها الدافع الاقتصادي، فالمرأة عديمة الثقة بالرجل وإن تظاهرت بغير ذلك لأنها تعرف من تجربتها معه أن أي امرأة أخرى يمكن أن تضحك عليه مثلما ضحكت هي عليه من قبل، فهي تشعر بالخطر أو التهديد الاقتصادي إذا نافستها امرأة في حب رجلها، إن المرأة بنّاءة بفطرتها، وهي تبني العش وتربي الأولاد، وهي صاحبة الفضل في اختراع علم الاقتصاد، فالاقتصاد في اللغة اليونانية معناه فن إدارة البيت، والرجل يعجز عن إدارة البيت ولو كان يحمل عشرين دكتوراه في الاقتصاد، وعندما تشتعل المرأة غيرة من امرأة أخرى فهو إحساس بالتحفز للدفاع الاقتصادي عن كيان البيت، وهذا يفسر تصرفات المرأة ابتداءً من تفتيش جيوبه ليلاً إلى تعقب الخط البياني لدخل الزوج إلى محاولات الخنصرة عملاً بنظرية «قصصبي طيرك» أو بالمثل القائل: «شعرة من جلد الخنزير مكسب» (معروف طبعا من هو الخنزير).

وللايقاع بالرجل لجأت المرأة إلى أسلحة معاونة للأنثوة كسلاح الحرب
الكيمياوية التي استخدمت فيها المساحيق والعطور، فسقط رجال وتم أسر
الملايين منهم في المعتقلات الزوجية، والمرأة تعرف أن حرب الإيقاع بالرجل
سلاح ذو حدين، وأن امرأة أخرى قد تستعمل وسائل أشد تأثيرًا وفتكًا، ولذلك
لا تثق المرأة في الرجل بمليم، وقد أوضحت ستي ذلك فوصفت «ريالة» الرجل
أمام المرأة بكلمتها المأثورة في الأمثال: «العايز أهبل».



وفسد الحب!

سوء التغذية من أمراض الحب بعد الزواج، فالحب يتغذى على الكلمة الحلوة واللفتة الطيبة واللمسة الدافئة، لكن للأسف يظل كل من الرجل والمرأة يتضرع إلى الله أن يساعده في إيجاد شريك الحياة عن طريق الحب، فإذا وجد الشريك تضرّع إلى الله أن يساعده أكثر.

فالحياة الزوجية عندنا عمومًا تفتقد التغذية العاطفية، والطرفان يتحمّلان مسئولية تجويع الحب وموته، وإذا كان الرجل مثلاً لا يُكلّف نفسه بأن يهمس إليها من وقتٍ لآخر بكلمة أحبك، فمن الإنصاف أن يُقال إن الزوجة لا تشجع زوجها على ذلك في أغلب الأحوال، فهي قد تركت نفسها لتراكم اللحم والشحم، ومن العسير أن يقول لها: «بحبك يا دبدوبة»، أو كما قال الشاعر معبرًا عن ضخامة جسم حبيبته من تراكم اللحم والشحم: «يدور عليك عند الصبح قلبي فيفرغ منك في وقت الغروب»!

ويُقال إن زوجًا حاول - رغم الانفجار اللحمي لزوجته - أن يكون رومانسيًا، فكان يهديها وردة من وقت لآخر، واكتشف أنها كانت تأكل حتى الوردية. ولعل من عوامل سوء التغذية للحب دخول التلفزيون طرفًا مؤثرًا في الأسرة فقضى تمامًا على الحديث والحوار والتواصل بين أفراد الأسرة جميعًا لا بين الزوجة والزوج فقط، ولا يجب أن ننسى أن الأزواج رحبوا بدخول التلفزيون في حياة الأسرة لأنه يلائم تمامًا حالة الخرّس المنزلي التي يُصاب بها الزوج بعد الزواج.

ومن أمراض الحب بعد الزواج أن كلًّا من الطرفين لا يُدرك المظاهر أو السمات الخارجية الخاصة بالنوبات النفسية عند الطرف الآخر كاستعداده

للحديث، أو رغبته في الانفراد بنفسه أو جنوحه إلى الانطلاق والمرح، وعدم إدراك هذه السمات يجعل كلاً من الزوجين جهاز إرسال واستقبال سيئاً بالنسبة للآخر، وإذا أضفنا إلى هذا كله جفاف الحياة الزوجية من الكلمة الحلوة واللمسة الحانية فإننا نجد الرجل في النهاية يمارس حقوقه الزوجية وهو أقرب إلى شخص مغتصب منه إلى زوج محب، فلا تملك الزوجة إلا أن تردد في سرها دعاءً واحداً: «روح ربنا يهد حيلك».



.. والخجل

المرأة تُعجب بالرجل الجريء الذي يقتحم حياتها برومانسية لا بالقوة طبعًا، فالرجل الخجول يتعب المرأة لأنه يضطرها إلى المبادرة وهو أمر يشق عليها، فهو الذي يجب أن يُبادر بالسلام وبالكلام فالموعد فاللقاء، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي، ولم نسمع مثلاً عن واحدة بادرت بالقبلة الأولى فقاوم هو مقاومة شديدة وغضب بسلامته، فالطريق إليها هو نفس طريق القبلة، في المرة الأولى هي تُفاجأ بها وتعرض، وفي المرة الثانية تغضب، وفي المرة الثالثة تسكت، وفي المرة الرابعة تنتظرها.

إن العاشق الخجول قد ينتهي به الأمر إلى أن يقنع بالحب من طرفٍ واحدٍ، وهو أردأ أنواع الحب؛ فالهمسة تحتاج إلى اثنين، والنظرة تحتاج إلى اثنين، والقبلة تحتاج إلى اثنين، والهمسة والنظرة والقبلة هي أبرز سمات الحب التي ترمز إلى المشاركة، والحب من طرف واحد ضد طبيعة الأشياء، بدليل أنه لا يوجد زواج من طرف واحد، بل لا بد من طرفين لأن الخناق يحتاج إلى اثنين!

ولا تصدق الأغاني التي تقول إن: الحب من غير أمل أسمى معاني الغرام، الصحيح أن الحب من غير أمل هو أسوأ معاني الغرام؛ فالحب من طرف واحد - بكل ما فيه من حرمان - قد يصلح للسينما والأغاني ولكنه لا يصلح لحياة إنسان أو كبرياء رجل، وقد يكون خوف الرجل من المرأة هو عين العقل عند أهل الحكمة، ولكنني لا أعرف ما الذي يمنع شابًا من التودد إلى فتاة يحبها ويود الاقتران بها، فهي بالقطع لا تضرب ولا تعض (إلا بعد الزواج)، وأعرف شابًا ظل يكبت عواطفه تجاه فتاة هام بها حُبًا، وبعد زمن طال استبدَّ به الغرام، وقرر أن يُغامر فأمسك بسماعة التليفون وكانت أول كلمة قالها: «تتجوزيني؟»، فقالت الفتاة: «أيوه.. مين بيتكلم؟».

سي السيد

المرأة تحب الرجل القوي، فالأنثى الجميلة - وهي غير الأنثى الزعيمة - تبحث عن أفضل الوسائل التي تُبقي الرجل إلى جانبها، ومن هذه الوسائل أن تُشعره بالتفوق والقوة، والمرأة والرجل يدخلان - من أول يوم - معركة غير منظورة، يسعى كل منهما خلالها لإثبات قوته، وهي معركة تتمنى المرأة من أعماقها أن تنهزم فيها، فهي في النهاية تريد رجلاً قوياً تحتمي به، وهي في النهاية تعرف أنها سوف تملك الرجل وما يملك الرجل، وقيل في ذلك إن النساء في كل بلد يسيطرن على تسعين في المائة من ثروة البلاد، أما العشرة في المائة الباقية فيسيطر عليها العزاب.

لكن لا أنت ولا غيرك تستطيع أن تملك امرأة إلا بالحب، فالمرأة تمنح حبها لمن تشاء، وهي تمنح الرجل مع هذا كل ملحقات الحب: احترامها لك وكلمتك المسموعة وسلطانك عليها، فأنت لا تستطيع أن تكون سي السيد إلا برضاها، والإهانة والوقاحة واستعمال القوة معها لن تدخلك أبداً في عداد الأقوياء، بل الأرجح أنها ستدخلك في إحصائية الوفيات بالسم.

والرجولة الحقيقية فروسية وأخلاق، ويعيب المرأة أنها ليست رجلاً لأنها تفتقر إلى فروسية الرجل، وليس من الفروسية أن تُرغم امرأة على أن تعيش معك بغير رضاها. إن المرأة تحتمل إذا كان سبب المتاعب حباً قوياً مشتركاً، وهي تتغاضى عمّا يجرح كبرياءها لأن الحب يغفر كثيراً، والكرامة والكبرياء - في ذروة الحب - تكونان في حالة غيبوبة عند العشاق، ولكن احترس من انحسار الحب، فالويل للرجل عندما تفيق المرأة من خدر الهوى على كبرياء جريحة ومشاعر تمزقت.

الحرب

الحب كالحرب: إستراتيجية وتكتيك ومناورات وخطط هجوم ودفاع.

والحب كالحرب: مسرح نشاطه الظلام في اللقاءات والهمسات والتليفونات، وفي الحب يفعل الرجل ما يفعله المحاربون، فيتقدم إلى مواقع العدو تحت ستارٍ من الدخان، وعود وعهود وكلام.

والحب كالحرب: زحف لاحتلال المواقع الإستراتيجية كالقلب والعقل والأعصاب والمحفظة.

وفي الحب كما في الحرب: ويل للمغلوب، وأنت مغلوبٌ إذا اخترت أصعب أنواع النساء: فتاة مصابة بأحلام الزعامة النسائية ضد الرجل وظلم الرجل وجبروت الرجل، وتقول الدراسة النفسية الحديثة إن الزعيمة النسائية هي غالبا امرأة ترفض أنوثتها في عقلها الباطن وتحسد الرجل لأنه ولد رجلاً، وإنها تعتبر دورها في الحياة مجلبًا للمهانة، ولذلك تسعى إلى الزواج من رجل طيّح يحقق لها الشعور بالسيطرة والتفوق، انتهى كلام علماء النفس فنشاطركم الهوان.

وأعرف زعيمات رفضن لبس الدبلة باعتبارها في الأصل قيّدًا رجاليًا، والزعيمة هنا تغالط، صحيح أن الدبلة بدأت في القديم أسورة معدنية حول معصم المرأة أو ساقها للإعلان عن تبعيتها لرجل معين، لكن الدبلة أصبحت فيما بعد قيّدًا متبادلاً يوضع حول الإصبع الرابعة، حيث اعتقدوا قديمًا أن هذه الإصبع بها شريان متصل بالقلب مباشرة، ولو ظهرت الزعيمات النسائيات في تلك الفترة المبكرة من التاريخ لوضعن الدبلة حول عنق الرجل وأوصلنها بسلسلة كلاب، أما أصل كلمة الدبلة، فيقال في اللغة العربية: دبّل الشيء، أي

أصلحه، وربما قصدوا أن الإنسان يُصلح مسار حياته بلبس الدبلة والاستقرار على شريكة الحياة، لكن الغريب حقًا ما جاء في قاموس مختار الصّحاح بالنص والحرف: «يُقَال رجل دبّله الدبلة أي أصابته داهية عظيمة»!

وليس صحيحًا أن الدبلة تنتقل من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى بعد الزواج لتكون ناحية القلب، الصحيح أن نقل الدبلة بعد الزواج ينطوي على حكمة عظيمة، ذلك أن اليد اليمنى هي التي يستخدمها الإنسان استخدَامًا رئيسيًا، والتشابك بالأيدي بعد الزواج فيه خطر كبير على وجه الاثنين، خصوصًا إذا كانت الدبلة من الألمان، ولهذا وضعوها في اليد اليسرى.



... الأخریات؟

المرأة لديها شعور دائم بعدم الأمان، وهي لا تثق في الرجل أبدًا مهما أبدى لها من إخلاص، إن المرأة - منذ صباها المبكر - تتعرض لعملية غسيل مخ من الجدة ومن الأم حيث تتلقى النصائح التي تصور الرجل كمخلوق ينبغي الاحتراز منه وعدم الثقة فيه. الشيء الغريب أن ما تنهى الأم ابنتها عن فعله يمثل أجمل ذكريات الأم أيام الشباب!

والأمن النفسي مهدد دائمًا عند المرأة، ليس فقط لانعدام الثقة بالرجل ولكن لأن هناك دائمًا في هواجسها امرأة مجهولة سوف تستولي على رجلها، حتى وهي في عز الأمان مع رجلها تشعر بعدم الأمان، تخشى أن يفك ذراعيه من حولها ويذهب إلى الأخرى، وتخشى الساعات التي يغيب فيها عنها وإذا عاد سعيدًا إلى البيت انقبض صدرها فربما كان يقضي وقتًا طيبًا مع المرأة المجهولة، وإذا عاد مكتئبًا فاللقاء مع غريماتها المجهولة لم يكن ناجحًا.

والمرأة ليست في حربٍ دائمةٍ مع الرجل بقدر ما هي في حربٍ ضروسٍ - على رأي فقهاء اللغة - مع الأخریات، فهي تتزين لتجتذب الرجل منهن وتُزوّر في سنّها وتضيف إلى سن الأخریات حتى توهمه بأنها الأصغر والأجمل والأرق والأكثر شبابًا، والبيضاء تكيد للسمراء زهواً ببياضها، والسمراء ترد عليها بالمثل الشعبي: «الفلفل بالوقة والجير بالقنطار»، والبيضاء تستعمل نفس الأمثال فتد: «خُنْفَسَة وَعَامَلَة سِتِ النِّسَاء».

ومشكلة المرأة الأولى أنه ليس هناك ميثاق شرف بين النساء بعدم خطف الرجال من بعضهن، لكن هناك لعنات نسائية فوق رأس الرجل إذا تزوج من

أخرى، مع أن الرجل مظلوم لأنه وُلِدَ بلا مقاومة ولا مناعة أمام إغراء الأنوثة والجمال، وأمام مخلوقات فاتنة تعامل بعضها بعضًا بقانون خطف الرجال حتى بين الأخوات، فهناك مثل يقول: «إن كان بختك في حجر أختك خديه واجري».

يا دي النيلة!



أبو لمة

الوسائل ممكنة غالبًا لكي تحتفظ المرأة بالزوج إلى جوارها في البيت. إن كل رجل - مثلاً - يحتاج إلى الشعور بالتفوق تجاه المرأة، وهذا يتحقق بأن تمتدح الزوجة أفكاره وتنبهر من وقتٍ لآخر بأنه لَمَّاح وذكي مهما بدت عليه مخايل الرغبة في أكل البرسيم..

والرغبة في إبهار المرأة تدفع الرجل إلى اختلاق حكايات من ماضيه أو من محيط العمل يقوم بدور البطل فيها، ماذا تخسرين لو تركتِه يقوم بدور أبو زيد الهلالي أو رودلف فالتينو؟ فلا تحاولي أن تحرميه من دور البطل وتردّيه إلى حجمه الحقيقي: كومبارس!

وإذا كانت الغواني يَغْرِهنَّ الثناء، فالرجال يتعشقون المديح، ملايين الدنانير أعطاهم الخلفاء والولاة ثمنًا لقصائد مدحتهم بما ليس فيهم، لقد ثبت أن الرجل مهما كان عظيمًا لا يستطيع أن يستغني بسهولة عن شخص - مهما كان هلفوتًا - دأب على امتداحه ليل نهار، وهذا هو السبب في العاهة المستديمة التي نعاني منها: النفاق الإداري.

«كنت فين لحد دلوقت؟» سؤال غبي جدًا فما من زوج سيرد قائلًا: كنت مع امرأة أخرى. الأفضل أن تقولي له: «قلقتني عليك»، هنا يشرح لكِ بطريقةٍ ودّيةٍ وبعيدًا عن التوتر سبب تأخيرته، والسؤال الأكثر غباءً تقوله الزوجة وهي تراه يغسل وجهه: «بتتشيك ورايح على فين؟»، فاحترسي من الأسئلة الغبية التي لن تجني من ورائها إلا الرد المتوتر وربما الوقح.

إن الرجل ينفر جدًا من إصرار الزوجة على كشف أكاذيبه، فكل الأزواج يكذبون لأن الكذب سلاح الضعفاء، وإذا أردتِ ألا يكذب زوجك فلا توجهي إليه أي سؤال؛ فالرجل لا يكذب إلا عند الرد على أسئلة زوجته!

وللحب أعراض

كيف تعرفين أنه يحبك بصدق؟

هذا السؤال يحير النساء كثيرًا، فالرجل عند المرأة مشبوه وتاريخه معها شكوك وعدم ثقة وحرب متصلة منذ حادث التفاحة، والغرام هو فترة الهدنة الوحيدة في تلك الحرب المتصلة، وبعد الغرام يستأنف الطرفان الحرب في الزواج..

والمرأة معذورة لأن الرجل مهما بلغت درجة سفالته يستطيع أن يُزيّف سلوكه معها فتصبح له تصرفات اللورد وأخلاق الفرسان، بل إن معظم الذين تتعلق بهم النساء هم الذين يتقنون المظاهر الاحتياالية.. ولا شك أنها لحظة قاسية عندما تكتشف المرأة أنه ضحك عليها، وأن اللورد الذي أحبته «طلع ندل».

لكن هناك مقياسًا لا يخطيء تستطيع المرأة أن تقيس به صدق الحب عنده، هذا المقياس هو حنان الرجل.. والحنان غير الحب، فالحب الحقيقي يُفجّر عند الرجل ينبوعًا دافئًا من الحنان يتمثل في تصرفات عفوية لا يخطئها إحساس المرأة. إن العاشق يستطيع أن يقدم القبلة والضمة وهمسة الغزل، لكن الحنان شيء آخر، الحنان هو أن تحسي أن الأب بداخله أو الأخ الكبير هو الذي يقدم حبه ورعايته وحده وخوفه عليك، وهي تصرفات عفوية غير قابلة للافتعال ولا تصدر إلا عن حب صادق وحقيقي، فالحنان هو العملة الحقيقية للحب الكبير، والحنان لا يقبل إلا تفسيرًا واحدًا وهو أنك تعين عنده الكثير.

أما إهداء سوليتير ثمين مثلًا فهو يحتمل تفسيرات عديدة، منها أنه يُحبك، ومنها أنه يحاول منافسة غريمه صاحب الزلمكة، ومنها أنه يحاول إغراءك لينالك، وهناك مؤشر آخر لهذا السوليتير، وهو أنه سوف يقف قريبًا أمام النيابة.

الرومانسية

كل إنسان يتمنى استمرار الحب إلى الأبد، لكن صعب جدًا أن تحافظ على استمرار الحب؛ لأن الطرف الآخر لا بد أن تكون له نفس الرغبة، والبداية دائمًا رائعة ومثيرة؛ فكل طرف يدعو الطرف الآخر إلى أن يدخل معه شريكًا في المشاعر والأحلام، وكل طرف يقدم أفضل ما عنده، ثم لأمر ما يختفي الأفضل عند أحد الطرفين ولا يبقى إلا الأسوأ، والأسباب لذلك كثيرة كأن تتبين هي مثلًا أنها أحبته لشخصه ثم اتضح أنه بلا مال.

وإذا كانت ظروفك معها طيبة فإن لديك ضمانًا طيبًا لاستمرار الحب، فأنت في مأمن من الحب الذي ينمو في اتجاه الفراق والانفصال عندما يحب الرجل غانية أو عندما تحب امرأة رجلًا لعوبًا، ومعظم الرجال تستهويهم الغواني، ومعظم النساء يبحثن عن كازانوفيا؛ فالرجل في حواسه تفتنه الغانية، والمرأة تريد أن تزهو بانتزاع كازانوفيا من الأخريات، وفي الحالتين يتجه الحب منذ بدايته إلى الانفصال.. فلا كازانوفيا يكف عن الخيانة، ولا الغانية تطيق الخلاص.

واستمرار الحب يتطلب من الطرفين نموًا متقاربًا في النضوج العاطفي والعقلي، إن رجلًا قد ينبهر بامرأة - أو العكس - ثم لا يلبث أحدهما أن يكتشف أنه أساء التقدير، ولعل أخطر اللحظات هي عندما يخلو أحدهما إلى نفسه ويبدأ في البحث عن أسباب وجيهة تبرر حبه للآخر، فالحب هو الوهم بأن إنسانًا معينًا يختلف تمامًا عن الآخرين، فتمنحه مشاعر خاصة جدًا، واستمرار الحب مشروط بالأدق أحد الطرفين من هذا الوهم قبل الآخر، وغير صحيح أن الحب يذهب فورًا مع الزواج، لكنه يظل يدافع عن

بقائه قبل أن يدركه الاستسلام وينقلب إلى صحبة هادئة قد تنتابها أحياناً ثورات
وأحداث تدخل في إحصائيات حوادث الأكياس.

والحب بعد الزواج يتغير بالتدرج وبلا شكل محسوس، فالعروس التي
يسوقها غرامها بك إلى تقبيلك عند عودتك من الخارج سوف تصبح الزوجة
التي تسوقها شكوكها إلى تقبيلك ربما تشم فيك بارفان الأخريات.



وفرنصحتك

النصائح لا تجدي مع العشاق، وقديماً قالت العرب: «ليس في الحب مشورة»؛ فالعاشق يسألك الرأي متمنياً في سريره أن تجاري رأيه الذي سوف ينفذه في النهاية، ورأيه هو عواطفه، فلا مكان للعقل عند العشاق. فلو أنه مثلاً لمحها مصادفة بجوار رجلٍ آخر في سيارة مرقت أمامه ثم أنكرت هي التهمة، فإن الموقف سوف ينتهي بأن يصدقها ويكذب نظارته التي ينبغي تغييرها، أو أن يقول: «سبحان الله يخلق من الشبه أربعين.. بس انتي أجمل واحدة في الأربعين»!

ونابليون لم يحب امرأة مثلما أحب جوزيفين التي كانت تخونه كما تتنفس، وكان يصدق أكاذيبها لأنه يريد أن يصدقها، فكل طرف يصدق الآخر بقدر ما يحبه، وإذا كان رصيد الحب ضخماً يتلقى الكذبة - مهما كانت مفضوحة - بالرضا والقبول، لكنه يرفض الكذبة المتقنة إذا كان رصيد الحب لا يسمح.

ولكي تدلي بمشورتك لعاشقٍ فهذا يتطلب معرفة كل الحقائق، لكن العاشق عادة يطمس كل الحقيقة أو بعضها فيزعم مثلاً أن الخلاف نشب بينه وبينها لأنه يريد قضاء شهر العسل في البحر الأحمر وهي تريد الساحل الشمالي، بينما الحقيقة أنه تقدم لخطبتها فطرده أبوها لأنه صايع.

والعاشق - كما العاشقة - يريد كبش فداء لتغطية ضعفه وستر كبريائه، والنموذج المثالي لذلك تلك الحكاية القديمة عن الرجل الذي ضبطها جالسة على كنبه إلى جوار رجل يقبلها فثار وهاج وماج وأقسم أن يبيع الكنبه.

لكن هناك فرقاً جوهرياً بين الرجل والمرأة في التعامل مع هذه الأكاذيب، فالرجل العاشق - حتى ولو كان نابليون - يسمع الأكاذيب ويحاول أن يقنع نفسه بصحتها بينما المرأة تسمع الأكاذيب وتخترنها إلى اليوم الذي تختار فيه موعد المعركة الفاصلة، وهذا الموعد يتحدد عندما تبدأ تفكر في استعمال آخر لكيس الزبالة.



الاسترجال

العلاقة بين الرجل والمرأة في العالم كله أصبحت تتسم بالعنف والاستفزاز والتحدي من الطرفين، هذا في رأيي نتيجة لتحرير المرأة أو تحررها ومقاومة الرجل لهذا التحرر وإصرار المرأة عليه وواضح - عالميًا - أن المرأة استرجلت، حتى شكلها الأنثوي تغير، انتشرت في العالم محلات اليونيسكس التي تبيع نفس الملابس للجنسين ففقدت المرأة مظهر الأنوثة وجمالها، انظر إلى نساء العشرينيات تجد الوجه والشعر والملابس والميك أب تحمل جميعًا سمات الأنوثة الطاغية، وانظر إلى المرأة العصرية بشعرها المنكوش كرأس المجنونة والبنطلون الجينز الجربان والقميص والبلوفر الرجالي والحذاء الكاوتش المعفن.

يا خسارة! بل إن بيوت الأزياء نافقت المرأة في تحديها للرجل فألبستها بنطلون سهرة مع بلوزة ببايون، وضاع الجمال مع الاسترجال، ثم تأمل المرأة زمان وكيف كانت الكحلة في عينها بسيطة وشديدة السحر، ثم كيف شلقت وجهها الآن بالماسكارا أو المسخرة، فأصبح كوجه مهرج السيرك، وابتدع لها تجار الموضة هالات سوداء ترسمها حول عينيها وكأنها مضروبة بوكسين، لقد رسموا لها وجهها على هذه الصورة المضحكة اقتباسًا من الرسومات التي كانت تضعها القبائل البدائية على وجوهها استعدادًا للحرب، وهي بالفعل أصبحت في حالة حرب، والعدو هو الرجل، والنتيجة الانتصار عليه دائمًا: تقطيعه وتعبئته في أكياس بلاستيك.

وحتى المساحيق والعطور كانت تحمل زمان أسماء شاعرية جميلة. روج اسمه: قيلة. عطر اسمه: حلم المساء، وآخر: إني عائدة، وثالث: غموض. ورابع:

ليرا نتم أي ساعة أنتم مع المحبب .. فماذا جرى في عصر النساء الحديديات؟
أصبح الروح يحمل أسماء النار، جهنم، بصفة الشيطان، اللدغة، الصاعقة، أو
الضربة المستعجلة، وتحولت أسماء العطور إلى ماجريف أي مخلبي، وأويوم:
أفيون، وشوكنج: صدمة، أما آخر صيحة ابتكرها ديور لعصر النساء الحديديات
فهو عطر اسمه: بوازون أي سم، فكان المرأة تريد أن تسطل الرجل بالأفيون
وتنشب فيه مخالبا وتسقيه السم الرُعاف، ولقد احتفل بيت ديور بتدشين هذا
العطر في حفلة كبرى تحدثت عنها الصحف وقيل فيها إن هذا السم استغرق
تحضيره سبع سنوات، وهو ذو رائحة نفاذة جدًا وله مفعول سم الصراصير،
حيث يسقط الرجل من طوله وينقلب على ظهره ويظل يدور كالصرصار في
طلوع الروح، وإذا استمر هذا العنف بين المرأة والرجل فلنا أن نتوقع عطرًا
جديدًا تقدمه باريس اسمه: مامير لاجولا، أي أمنا الغولة.



الغواني

الكلمات الماثورة التي قيلت في المرأة كلمات بلا حصر، وما قيل عن خيانتها كثير، وبعضه من أقوال المرأة نفسها، مثل تلك التي قالت: «يكفي أن تخلصني للرجل وأنتِ في حضنه؛ فهو لا يستحق أكثر من ذلك»، والأخرى التي قالت: «تهب المرأة نفسها لله عندما يستغني الشيطان عن خدماتها».

هل المرأة خائنة حقًا؟ إن المرأة إذا أحبت لا تخون، وحبها هو كلمة شرف بالإخلاص للرجل الذي تحبه، وهي تحترم هذه الكلمة بلا جهد ولا افتعال، فالحب الحقيقي يرتفع بها فوق الحواس والنزوات، والكلمات الماثورة عن خيانة المرأة كلمات غير منصفة. الرجل يصرخ من خيانة المرأة ليس لأن الخيانة طبع فيها ولكن لأن الرجل يفضل المرأة المتخصصة في الخيانة، فيجري خلف الغانية والمحظية والشخلوعة، وفي الزمن الغابر كان الرجل يُشعل سيجارة الشخلوعة في الكباريه بورقة من فئة المائة جنيه، ولا يزال الرجل يضع النقوط بالألوف على صدر الشخلوعة، فالشخلوعة هي الرغبة الأولى عند الرجل من الأزل إلى الأبد، ومن عصر هارون الرشيد ومحظياته إلى عصر فضائح وزراء الإنجليز مع بغايا لندن، وسوف يظل الرجل كذلك لأنه يجري خلف حواسه، فمن أكبر بلاوي الرجل أنه لا يهجر الرذائل إلا لأسباب صحية.

ولم يعرف التاريخ رجلاً أغدق على امرأة فاضلة بقدر ما أغدق على غانية لعوب، فالغانية لها الحظوة والحظ دائمًا لأن الرجل مغفل مرتين: مرة لأنه اختارها بحواسه وليس بمشاعره، ومرة لأنه يتوقع منها الإخلاص، فليست الخيانة عاهة مستديمة في المرأة، بل العاهة في الرجل، ومن الأزل إلى الأبد والرجل يمشي بين النساء بهذه العاهة دون أن يجد من يحميه من الغواني؛ لأن القانون لا يحمي المغفلين.

الترويض

إن تأثير المرأة على الرجل أمر لا جدال فيه، فشخصية الرجل تختلف وتشكل وتتغير باختلاف موقعه من المرأة، فإذا كان بعيدًا عنها - في العمل مثلاً - اتخذت تصرفاته سمات خاصة، وإذا كان أمامها تشكّلت شخصيته أمامها حسب العلاقة، فإذا جلس مع امرأة لا يعرفها اتخذ مظهرًا معينًا، وإذا كان يعرفها اتخذ مظهرًا آخر، ولو كانت حبيبته أو خطيبته كان له شخصية ثالثة، وإذا كانت زوجته اتخذ شخصية رابعة، وغالبًا في هذه الحالة لا تكون له أي شخصية.

وتأثير المرأة على الرجل يمتد أيضًا إلى النواحي الفسيولوجية، فالرجل عندما يلتقي بحبيبته فجأة تحدث له عمليات كيميائية تشترك فيها الغدد والجهاز العصبي وانقباضات في المعدة وتقلصات في المصران الغليظ وارتفاع ضغط الدم، أما إذا أصبح زوجًا فالأعراض التي تلازمه على طول فهي ارتفاع ضغط الدم..

إن هتلر بعيدًا عن إيفا براون كان سفاوحًا رهيبًا ومجنونًا يتعطش للدماء، لكن هتلر مع إيفا براون كان يتحول إلى كلب كنيش وادع، فكل جبابرة العالم لهم صورة أخرى أمام المرأة، والمرأة وحدها هي التي ترى في الرجل العاشق ما لا يراه باقي الناس، ومن ستر ربنا أن المرأة لا تتمتع بروح الفكاهة أو السخرية وإلا كانت فطست من الضحك على هباله الرجل أمامها.

والرجل - مهما بلغ من قوة - في حاجة إلى حب امرأة، والحب ليس اكتئابًا وعذابًا وحرابًا بين شخصين، لكنه بهجة تضيء الدنيا يتخللها ألم جميل

ومطلوب، وفي الحب يُستحب كثيرًا أن يرى الرجل المرأة مخلوقًا رقيقًا تنبغي
معاملته بلا مقاومة، ولأن المرأة تعرف أن الرجل «يتشندل» حاله أمام أي امرأة
جميلة، فهي تغار وتخاف من باقي النساء على الرجل الذي تحبه، ذلك أن الرجل
شديد الولع لأن يلعب بذيله ولهذا لم يُخلق بذيل..



اغتيال الحب

يُصاب الإنسان بعمى الألوان، فلا يميز بين الأحمر والأخضر، ويدهامه الحب فيصاب بعمى الأشخاص، فلا يميز إطلاقاً؛ إذ يرى الغانية ملاكاً، وأم سحلول مارلين مونرو، بينما ترى هي النذل فارساً باهراً قادماً من زمن النبلاء! ويمتد عمى الأشخاص إلى المحيطين بالعاشق، فيرى اللائم متآمراً، والناصح عدوًّا، وهو يرفض أن يقوم الناس بدور العدسات اللاصقة ليكشفوا له الحقيقة، ولهذا تحفل أغاني الحب بلعن سنسفيل اللائمين والعواذل، ولا تتوقف لعنات كل عاشق وعاشقة على مدى الزمان؛ إذ ينتقلان إلى مرحلة جديدة فيبدأ كل منهما يلعن الآخر في بيت الزوجية.

فالحب يؤثر على القوى العقلية وعلى أعصاب البصر والبصيرة وعلى ملكات الإدراك والتمييز بدليل أنه يدفع الإنسان إلى الانتحار أحياناً وإلى الزواج أيضاً.

وكم من عاشقٍ أفاق ليكتشف أنه ارتبط بالشخص الخطأ، لكن لا ينبغي في كل الأحوال أن نُحمّل الطرف الآخر مسؤولية اغتيال الحب.. هي أيضاً ممكن أن تكون قد اكتشفت أنها ارتبطت بالشخص الخطأ، إن الحب - شئنا أم أبينا - عبارة عن اثنين يتلاقيان ويوقعان ضمناً عقد خداع يتعهد فيه كل طرف أن يخدع الآخر بالوهم الجميل، والطرف الذي يكتشف الخداع أولاً.. من حقه أن يفسخ العقد أو يقبل الهوان «أو ضربة الساطور إن كان زوجاً».

اللغز

من قديم الزمان والفلاسفة والكتّاب يُوحون إلى الرجل بأن حواء لغز عظيم، ويحاولون أن يرسموا الخرائط لتوضيح تلك القارة المجهولة الغامضة الشهيرة بالمرأة، ويزعمون لأنفسهم حقًا كهنوتيًا في فهم وتفسير ذلك اللغز، وعلى كثرة الخرائط التي رسموها لعالم المرأة فلا يمكن الاعتماد عليهم ولا الثقة بخرائطهم؛ لأن هؤلاء الفلاسفة والكتّاب ينقسمون إلى ناس متزوجين وناس عليهم نفقة ومؤخر، وبين المتزوجين مَنْ يرفع صوته ويده في البيت باعتباره السلطان وهي الجارية، ومنهم من يرفع يده فقط كسقراط لصد شباشب زوجته مدام زينتيب.

ولا يمكن طبعًا أن ننتظر تحليلًا مُنصفًا للمرأة من مفكرٍ يعتبر نفسه سي السيد، أو مفكرٍ تملأ وجهه الكدمات مثل سقراط، أو مفكرٍ سيئ الحظ مع النساء كلّمًا أحب وأحده اختتم قصة حبه بالعبارة المأثورة: «لا تكذبي إني رأيتكما معًا»..

وشيء طبيعي أن تتباين تفسيرات المفكرين وتعطينا في النهاية صورة لكائن حارت في فهمه البرية، مع أن الأمر أبسط من كل هذا التعقيد؛ فالمرأة تعرف ماذا تريد من الرجل في الزمن الطويل، ولديها خطة جاهزة لذلك، بينما الرجل لا يعرف ماذا يريد من المرأة إلا وقتيًا؛ ذلك أن المرأة تفكر في عواطفها ومصالحها بذكاء، والرجل يفكر بحواسه، وفرق كبير بين ذكاء التخطيط وبلاهة الحواس، والأبله يرى الذكي دائمًا لغزًا محيرًا.

والمرأة واضحة في كل تصرفاتها، ولعل أبلغ دليل على ذلك هو أنها لا تستطيع أن تحفظ سرًا، وإذا أحبتك امرأة فأنت تستطيع أن تستغني عن كل القواميس والمراجع التي اخترعوها لفهم المرأة إذا أعطيتها شيئين: حبًا كثيرًا وفلوسًا أكثر..

إذنت أنت نزوج

من الصعب تعريف الزواج، لكن يمكنك أن تأخذ فكرة طيبة عن الزواج من سلسلة المواقف الزوجية التالية:

- 1- رجل بملابس الخروج، يروح ويغدو داخل البيت ناظرًا إلى ساعته.. وامرأة أمام مرآة الزينة ترسم حواجبها..
- 2- امرأة لا تعلم أنه يطلق عليها بين أصدقائه اسم: المجنونة.. ورجل لا يعلم أن اسمه السري بين صديقاتها: الهباب..
- 3- رجل يصيح بسبب زرار مقطوع وامرأة تلعن العيشة لأنها لا تجد زرارًا من نفس النوع..
- 4- رجل يقرأ في الفراش.. وامرأة لا تستطيع أن تنام بسبب نور الأباجورة..
- 5- رجل من المعتقد أنه خائن.. وامرأة تبحث عن دليل على خيانتة..
- 6- رجل لا يتذكر عيد ميلادها.. وامرأة تبكي في بيت أمها.
- 7- رجل يقوم نهارًا بجمع الفلوس في محفظته.. وامرأة تتسلل ليلاً إلى المحفظة..
- 8- رجل يحلف.. وامرأة لا تصدقه..
- 9- امرأة تتكلم.. ورجل يتظاهر بالإنصات..
- 10- رجل يناقشها وامرأة تناقشه والجيران يسمعون..



المفاتيح

الرجل يعشق في المرأة جمالها أولاً وأخيراً، ولا يعيب الرجل أن الله خلقه عاشقاً للجمال، ولا يعيب الأخطل الصغير أن يقول: «إن عشقنا فعذرنا.. أن في وجهنا نظر».

فالمرأة هي النبع الدافئ لأروع إبداعات الشعر والأدب والفن، وخوالد الفن التشكيلي اتخذت من الجمال الأنثوي مادة وإلهاماً، وكل شيء جميل يُنسب إلى المرأة: الحلوى اللذيذة الشهيرة أطلقوا عليها صوابع الست، وزهرة أسموها الست المستحبة، ونبات له زهرة جميلة أطلق عليها الإنجليز اسم: قرص شهد الست، حتى شبشب الهنا الذي تلبسه الست أطلقوا اسمه على زهرة: ليديز سليبر!

والمرأة تعرف أن الجمال هو أهم ما يحفل به الرجل، ولذلك فكل سنتيمتر من قمة رأسها إلى أصابع قدميها مصروف عليه الشيء الفلاني: الشعر له ميزانية كبرى، والحواجب لها قلم مخصوص، والرموش لها ماسكارا، والجفون لها ملونات، والفم له روج، والبشرة لها بودرة ومعاجين، والعنق، والأذن، واليد لها جواهر جي يُرصّعها، وشركات مستحضرات وبيوت أزياء تتعامل في مليارات الدولارات مهمتها تجميل المرأة في عين الرجل، وإنتاج الأسلحة الكيماوية للبطش به وبينها شوكنج وسوفاج وبويزون أي السم الهاري.

والذي يقلب قصائد جرير وبايرون وشوقي وكتيس وناجي ومارلو وعلي محمود طه وبيرنز وغيرهم، سوف يقرأ عن عيون في طرفها حور، وقوام مياس، وشفاه كجمر النار، وجيد أغيد، ونهود رجراجة، ولن يجد شاعراً واحداً قديماً

أو حديثًا يتغنّى بجمال عقل المرأة وحلاوة تفكيرها وسحر حكمتها، فالرجل يسقط صريع هواها دون أن يهमे إن كانت راسبة إعدادية أو تحمل دكتوراه، وهو يُوقَّع على عقد الزواج دون أن يعنيه أنها ناقصة عقل، المهم ألا تكون ناقصة جمال، فنقص العقل لا يجعل العقل معيًّا، والجمال يغفر كل شيء، فإذا كانت بلهاء فالهبل هنا اسمه طيبة قلب، وإذا كانت جاهلة فهي قطة مغمضة، وإذا كانت خبيثة التفكير فهي شعلة ذكاء، ومع ذلك فالناس أذواق، وهناك مَنْ لا يفضلونها جميلة، وأعرف رجلاً يحب امرأة شديدة الشبه بإسماعيل ياسين، مع فارقٍ واحدٍ هو أن إسماعيل ياسين من غير شنب!



الملك

لا يمكن اتهام المرأة بأنها السبب في الملل، فهي تحب التغيير المستمر: تغير فستانها كل ساعة، وتغير تسريحة شعرها خمسين مرة، وتغير لونه سبعين مرة، وتغير رسم حواجبها ثمانين مرة، وتغير لون الروج مائة مرة، وتغير رأيها ألف مرة.

بينما الرجل روتيني جدًا، يحتفظ بعادات محنطة، فلا يغير مواعيده، ولا يغير تسريحة شعره، ولا يغير النكت التي يرويها للضيوف وتسمعها زوجته للمرة المليون، ولا يحاول - بعكس المرأة - أن يجدد في شكله أبدًا حتى أن امرأة حسدت صديقتها المتزوجة من ملاكم لأنه في كل مرة يعود إلى البيت يظهر بوجه مختلف تمامًا.

والرجل محدث رديء مع زوجته، لكنه يصبح عذب الحديث مع زوجات الآخرين، وهو عمومًا مخلوق مزعج، إذا سلّم لسانه من الخرس المنزلي كان حديثه الدائم لزوجته عن مديره الحمار وكيف أنه أحق منه بإدارة العمل، وهو غير مُسلّ بالمرّة؛ لأنه يستهلك التسلية ولا يقدمها، فهو مثلًا لا يُتقن النميمة ولا يروي الأخبار بالتفاصيل الواجبة؛ إذ يكفي - مثلًا - بأن يخبر زوجته بأن فلانًا طلق زوجته، أما لماذا طلقها؟ فهذا ما يجهله كما أنه لا يعنيه، وهذا يمثل تعدييًا غير مقبول لزوجته، فليس أشقى من امرأة تعرف ليلاً أن فلانة قد طلقت ولا تعرف السبب إلا صباح اليوم التالي.

والمرأة تُغيّر وتُبدّل من وضع الأثاث وتضيف وتحذف في الديكور لأنها تحب أن ترى كل شيء جديدًا أو متجددًا، هي تكره الجمود والروتين والنمطية

بينما هو يرتاح إلى الوتيرة الواحدة والهيئة الواحدة والشكل الواحد، ويروى في ذلك أن زوجة همست في أذن صديقتها تسألها: أرى في زوجك شيئاً قد تغير، هل غيّر تسريحة شعره؟ هل حلق شاربه؟ هل غيّر طريقة لبسه؟ ما الذي تغير فيه؟ فأجابت الزوجة: أنا غيرته كله.. هذا زوجي الجديد.



الجنون

لا يوجد عاشق عاقل، كل العشاق مجانين، والحب يشترك في أعراضه مع كافة الأمراض العقلية والنفسية ابتداءً من الهلاوس إلى الهستيريا إلى الوسواس القهري إلى البارانويا إلى الملانكوليا، وكما ينتهي جنون الاكتئاب أحياناً بالانتحار، ينتهي جنون الحب أحياناً بالزواج، فكلُّ من الفعلين لا يأتيه إنسانٌ عاقلٌ.

والحب حالة جنون لذيذ، وأسهل عبارة يُترجم بها العاشق مشاعره: «بحبك بجنون»، وقيس أمير العشاق اسمه: المجنون، وأشعار الحب حافلة بالجنون. كامل الشناوي يقول: «فأنا صنعْتُك من هَوَايَ ومن جنوني.. ولقد برئتُ من الهَوَى ومن الجنونِ»، وآخر يقول: «جُنُنًا بَلِيْلَى وِلِيْلَى جُنَّتْ بَغَيْرِنَا»، وثالث يقول: «واتركيني بعدها للناسِ أبلة يسألوني عن جنوني»، والأغاني تنقل لنا صورةً مكتملةً لجنون العاشق: «أكلمك في سكون الليل - واشاور لك وتاييك في خيالي - أسمع صوتك يكلمني والدنيا ساكنة حواليا - واقوم اضمك ملقاش غير أوهامي - وانا دي اسمك ماتردش..» إلى آخره. نحن هنا أمام عشاق في لوثة الحب، واحد يعانق الهوى ليحضن طيف الحبيب، وواحد في شبرا يشق سكون الليل بصوته منادياً على حبيبته في الدقي ويندهش لأنها لا ترد، وواحد يسمع صوتها في عز الليل فينهمك في الكلام مع نفسه ويأتي بإشارات من يديه، والمشهد كله مورستاني، تُعبّر عنه أم كلثوم في أغنية «أنا في انتظارك» فتقول: «وشافوني قالوا اتجنيت!»

غير أن هذا هو أروع ما في الحب، إنه وحش بلا رأس، بل إن العقل إذا دخل فيه أفسده، فأحلى ما في الحب حماقاته المجنونة، وهي حماقات قد

ترتفع بالعاشق إلى ذرى السعادة، وقد تنحرف به إلى طريق عمر مكرم، فالنعيم
والجحيم وجهان لعملة واحدة هي جنون الحب، ومن الجنون الممتع في تاريخ
العشاق ذلك الذي حظي به الشاب الألماني المعشوق عندما خافت عليه حبيبته
من الأخرى فاحتفظت به في «الفريزر» ثم بحثت عن مكان أكثر أمنًا فلم تجد
إلا بطنها، وهكذا أصبحت تأكل منه كل يوم قطعة، الأمر الذي ينبهنا إلى أنه
يجب على كل عاشق أن يحرص على سلامة لحم جسمه، فلا يأكل الفراخ
والبيض حتى لا تتسمم حبيبة قلبه بالسالمونيلا.



دموعه ودموعها

إن الرجل يجبر المرأة على البكاء ليشعر بالتفوق والشُّوبرمانيّة؛ لأن الرجل عنصري من الجنس الآري الهتلري، أما المرأة فمن الجنس الخنفشاري..

وردًا على تهمة العنصرية أتمنى أن تقوم لجنة تقصي حقائق منبثقة من لجنة حقوق الإنسان بزيارة ميدانية واختيار مائة زوج عشوائيًا - كعينة - لتري اللجنة بنفسها كيف تتم معاملة هذا المواطن الذي ولدته أمه حُرًّا، وكيف أصبح - بين الزوجة والأولاد - مواطنًا منزليًا من الدرجة الثالثة، ومرشحًا - لطول ما درب على الذل والطاعة - للقيام بعجين الفلاحة ونوم العازب..

ولعل أبلغ ما قيل في هذا الصدد هو ما كتبه تلميذ أمريكي في الثامنة اختار موضوعًا للتعبير عنوانه: أبي.. فقال: «إن أبي يستطيع أن يتسلق أعلى قمم الجبال ويسبح في أكبر المحيطات ويقود أضخم وأسرع الطائرات ويصارع أقوى النمر.. إنه يستطيع أن يفعل أي شيء وهو طيب ووديع دائمًا أمام أمي التي تأمره يوميًا بدلق الزبالة..»

والرجل ليس معصومًا من الدموع؛ لأنه لا سوبرمان ولا عنصري، والفرق بينه وبين المرأة أنه يفضل أن يكون لعيونه محبس وجلدة متينة لأسباب تتعلق بكبرياء الرجولة، أو كما يقول فارس بني حمدان عندما تستبد به لوعة الحب: «وأذلتُ دمعا من خلأثقه الكبر»..

وكما قلنا من قبل: المرأة لا تنفرد بالدموع؛ فالرجل يبكي عند مولده، ويبكي في طفولته، ويبكي بجنون لأنه يحبها، ويبكي بحرقه لأنه يريد أن يتزوجها، ويلطم الخدين لأنه تزوجها..

وعلة الحب

المشكلة رقم واحد في الحياة تبدأ مع رحيل زمن التهيدات وانحسار الرومانسية. هو أصبح لا يثير اهتمامها. هي أصبحت لا تثير اهتمامه. وما دام الاهتمام قد ضاع فكلمة الحب تغيب عن اللسان، واللمسة الحانية تنساها اليد، أما النظرة الولهانة المتبادلة فقد تشتت، نظرته اتجهت إلى جريدة بين يديه، نظرته اتجهت إلى التلفزيون، وهو يتمنى ألا ينقطع التيار ويتوقف الإرسال فيضطر إلى الحديث معها، ويكلفه تحريك لسانه مشقة عظيمة بعد إصابته بالخرس المنزلي.

والكلمة الحلوة هي أقوى سلاح للاحتفاظ بالحب، المرأة تتجمل وتتزين وتقاسي فوق الكعب العالي من أجل كلمة إعجاب. همسة حب حلوة. الزوجة تسعد كثيرًا كثيرًا بقبلة خاطفة من خدها. بضمّة عابرة وأنت تقف معها بباب الأسانسير. لمسة حنان. لكن لماذا يختلف المشهد في بيت الزوجية عنه أيام الغرام؟ لأن رفع الكلفة بين الاثنين إلى آخر مدى هو الاغتيال الحقيقي للرومانسية والحب. هي تروح وتغدو في البيت بجلاية كُلسنكان. شعرها كراس أمنا الغولة، على وجهها لبخة زبادي أو لبخة بيض لزوم وصفات البشرية، وما يستره الكورسيه تبعثر وتفشكل وأعلن أنه ليس هناك أزمة لحوم.

وهو؟ هو بالبيجامة كرشه يبرز من بين أزرارها، وذقنه نابته، وشعره منكوش وألفاظه غير لائقة، فلم يعد هناك شيء من الخصوصية يحتفظ به كلٌّ من الطرفين، وعندما تُرفع الكلفة إلى آخر مداها وتختفي الخصوصية، فلا يعود هناك شيء يحرك الخيال أو يثير الشوق أو يحرك الفضول سوى امرأة خارج البيت أو الشغالة داخل البيت.

شروط الحب

المرأة يسعدها وجود رجلين: واحد تجري خلفه لأنها تحبه، وواحد يجري خلفها لأنه يحبها. الرجل الأول القلب وما يعشق، والرجل الثاني يُرضي كبرياء الأنوثة التي يهدرها الأول.

والحب عالم خاص جدًا يصل فيه الإنسان إلى درجة عالية من السعادة لا يمكن أبدًا أن يبلغها بمفرده، الحب كاللمسة والقبلة تحتاج إلى شخصين، وإذا كان الزواج يحتاج أيضًا إلى شخصين فهناك فرق؛ إذ إن شخصًا واحدًا في الزواج لا يكفي لحدوث الخناق.

وإذا كان الحب يحتاج إلى شخصين، فالحب من طرف واحد غير طبيعي، إلا إذا أراد العاشق أن يكون فاعل خير.

وليس شرطًا أن تؤمن بالحب حتى تقع في الحب؛ فالحب يختارك ولا تختاره، وعندما يختارك فعليك أن تقبل بكل شروطه، ومن شروط الحب أحيانًا أن تقع تحت وصاية إنسان آخر، أو تحت نفوذه، يسعدك حينًا ويشقك في معظم الأحيان، ومع ذلك فهو إنسان باهر ومدهش ولا مثيل له في العالم؛ فالإنسان الذي تحبه هو دائمًا الإنسان الكامل، مع أن الإنسان الكامل لا يوجد ولا حتى في كتب الخيال العلمي.

وإذا قبلت شروط الحب فاستمر، وإذا لم تقبلها فابتعد والعق جراحك وليكن عزاؤك أن كل حب في الدنيا ينتهي بكارثتين لا ثالث لهما: الفراق أو الزواج.

ماذا جرى له؟

المرأة كسبت وتكسب كل يوم أرضاً جديدةً، والرجل أمامها يتراجع بسرعة وبلا مقاومة أيضاً، لقد أُجريت دراسات على الرجل المعاصر وتبين أنه فقد مواصفاته الكلاسيكية. فقد هيبتة وحماشته ودمه الحار أيضاً، ولم يُقلِّ الباحثون ذلك صراحة، بل غلّفوا الحقائق المزعجة بتعبيرات دبلوماسية مثل: أصبح الرجل أكثر تفهّماً لحرّيات المرأة - وتخلّى الرجل عن مواقفه المتعنتة - وتنازل الرجل عن الكثير من المعتقدات الخاطئة التي كان يعتبرها أساساً برجولته وكرامته. باختصار لم يعد الرجل رجلاً في الغرب بالذات.

حتى ثيابه سطت عليها المرأة، فلبست البنطلون والجاكت والقميص والباييون والكرافت وأعطته - في المقابل - فردة حلق يضعها في أذنه، ربما لتذكّره تلك الحلقة في أذنه أنه صار نعجة.

وكان رجال العالم يحسدون الرجل الياباني لأنه سي السيد بحق، تعامله الزوجة كملك وتخدمه كجارية؛ إذ كان نظام العائلة القانوني يلزم الزوجة بالإذعان لإرادة الزوج والخضوع لسلطانه دون نقاش وسمعاً وطاعةً يا مولاي، والآن تغير القانون ليفرض المساواة بين الزوجين ويُحرّم تبعية الزوجة لسي السيد ويعترف لها بالاستقلال المالي، وأصبحت الزوجة اليابانية كباقي نساء العالم - يمكنها أن تحدد الوقت الذي تراه هي مناسباً ليحمل زوجها لقب المرحوم.

تُضاف إلى هذا كله حقائق علمية غير سارة تقول إن المرأة تغيرت جسمانيًا إلى «الاسترجال»، فزاد متوسط طولها عن القرن الماضي أربعة سنتي، وأصبحت أكتافها أعرض وصارت عضلات ظهرها وبطنها أكثر قوة وبروزاً وقفز متوسط حجم قدمها ثلاث درجات من مقاس 37 إلى 40 وهو حجم يؤهل القدم لضرب الشلايت بكفاءة عالية.

هي وهو وعلم الحساب

الأمثال الشعبية أبدعتها وصاغتها ستي، فهي في مجملها أمثال نسائية، ومن هذه الأمثال تستطيع أن ترسم خريطة تهتدي بها إلى عالم المرأة. المرأة - مثلاً - لا تمل أبداً من امتداح جمالها ومحاسنها، وهي لا تحب أن ينظر إليها الرجل فقط، بل ينظر ويلاحظ أيضاً، والذي لا يلاحظ هو عندها أعمى، ولذلك يقول المثل الشعبي: «المتكحلة متحبش الأعمى»، ولا يوجد رجل اختار امرأة ليحبها، بل توجد امرأة اختارت رجلاً لتوهمه أنها وقعت في حبائله، وهي تتحلى بالصبر حتى تلف حوله شباكها، ويقول في ذلك المثل الشعبي: «خلي حبيبي على هواه لما يبجي ديله على قفاه!»، ويا ويل الرجل لما يبجي ديله على قفاه!

وهي تعرف أن الحب عند الرجل تسلية، ويتمنى أن يستمر تسلية، بينما الحب عندها بناء عش وتكوين أسرة، وفي الوقت الذي يرفع هو فيه شعار: «ألف رفيقة ولا لزيقة» - أي زوجة تلزق له - تناور هي وتخطط وتستعين بنقاط الضعف الفطرية عنده، فهي تعرف أن الرجل يحب بحواسه، وكلما فتنته بمحاسنها جرى خلفها يلهث ولعابه يسيل، وهي ترسم تكتيكها في التمتع واثقة من أن الرجل أمام جمالها أهبل وبذلك تضع كلمة «تتجوزيني» على لسانه، وفي ذلك قالت ستي مثلها الحكيم: «العايز أهبل».

فالزواج هدف رئيسي وجوهري عند كل امرأة، وقد لا تبالي المرأة باعتبارات كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وفي ذلك تقول أمثال ستي: «إن لقيتني بختك في حجر أختك خديه واجري».

الحب لا يعرف علم الحساب عند الرجل، والمرأة تهتم بعلم الحساب لأن الحب عندها هو بداية الطريق إلى البيت والأسرة والأولاد، والبيت يلزمه

فلوس، وفي ذلك قالت ستي: «معاك قرش تساوي قرش»، و«بفلوسك بنت السلطان عروسك».

وإذا حققت المرأة ذاتها بالأمومة تراجعت مكانة الزوج عندها إلى الخلف، ومع الزمن ربما يصبح مواطنًا من الدرجة الثالثة داخل البيت، وبعضهن يحسدن إناث العناكب؛ فالعنكبة بعد التزاوج تغرس إبرتها السامة في رأس العنكب دون أن تحار في كيفية الخلاص من العجثة، ولذلك تقول ستي إن الزوج يمكن تعويضه بزواج آخر، والابن يمكن أن تلد المرأة غيره، ولكن الأخ لا يعوض أبدًا، وذلك في المثل الذي يقول منطوقه: «الجوز موجود والابن مولود والأخ مفقود»..

ورحم الله شهداء الأكياس.



الملكة والجارية

بداخل كل امرأة ملكة وجارية، والرجل القوي في نظر المرأة هو الذي يعاملها كملكة ويوقظ في أعماقها الجارية المطيعة، وهي حالة يمتزج فيها الاستسلام عند المرأة بالتمرد، فرصيد الحب في قلب المرأة هو الذي يحدد مقياس قوة الرجل، لكن مهما بلغت قوة رجل فمصيره معروف.

فهي تسعد في البداية بأن تستسلم له بضعفها الأنثوي، ثم تسيطر عليه في النهاية بنفس السلاح: الضعف الأنثوي، ولو أتيح للمؤرخين مشاهدة عظماء التاريخ في لحظات الحب لرأينا لونا مختلفا ومسلتا من التاريخ، نيتشه فيلسوف القوة تذله وتعبث به بنت صغيرة، نابليون يتوسل إلى جوزيفين أن تعطي له بوسة، إيفا براون وهي تقرص هتلر من خده وتقول له: «باحبك يا قطة».

ولا يوجد رجل يظل باقيا في موقع القوة ابتداءً من شمشون صاحب القوة العضلية إلى سليمان الحكيم صاحب الحكمة، وأما حواء مثلاً اعتراها رعب عظيم وهي تواجه آدم لأول مرة: مخلوق ضخم الجثة لم تره من قبل يغطي الشعر وجهه وجسمه، ثم عرفته لتكتشف أنه ليس مخلوقاً لا خطر منه فحسب، بل ويمكن الضحك عليه أيضاً، وهو موقف شبيه بتلك الحكاية التي تتكرر كل يوم مع البنت وأمها، فإن كمية التحذيرات والنصائح التي تتلقاها البنت من الأم كل يوم تجعل من الرجل غولاً مخيفاً يترصد بها، ثم تتمرس البنت بالحياة وتعرف الرجل زوجاً، وتدهش كثيراً لتحذيرات أمها من خطر ذلك العبيط الذي اسمه الرجل!

المرأة والذئب

سبب متاعب المرأة مع الرجل.. هي المرأة!

أولاً هي المسئولة الأولى عن سوء اختيارها، فالرجل لا يختار المرأة بل المرأة هي التي تختاره.

والمرأة كانت محرومة من حرية الاختيار، فكان الزوج يفرض عليها فرضاً، فلما تحررت تبين أن الحرية التي تتمتع بها لا تتيح لها حرية الاختيار؛ لأن المال يؤثر غالباً على إرادتها، فقبول عريس ابن حلال ومكافح وعلى «أد» حاله مسألة صعبة، وأصعب منها التخلي عن عريس مليونير.

ومن أبرز متاعب المرأة - ثانياً - أنها تميل إلى الرجل الدون جوان اللعوب، فهي تسعى إليه مدفوعة برغبة الفوز على الأخريات اللاتي يجرين خلفه، والفوز به هو شخصياً كفارس أحلام يطوف بها عوالم الرومانسية المثيرة وينتهي بها الأمر معه إلى الطواف بمحاكم الأحوال الشخصية.

ومن أسباب متاعب المرأة - ثالثاً - أنها في بداية العلاقة تخوض معركة السيطرة ضد الرجل التي يتحدد بعدها مَنْ يسيطر على مَنْ؟

وهي معركة تتمنى المرأة في أعماقها أن تهزم فيها، وأن يصبح هو السيد بجدارته، فإذا هزمته ندبت حظها العاثر الذي أوقعها في رجل ضعيف و«شُرابة خُرج»، وإذا هزمها أصبح على مر الزمن طاغية تعاني من تسلطه وجبروته ولا يمكن الخلاص منه دون الاستعانة بالكيس البلاستيك.

ماذا جرى لغيرة الرجل؟

إحساس الغيرة لم يتغير عند المرأة منذ الأزل، لكن غيرة الرجل أصابها تحول كبير، كان إنسان العصر الحجري إذا رآها تضاحك جازًا جرحها من شعرها والتقط أقرب حجر ليدق رأسها دق الكفّة، وفي الغرب أرغمها الرجل على أن تلبس حزام العفة واحتفظ بمفتاحه، وكان يبارز غريمه بالسيف ولا يتردد في قتلها إذا اكتشف أنها تحمل «طفاشة» لفتح الحزام.

وفي الشرق ارتاح الرجل إلى سجنها في الحرملك، فتعلم العاشق لبس الحبرة والبُرّقع كي يتسلل إلى المحبوبة، وكانت فرصة اختيار المحبوبة ضئيلة وغير متاحة بسهولة للرجل، فهي وراء جدران وأسوار، ومنافسة رجل له في حبها قد تنتهي بفقدانها، ولذلك كان إحساس الرجل بالغيرة حارًا وحادًا وربما مشوبًا بالعنف.

ووجدت زعيمات التحرر النسائي أن غيرة الرجل على المرأة نابعة من أنانيته ورغبته في امتلاك الأنثى فقررن تجريدته من الغيرة واعتبار الغيرة إهانة للمرأة؛ إذ لا بد أن يفهم الرجل أن المرأة نذُّ له وليست مجرد أنثى أو جارية للمتعة.

وقدّم الرجل تنازلات وراء تنازلات وأصبحت الزعامات النسائية تكسب كل يوم أراضي جديدة في الغرب، وانتصرت على شوارب الرجل حتى حلقتها بمكنة الزيرو، وانتهى عصر الرجل الحِمِش، وتم استنباط نوع من الرجال مُستأنس وأليف ينسدل شعره على أكتافه ويلبس المشجر وفي ودنه حلق.

ولا عزاء للرجال!

هل هي لفر؟

كتب بلا حصر ظهرت لتُعين الرجل على فهم المرأة، بينما لم يظهر كتاب واحد يعين المرأة على فهم الرجل. هذا صحيح، ربما لأن البشر - منذ بدء الخليقة - ينقسمون إلى قسمين: النساء والأغبياء.

فليس أدل على بلادة فهم الرجل أمام المرأة من أنه يلازمها منذ خروجها من ضلعه، ومع ذلك - وبعد هذه الأزمنة الطويلة - يشق عليه فهمها ويحتاج إلى كتب خارجية ودروس تقوية ومفسرين وشُراح رغم أن فهم المرأة لا يتطلب شيئاً من هذا كله؛ فهي واضحة جداً: تغش الرجل علناً بالأحمر والأبيض والباروكة والرموش وهو يعرف أنها تغشه، ولا لَفَّ عندها ولا دوران لأنها صريحة جداً، ما في القلب على اللسان، لا تطيق أن تحفظ سرّاً، والكلام يدخل من أذنها ليخرج من فمها مباشرة، وهي تسعى إلى كل ما يكشف عنها ابتداءً من الميكرو جيب إلى البكيني إلى التوبلس.

والمرأة إذا أحببت فهي أشد ما تكون وضوحاً أمام الرجل الذي تحبه، لكنها تتحول إلى لغز أمام رجلين: رجل فتر حبه لها، ورجل فتر حبه لها، الأول يدهش من غرابة تصرفات لم يعتدها، والثاني يحولها إلى إنسان غير متوازن حيث تختلط عندها المعاني المتناقضة بين الحب والغيرة والرغبة في الانتقام، وهي في تلك الحالة قد تدرك بوضوح فائدة اختراع الكيس البلاستيك.

كذلك تبدو المرأة لغزاً عندما تعمد إلى التمرد الخفي على سلطان الرجل، فما من امرأة لا تجد متعة كبرى وتنفيساً مريحاً وهي تهزأ بسلطان الرجل من خلف ظهره.

أما الرجل فهو ليس في حاجة إلى كتب تشرحه للمرأة، فكل امرأة تعرف جيداً أن الرجل أمام المرأة أهدل وعبيط، وأنه منذ حادثة التفاحة الشهيرة خرج من الجنة ليسكن في الأرض بدرب المهايل.

هل تعب رئيسك!

إن المرأة كرئيسة في العمل لطيفة جدًا (ما لم تكن زوجها)، وهي لا تضايق أبدًا رجلًا مرءوسًا لها، بل هي تضطهد النساء فقط، وليس صحيحًا ما تزعمه من أن الطبيعة جردت الإناث من مقومات القيادة وقوة التأثير التي يتمتع بها الذكور، ففي مملكة الحيوان ومملكة الطير تقوم الأنثى بإعداد المكان لاستقبال الصغار وإدارة شؤون الحياة بينما يكتفي الذكر بالفرجة، ومملكة النحل ترأسها ملكة، ومملكة النمل ترأسها ملكة، ولعل التنظيم الإداري المذهل في مجتمعات النحل والنمل يرجع إلى خلوها من حكم الذكور، فإن كلاً من ملكتي النحل والنمل تفضل أن تكون أرملة عقب الزفاف مباشرة حتى تستريح من خلقتها وأفعاله.

وليس صحيحًا أيضًا أن الست الرئيسة «آخر عُقد»، الصحيح أن المرأة تحقق نتائج أفضل من الرجل عندما تدير عملاً، فهي تحرص دائمًا على أن تثبت خرافة ما يشيعه الرجل من أن المرأة لا تصلح لعمل قيادي، وهي تقرن هذا الحرص بحرص أكبر على احترام نفسها، ولذلك فهناك قواعد لمعاملة الست الرئيسة وهي: ألا تغازلها أو تهديها وردة أو تمتدح فستانها أو عطرها أو تسريحتها، كما ينبغي تجنب إبداء الملحوظات البريئة، كأن تنبهها إلى أنها تلبس الباروكة بالمقلوب، أو أنها نسيت ترسم الحاجب الآخر، أو أن ذيل الكومبليزون أطول من ذيل الفستان، أو أن جوربها مكرمش إذ يجوز ساعتها أن تكون بغير جوارب، لكن ليس معنى ذلك أن تعاملها باعتبارها رجلاً، أو أن تشيع عنها أن إدارة شؤون العاملين أرسلت إليها تطلب معرفة موقفها من التجنيد.

وأى شروع فى علاقة عاطفية بالرئيسة فى العمل تعتبر مخاطرة حمقاء، وقيام
هذه العلاقة - إن حدثت - هى الخطر نفسه، فالحب كما تقول أم كلثوم، وصال
ودلال ورضا وخصام، وحسب هذه الأحوال سىقلب تقريرك فى العمل بين
ممتاز ومتوسط وزفت وهباب.

وعندما تتزوج فسوف يسهل عليك الأمر، وتصبح مدرباً على قبول رئاسة
امرأة تطيعها وتأتمر بأوامرها، وتعلم منها ألا تدس أنفك فى أى شىء إلا
منديلك فقط!



اعرف موقعك عندها

يتغير صوت الرجل ثلاث مرات: قبل البلوغ، وبعد البلوغ، وعند الحديث في الهاتف مع المحبوبة، فإذا تحدث بصوت عادي فهو من قائمة الزملاء، وإذا كان الصوت خفيصاً فهو من نادي العشاق، فإذا لم يسمع أحد له صوتاً فهو مخروس في بيت الزوجية.

والمرأة عندها أجهزة خاصة تستطيع بها أن تفرق بين رجل يقترب منها كزميل وآخر يحاول الاقتراب من عواطفها كعاشق، وفي مكان يضم عشرين رجلاً يمكن للمرأة أن تتعرف على الرجل الذي يوليها اهتماماً خاصاً صامتاً.

والرجل في تقربه العاطفي للمرأة يختلف عن الزميل في جانب مهم؛ إذ تنشط لديه غدة الفشر فيميل إلى تقديم نفسه في برواز الشاطر حسن الذي يطمح إلى إبهار ست الحسن والجمال ببطولات لم تحدث ومواقف دون كيشوتية لا أساس لها من الواقع، ولا تتوقف هذه الغدة عن النشاط إلا بعد أن يجد نفسه في بيت الزوجية وقد أصيب بالخرس المنزلي، ذلك الوباء الذي يجتاح كل الأزواج.

وإذا تشاءب خلال الحديث معك فإنه بالتأكيد مجرد زميل؛ إذ من العسير أن يحمل رجل لامرأة اهتماماً خاصاً ثم يتشاءب في حضورها، ولا يعرف تاريخ الحب عاشقاً كان يهمس في أذن حبيبته ثم تشاءب، ولا يوجد روميو همّ بتقبيل جوليت ثم فاجأها بفتح فمه على آخره كسيد قشطة، والزميل في العمل يعامل زميلته بشكل عادي وبشخصية متوازنة، فإذا تغيرت صفته وأصبح عاشقاً فقد الكثير من توازنه ونشطت عنده الغدة الخالدة التي تفرز هبلاً.

قلب المرأة؟

الرجل مخلص جدًا، ويستطيع أن يخلص لأكثر من امرأة في وقت واحد!
فعاطفة الرجل تقبل القسمة على اثنين وثلاثة، وكانت عاطفة السيد هارون
الرشيد تقبل القسمة على خمسة وخمسين!

والمرأة تتعامل أيضًا مع علم الحساب، فيقال - والله أعلم - إنها تضرب
ثمان فستانها في أربعة وتطرح من وزنها خمسة، وتضيف خمسة إلى عمر أي
صديقة! وتقسم عمرها هي على اثنين إلا في الحب، فالمرأة لا تقبل القسمة إلا
على واحد صحيح، وتحب أن تكون هي هذا الواحد الصحيح، فهي ترفض أن
يكون لها شريك في حب رجلها، لا بالأخذ ولا بالعطاء؛ فهي تغار من حب أمه،
وحب أختها، وحب صديقه المفضل، وفي بلاد بره تتخلص أحيانًا من صديق
زوجها المفضل بالهرب معه.

وكما تفضل المرأة الاستئثار بالعاطفة لنفسها فقط فهي تؤثر أن تكون
عواطفها لرجل واحد أيضًا دون شريك، فالمرأة تحب بمشاعر عميقة بينما
الرجل ينقاد وراء نوازعه الحسية، ولا ذنب للرجل في ذلك لأن مفاتن المرأة
هي الفخ الدائم المنسوب له، وقد كتب عليه الوقوع الأبدي في هذا الفخ شاء أم
أبى، ولورد بيرون يرفع شعار الرجال جميعًا وهو يقول: «لو كان لنساء العالم فم
واحد لقبلته واسترحت»!

وتبقى القضية الخالدة بين المرأة والرجل بلا حل، فلا الزمن توصل إلى
وفاق بشأنها، ولا الحرب الدائمة وجدت لها حلًا، وهذه القضية ببساطة هي أن
المرأة تحب رجلًا واحدًا، والرجل يحب كل النساء.

لليتي كنت فأراً

الحوار أيام الغرام هو ديالوج بين الطرفين، والحوار أيام الزواج هو مونولوج من طرف واحد، فالخرس المنزلي يصيب الزوج بعد فترة من الزواج، وهو داء له أسباب متعددة (غير الأسباب العاطفية) أهمها:

أولاً: جرّب الزوج العودة من العمل ليجد أن شهية الزوجة مفتوحة للكلام في أمور كثيرة لا تعنيه، بينما هو قد عاد متعباً يأمل في الراحة وفي الهدوء وفي المشمش.

ثانياً: يحرص الزوج على الصمت - لعدم الغلط - إذا قالت له إن والدتها ستأتي من البلد في زيارة قصيرة لمدة شهرين.

ثالثاً: تستأنس الأنثى بصوت الذكر فيزأر الأسد بين حين وآخر ليُشعر أُنثاه وأشباله أنهم في الحماية، وينطلق الديك في صياح ليليّ - وليس في الفجر فقط - ليُشعر الفراخ بحماية ديك البرابر، والمرأة - ورائة عن عصر الكهف - تستأنس بصوت الرجل وتستشعر الأمان، ولكن الرجل بصمته يسلبها هذا الأمان وقد لجأت زوجته إلى بيت أمها مثلاً تشكو سكوته تماماً لمدة أسبوع كامل، لكن الزوج حلف لحماته أنه تصرف معها بمنتهى الأدب ورفض مقاطعتها في الكلام الذي بدأت مع بداية الأسبوع.

وفي وقت ما يشعر الزوج أنه في حاجة إلى تبادل الحديث مع شخص آخر، غير أنه يُحجم عن محادثتها؛ لأنه جرّب أسلوب المناقشة مع الزوجة وأصبح يعرف نتيجة المناقشة مقدماً، ثم هو مع الزمن يؤثر الصمت على أي كلام؛ إذ تسقط الندية بين الزوجين ويصبح هو بلا رأي.. مجرد مواطن من الدرجة الثانية في البيت وفي مرتبة دون «الفأرية» نسبة إلى حكيم إسبرطة الذي قال: «ليتي كنت فأراً؛ فزوجتي تخاف الفئران»!

كم يكفيها في الشهر؟

المرأة ينغص حياتها أن يكون زوجها فقيرًا، كما يقلقها بشدة أن يكون ثريًا؛ فثروة الزوج تهدد أمن البيت وتنذر بدخول امرأة أخرى في حياة الزوج، وفي ذلك قالت ستي زمان: «الحمار لما يشبع يبعزق عليه»، ومفهوم طبعًا من هو الحمار.

والمرأة تسعى إلى المادة لا حُبًّا في المادة ذاتها، لكن لأنها مسئولة بالفطرة عن رعاية الأسرة وإدارة المؤسسة المنزلية اقتصاديًا، وهي ترى الرجل مبذرًا ومتلافًا والرجل يتَّحد معها في هذا الرأي فيراها مبذرة ومتلافة أيضًا.

غير أن المرأة لا تسرف ولا تبذر إلا إذا كانت الفلوس ليست فلوسها، فما تكسبه المرأة بجهدا تحرص عليه كثيرًا، والأسلوب الذي تدير به المرأة البيت اقتصاديًا يعجز أي رجل عن تحقيقه بنجاح، فهي اقتصادية بالفطرة، أما السعي إلى الاستيلاء على أموال الزوج، فتلك ليست نزعة فردية تتسم بها امرأة دون أخرى، بل هي إستراتيجية نسائية عامة تهدف إلى قصص ريش طيرها لا يلوّف غيرها، وقد سُئل أحد أصحاب الملايين: كيف صنعت ملايينك؟ فقال الرجل: الفضل لزوجتي، فقد أردت أن أعرف - ولا أزال أريد أن أعرف - كم يكفيها في الشهر!

وهذا المليونير سوف يصبح «ملياردير» ولن يكتشف كم يكفيها في الشهر؛ لأن المرأة تريد كل ما لم تحصل عليه.

هل الحب دموع؟

أغانينا تعطي صورة مشوهة للحب وتصوره عذابًا ونواحاَ ومندبةً، والدنيا تغيرت لكن أغانينا لا تزال تنتمي إلى منابعها الأولى في عصر الحرملك، وفي عصر الحرملك كان العثور على فتاة تحبها مشكلة كبرى، أما فقدان هذه الحبيبة فمصاب جلل يقتضي إقامة سرادق عزاء، ولا تزال أغانينا التي تحمل طابع عصر الحرملك توحى للعشاق بالرعب من فقدان المحبوبة، مع أن المرأة - في نهاية القرن العشرين - لم تعد عملة صعبة، بل أصبحت مثل الرجل - كالجنيه المحلي، ولا يزال هناك مَنْ يغني في آخر القرن العشرين: «يا خوفي لا تكون قرفان من حبي والاقيك طفشان».

وأغانينا لا تعبر عن حقيقة الحب، فالحب فيها غير صحي، بل هو حب من طرف واحد يؤلّه المرأة ويستعطفها ويسترحمها ويتسول رضاها، وهي معانٍ أوحث إلى العشاق - جيلاً بعد جيل - أن الحب مذلة مشروعة ومستحبة، وأن الحب له طقوس تبدأ بالمشي في طريق الشوك ثم الوصول إلى حائط المبكى ثم حائط الملطمة ثم الانهيار فوق الأرض مولولاً: «هاتولي حبيبي»، ثم إلى غرفة الإنعاش.

وليس معنى ذلك أن يهين الرجل حبيبته أو يحط من قدرها أو يقول لها إنه قاطع كل أصدقائه لأنهم يجمعون على أنها قبيحة، هذه قلة أدب؛ فالحب احترام متبادل، والرجولة فروسية من أبرز سماتها احترام المرأة، والحب في حقيقته - بعيداً عن أغانينا - بهجة ومرح وتفاؤل ورؤية للحياة جميلة ومثيرة ومدهشة، لكنه لا يخلو من لحظات شجن، أو ساعة فراق حزينة، ليس رد الفعل

لها الوقوف على حائط المبكى ثم الملطمة وإنما كما يقول أزنافور في أغنيته الجميلة التي تعكس حالة فراق في الحب الصحي: «يجب أن نعرف كيف نبتم عندما يذهب الأفضل ويبقى الأسوأ، يجب أن نعرف متى نترك المائدة عندما يزول الحب، يجب أن نعرف كيف نذهب دون أن ننظر للوراء، يجب أن نعرف كيف نحبس صرخات الكراهية التي هي آخر كلمات الحب».

لكننا لا نعرف كيف نحيل الحب إلى بهجة لأن كل ما حولنا يضيف علينا الأحزان، فالعيد بهجة ومع ذلك نقضيه في زيارة المقابر، والتلفزيون ترفيه جميل ومع ذلك يقدم لنا البكائيات، وأغانينا كأفلامنا، فأغانينا من عصر الحرملك إلى عصر الليزر كلها صويت ونهايات باكية لحب مريض، وأفلامنا تنتهي دائماً بالزواج، وهي نهاية يزعمون أنها سعيدة!!

الخصوصية

الزوجة تسعى أحيانا إلى إيجاد نوع من الخصوصية التي ترفضها أنت؛ لأن هذه الطريقة تجعلك متعلقًا بها على الدوام، فمن صفات الحب أنه شديد الفضول، يدفع كل طرف إلى أن يحاول معرفة كل شيء عن الآخر، وعندما يعرف الحب في كل شيء ولا يبقى شيء يثير اهتمامه، فهو هنا يفقد الكثير من عنصر الإثارة، إن امرأة جميلة مثلاً تضع نظارة سوداء ولا ترفعها من على عينيها أبداً أمر يثير الغموض كما يثير اهتمام رجل أو أكثر حتى ولو كان السبب الحقيقي للنظارة هو إخفاء رمد مزمن أو عُمَاص.

وسحر الغموض يلعب دورًا مهمًا في استمرار الاهتمام بالطرف الآخر، ولقد عرفت زوجًا شدَّ بغموضه الشديد اهتمام زوجته به لمدة 18 سنة كانت تحاول خلالها اكتشافه، فلما استكملت اكتشافه طلبت الطلاق؛ إذ تبين أنه تاجر مخدرات.

وكل امرأة مهما بلغ حبها للرجل تتوق إلى نوع من الخصوصية، كأن تخلو إلى نفسها بعيدة عنه، أو تفضفض لصديقة، أو تتهامس معها - أيام الخناق - بلعن أبوخاش زوجها.

والمرأة عندما تحب وتخلص تصبح كتابًا مفتوحًا أمام رجلها، فليس أبسط ولا أشد وضوحًا من امرأة محبة، بينما إذا أحب الرجل امرأة لا تحبه تخيل أنها اللغز الأكبر، وقد ارتاحت المرأة إلى اتهام الرجل لها بأنها لغز وأنها غير مفهومة؛ لأن الغموض له جاذبية خاصة في تكتيكات الهوى.

المرأة والخيانة

المرأة لا تخون بسهولة؛ فهي لا تُقدم على الخيانة إلا من حب قوي تمكن منها، إن خيانة المرأة كجريمة القتل العمد مع سبق الإصرار يلزمها تفكير وتردد بعكس خيانة الرجل، فهي كمخالفة المرور في بلدنا ترتكب بمتهى البساطة وبغير أدنى إحساس بالجرم لكن لكل قاعدة شواذ، كمسز تومسون مثلاً التي فتحت الباب لطارقٍ فوجدت رجلاً غريباً يسألها بصوتٍ مبحوحٍ بسبب نزلة برد: هل مستر تومسون موجود؟ فقالت له بنفس النبرة الهامسة الخفيضة: لا.. أدخل.

والمرأة التي تلجأ إلى الخيانة انتقاماً من الرجل الخائن تفتقر إلى التفكير السليم، فالمجتمع للأسف لم يفرض على الرجل نفس المسؤولية التي فرضها على المرأة في هذا الصدد، ولهذا يزهر الرجال بالخيانة إلى حد الكذب واختراع القصص الخيالية، ويتصور الرجال أنهم عندما يخونون يكونون أشبه بالطائرات التي تخرج للقيام بغارة جوية ثم تعود إلى قواعدها سالمة في بيت الزوجية، لكن يبقى سؤال: هل الرجل الخائن يتحمل وحده مسؤولية خيانتته؟

إن هناك تضامناً بين النساء جميعاً ضد الرجال في ميثاق شرف غير مكتوب، لكن يدهشني حقاً أن هذا الميثاق لا يتضمن منع امرأة من خطف رجل يخص امرأة أخرى، ونحن نطالب ميثاق الشرف بينكن ألا يتعرض رجل مملوك لامرأة لأي إغراء من جانب امرأة أخرى، وألا تغرر به تلك المرأة الأخرى وتستغل هبله التاريخي للإيقاع به، فالمرأة هي التي تكيف العلاقة بينها وبين الرجل، وهي التي



تضيء له النور الأخضر أو الأحمر، وهي التي تستطيع أن تجعل من القديس فاجرًا مثلما فعلت تليس، أو تحيل أشد الذئاب خطرًا إلى حَمَلٍ لا خطر منه إذا قالت لا، فإن أردتن إخلاص كل رجل لامرأته فاتفقن فيما بينكن على تحريم خطف الرجال من بعضكن بعضًا؛ إذ إننا ضعاف وبلهاء أمام الإغراء والجمال، وقد نقاوم ما وسعتنا المقاومة لكن الرجل منا غالبًا ما يصاب - في عز مقاومته - بالتخلف العقلي.



أوهام الهوى

الزواج حل لمشكلة مؤقتة اسمها الحب، ولا يوجد عاشق واحد يريد أن يصدق أن الحب عندما يصبح ذكرى يرى فيه الإنسان ما لم يره من الحماقات المدهشة، وأنت تعاني حالة أقدرها تمامًا، وإذا كنت تقول إن الزواج منها سوف ينقذك من الانتحار، فهناك ميزة عظيمة في الانتحار وهو أنه سوف ينقذك من الزواج.

فلو كان كل عاشق منتحرًا قد امتد به العمر وتزوج من حبيبة القلب لانتحر بعد الزواج لأسباب لا تخفى على أحد.

وأريد أن أطمئنك بأنك لن تنتحر بسببها ما لم يكن لديك أسباب أخرى؛ إذ لا يوجد رجل يقتل نفسه بسبب الحب، الرجل حبه حسي ولا يضرب إلى أعماق المشاعر كالمرأة لكن الرجل مندفع جدًا في حبه، وهذا الاندفاع يوحى له وللآخرين بأنه عاشق مقيم وميت صباية، ولا يمكن أن يؤدي حب حسي إلى الانتحار، الصحيح أن الرغبة في الانتحار تكون متأصلة عنده لسبب أو لآخر، فيتخذ من الفشل في الحب ستارًا لانتحاره، هناك أمراض نفسية تفضي إلى الانتحار، وهناك مجتمعات التنافس الفردي التي ترتفع فيها نسبة الانتحار، ولا يشكل الفشل العاطفي سببًا في احصائيات الانتحار، وأشهر العشاق المنتحرين مثلًا أنطونيو قتل نفسه هربًا من ذل الهزيمة أمام أوكتافيوس، وإذا فتحنا قضية روميو وجوليت، نجد أن روميو قد تزوج من جوليت في بداية المسرحية، لكن أسرتيهما وقفتا ضد سعادتهما فعاشا في الحرمان، ولم يشأ شكسبير أن يموت حبهما بالسكته بعد رضا الأهل عن زواج الاثنين، فاختر الانتحار ليحفظ للقصة رومانيتها.

كيف يأتي الملل؟

في المرحلة الرومانسية إذا نفخ أحد الطرفين في ضيق فهذا معناه أن الثاني تأخر عن مواعده، أما إذا نفخ الاثنان معاً في ضيق فهذا معناه أن كلا منهما يجلس بوزه في بوز الآخر. الملل!

والملل يتسرب إلى الحياة الزوجية دون أن يشعر الطرفان بذلك؛ إذ تفرغ بطاريات المرحلة الرومانسية بالتدريج حتى يخرس الزوج ويكف عن كلام الحب وكل كلام، وشأن كل راديو تفرغ بطارياته يغلظ صوت الزوجة بعد الرقة، ويعتاد صوتها الغليظ لعن العيشة والقسمة السوداء.

فإن الملل يأتي عندما يكتشف كل من الطرفين أنه لم يتزوج بطريق الحب كما كان يعتقد، بل تزوج بطريق الخطأ..

ومن أكبر عوامل تدعيم الملل وجود الزوج في البيت، فالرجل روتيني بطبعه، لا يغير سلوكه النمطي ولا يجدد حكاياته، ولا يكف عن إصدار الأوامر (التي لا تُنفذ أبداً) وكثيراً ما أغرى وجود الزوج في البيت باستعمال الساطور كسرًا للملل..

ومن العوامل التي تساعد على كسر الملل وجود الزوج خارج البيت، فهذا يشغل الزوجة بالشك في مسلك زوجها، كما ينشغل الزوج في الخارج بالخناق مع امرأة أخرى من باب التغيير.

وقد بُذلت محاولات من رواد الزواج الأوائل لكسر حالة الملل، ففاجأ أحدهم زوجته مثلاً بأشد القبلات حرارة في الزواج، وهي القبلة على الخد، فأثارت هذه القبلة دهشة بالغة عند الزوجة، وظلت تبحث عن المبررات وراء تلك القبلة حتى عرفت أنه تزوج عليها هرباً من الملل.

المهر الفالسي

غير صحيح أن المرأة في الزواج تأتي في المرتبة الثانية، العكس هو الصحيح، المرأة دائمًا لها المكانة العزيزة الأولى، والدليل على ذلك أن مهرها غالٍ، وليس المهر هو الفلوس، بل هو سلسلة الأهوال التي يكابدها الرجل في سبيل الحصول على أنثاه لتكوين أسرة، يتساوى في ذلك المجتمع المتحضر والمجتمع البدائي، وأبونا آدم حصل على حواء بكسر ضلع من ضلوعه، فكان مهر أمنا حواء هو وضع قفصه الصدري في الجبس، وكل رجل هو آدم، وفي زماننا الصعب لا ينكسر لآدم ضلع واحد، بل تنكسر كل ضلوعه في المهر والشبكة والشقة، ثم قانون الأهوال الشخصية.

وعند الخطبة تتساءل مجالس النميمة: ماذا أهداها؟ بماذا شبكها؟ إنها أسئلة تحاول ترجمة مكانة العروس عند عريسها بالأرقام، وإذا أتينا إلى عقد الزواج فلا قيمة لرغبته في الزواج منها ما لم تقل هي نعم، فإذا جاء الزفاف فالأنظار كلها متجهة إليها، والاهتمام مُرَكِّز عليها وكأنما العريس كماله عدد، حتى الأغاني الفولكلورية تتغنى بها وبجمالها.. و«اتمخطري يا حلوة يا زينة»، وأغنية فولكلورية أخرى تهنتها باقتناء ذلك المخلوق الذي يسير بجوارها: «مبروك عليك عريسك الخفة»، تمامًا مثل مبروك عليك الفستان ومبروك عليك الخخال.

ثم يتحول عريس الأمس من الاقتناء إلى التبعية المطلقة، فيصبح في البيت مواطنًا من الدرجة الثالثة، حرياته مصادرة وفلوسه مؤممة، ولسانه مخروس، ويستحق نظرة عطف من لجنة العفو الدولية.

وفي أمثلتنا الشعبية ما يكشف بوضوح عن وضع الرجل في ذلك النظام الشمولي المسمى بالزواج؛ إذ يقول المثل الشعبي: «خُدي لك جوز بالنهار أجير وبالليل غفير»، أي يكدح من أجلها طول النهار ويحرسها طول الليل، وإذا أردنا أن نعرف مكانة الزوج بين ما يمتون إلى الزوجة بصلة وجدنا المثل الشعبي يقول: «الأخ مفقود والزوج موجود»، أي إذا فقدت الزوجة الأخ فهو لا يعوض، أما إذا فقدت الزوج فغيره موجود؛ لأن الأزواج على قفامين يشيل!

السلطة لمن؟

من الخلافات التي تنشأ في البداية: النزاع على السلطة، هذا النزاع يبدأ عادة بأن ينفش سي السيد ريشه ثم يعلن في حزم: «يجب أن تعرفي أنني سيد هذا البيت ولن أتخلى عن ذلك إلا على جثتي»، ثم ينتهي الأمر بأن يتخلى عن «ذلك»، لكن هذا لا يعد تراجعًا من جانبه، فهو يعدل على أن يكون «ذلك» على جثته لارتفاع تسعيرة الحانوتية.

وأمثال ستي الحاجة تشرح لنا ببساطة أهم وأكبر أسباب الخلافات: الفلوس. فقلة الفلوس مشكلة، وقد تكون كثرتها مشكلة أعظم، ستي تقول في أمثالها: «عيب الراجل جيبه»، وتقول أيضًا: «يا جارية اطبخي يا سيدي كلف»، وهي كانت تطمح إلى حياة مادية أفضل فتقول في حسرة: «متجوزة عدس عازبة عدس». وإذا كانت جدتي - ككل امرأة - تعتبر الفلوس أهم أدوات تجميل الرجل، فإن كثرة الفلوس في يد جدي كانت من العوامل التي تدعو إلى قلقها الشديد، ولهذا ابتكرت نظريتها التي تقضي بقصصة الطير قبل أن يلوف بالغير، كما أنها صاحبة الحكمة الأثيرة التي تقول: «الحمار لما يشبع يعزق عليه»، (معروف طبعًا من هو الحمار).

بعض الزوجات وليس كلهن لا يؤمنن بالحكمة القائلة: «كُل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس»، بل هي تفضل أن تأكل حسب الريجيم، وتلبس ما يغيظ الأخريات؛ إذ كلما كان القوام جميلًا أغراها ذلك بأن تقتصد في القماش، فإذا جاء الصيف تجددت عند البعض مشكلة المايوه، هو يريد المايوه عتريًا تحت الركبة، وهي تريده مختصرًا مفيدًا، وينتهي الأمر غالبًا إلى مايوه ماركة ما قل ودل، وتستطيع العتة أن تأكله في وجبة واحدة.

وسواء كانت المشكلة سببها الغيرة، أو الزعم بالتدخل في الشؤون الشخصية
كفض الخطاب أو اختيار الصديقات والأصدقاء، فإننا نرى المشكلة في كل
الأحوال تنتهي بما تريده هي، فلأن الأذكيا يحسنون اختيار أعدائهم، فالمرأة
تحسن اختيار العدو الذي تدفعه في النهاية إلى الاستسلام: الرجل. أما الرجل
فلا يهمل إلا أن يكون العدو أشقر أو أسمر، ومياس القد وكحيل العين!



أكذوبة مشهورة

إن الحب هو الأكذوبة الوحيدة الرائعة التي نصدقها رغم تكرار انكشافها، وهي أكذوبة تستغرق عادة مداها الزمني دون أن يستطيع أحد انتزاعك منها بمحاضرة أو نصيحة، فالإنسان لا يستطيع أن يتخلص من الحب إلا بالطريق الطبيعي وهو الزواج من المحبوب.

والزعم بأن الحب يمكن أن يتحول إلى صداقة فوراً أمر مستحيل، فأزمات الحب التي تبلغ حد الجراح أو نقطة اللا عودة لا يمكن أن تسمح بقيام صداقة صافية أو غير صافية، وإذا كان هذا ممكناً فلأن الإنسان يميل إلى الضحك على الآخرين ويميل أكثر إلى الضحك على نفسه.

والنصائح المعلبة والمواعظ السابقة التجهيز لنسيان الحب لا جدوى منها، لكنك لا تترك لنفسك خياراً كبيراً لكي تشفى، فالذي يريد أن يقلع عن التدخين لا يعتبر أنه قد هجر السيجارة لمجرد أنه غير اسم السيجارة إلى كراملة، ولأن الحب من أطف أنواع الجنون، فليس هناك أسوأ من الإنسان الذي لا يعرف الصواب ويرتكب الخطأ إلا العاشق الذي يعرف الصواب تماماً ويتجنبه، وكل العشاق يتجنبون الصواب لأنه عين العقل، والعقل يذهب بالحب (بعكس الزواج الذي يذهب بالعقل).

وكل حبيبين عبارة عن جهاز إرسال واستقبال يعملان على موجة واحدة وذبذبة واحدة، لكن الحال يختلف الآن، فأنت تحدثها الآن على موجة الحبيبة بينما تحدثك هي على موجة الصديق، والنتيجة: لا تفاهم، فإن ما يصلح لكي يُقال في الحب لا يصلح لكي يُقال في الصداقة.

وعجبي على مَنْ يتنهد اليوم قائلاً: آه لو تصبح الحبيبة زوجة، لكي يتنهد غداً: آه لو تصبح الزوجة حبيبة!

حرب الرؤساء

يتهمن الرجل بأنه درج منذ بدء الخليقة على إشعال الحروب التي تقيم الأطفال وتحرق قلوب الأمهات، وأن الرجال ينبغي أن يتنحوا عن قيادة العالم ويتركوا الأمر للمرأة من أجل عالم أفضل.

وهذا الاتهام ينطوي على الكثير من التجني، فالمرأة عندما يتاح لها فرصة الحكم والسيادة السياسية فهي لا تتورع عن إشعال نار الحرب، ابتداءً من بلقيس ملكة سبأ التي شنت الحروب على بابل وفارس، وسميراميس التي استولت على إثيوبيا وفارس وليبيا، وشجرة الدر التي أدارت الحرب الصليبية بذكاء واقتدار بعد وفاة زوجها، غير أنها خاضت حرباً أخرى ضد ضررتها أم علي فقتلتها أم علي ضرباً بالقباقيب، حتى نصل إلى عصر مسز تاتشر التي أشعلت حرب فوكلاند، ثم إلى عصر حرب النساء العصريات اللاتي ييتمن الأطفال أيضاً، وهي الشهيرة بحرب الأكياس البلاستيك ضد الأزواج.

ولن تسفر قيادة النساء للعالم عن صورة أفضل، فالمعروف أن المرأة ترتاح إلى أن يكون رئيسها أو مرءوسها رجلاً لأن المرأة تكره المرأة، ولو آلت قيادة العالم إلى المرأة فإن ما سيحدث من خلافات على مستوى الدول لن يكون لأسباب سياسية أيضاً، بل لأسباب نسائية طبعاً، أما على مستوى العالم العربي، فسوف نرى رئيسة دولة عربية تشن حرباً إعلامية على رئيسة دولة عربية أخرى وتتهمها بالخيانة والعمالة لأنها قالت عنها إنها تداري قرعتها بالباروكة.

هناك فرق

لا يوجد شيء اسمه نصف حب، المرأة إما أن تحب بكل مشاعرها وإما أن تتظاهر بالحب لتعطي لنفسها فرصة اختيار الرجل الأفضل (رصيدًا في البنك).

والمرأة التي تحبك تجدها شديدة الوضوح، فالمرأة تبدو للرجل الذي لا تحبه غامضة وغير مفهومة.

والمرأة التي تحبك عندما تغار عليك تفتعل أسبابًا أخرى للخناق غير الغيرة بينما المرأة التي تتظاهر بالحب تفتعل الخناق بسبب الغيرة.

والمرأة التي تحبك تشعر معها أنك على سجيتك ولا تفتعل شخصًا آخر غير شخصك (ويعيب ذلك أنها قد تكتشف حقيقتك)

والمرأة التي تحبك تعطيك الراحة أيا كانت فلوسك، بينما المرأة التي تتظاهر بالحب تعطيك الراحة على قدر فلوسك.

والمرأة التي تحبك تترك لك اختيار ثوبها قبل الخروج؛ فهي ترتدي الثوب لك وليس - كالعادة - للآخرين وحرقت دم الأخريات.

والمرأة التي تحبك تتوحد رؤيتها معك إلى حماقات الحب باعتبارها تصرفات عادية وليست تصرفات مجانيين، فيغفر كل منكما للآخر ما قد يقرؤه الناس عنكما في صفحة الحوادث.

المرأة أقوى دائماً

لا توجد امرأة تتحرق من أجل رجل؛ إذ اعتادت المرأة أن تحل مشاكلها مع الرجل بقتل الرجل نفسه.

وصحيح أن المرأة تحب بعمق مشاعرها بعكس الرجل الذي يتسم حبه بالاندفاع، لكنها رغم ذلك تستطيع أن تتكيف مع أي ظروف جديدة، ولها قدرة خاصة على مواجهة المصائب والكوارث والرجال أيضاً.

ولا اعتبارات عديدة بينها الحمل والولادة جاء الجهاز العصبي للمرأة متين الصنع جداً بعكس الجهاز العصبي للرجل، فهو أقرب إلى شيء كُشِّنْكَان مكتوب عليه صنع في هونج كونج.. فكل الدراسات تجمع على أن المرأة أكثر ثباتاً من الرجل أمام الخطر، خاصة إذا كان يهدد الأسرة والأولاد، كما أنها تحتفظ بتوازنها أمام فقد العائل بينما الرجل الأرملة يتصرف بتخبط واضح، أو بالتعبير الدارج يصبح «لا يصح».

وفي إحصائيات الداخلية لا توجد امرأة تتحرق بسبب الحب، وإنما السبب الأساسي بين سن 18 و20 هو الرسوب في الامتحان.

ومنذ اللحظة الأولى لخلق حواء أثبتت المرأة أنها قديرة على التصدي للمفاجآت المخيفة؛ إذ خرجت من ضلع آدم تصرخ ذعراً من منظر الرجل ذي الشعر الكثيف الذي يغطي رأسه ووجهه، ثم احتوت الموقف وتوددت إلى آدم حتى طوته تحت إبطها إلى أن همست في أذنه: «نفسى فى التفاحة دي يا أدومتى».

قبر الحب

المرأة أكثر صبرًا من الرجل لأن الصبر من ضرورات الأمومة، وخارج نطاق الأمومة تستطيع المرأة أن تكون في منتهى الصبر وطولة البال واللفظ أيضًا مع رجل ثقيل الظل ومليونير.

الطريقة التقليدية للخلاص من الحب وعذاب الحب، لا توجد طريقة - حتى الآن - أفضل منها، وهي أن تتزوج ممّن تحب.

الإساءات الصغيرة تهدم الحب كالأخطاء الكبيرة، وهناك مثل أوربي يقول: «قبر الحب يتم استكمالُه بحفر صغيرة متصلة».

الحب - باختصار مركز - هو ذلك الإحساس السحري الذي يجعل من أم سحلول مارلين مونرو.

الحب لا يذهب بعد الزواج، والذي يحدث عادة أن كلاً من الطرفين - بعد فترة العسل - يشعر أنه تزوج من شخص آخر.

النضج الحقيقي للرجل في مواجهة المرأة ليس هو أن يدرك ماذا تريد المرأة بل هو أن يكف نهائيًا عن هذا السؤال.

هل الكذب ضرورة؟

كل الرجال يكذبون والنساء أيضًا، وأصدق النساء تظل كذلك إلى أن تبلغ الأربعين فتبدأ الكذب في سننها، وقد يولد الرجل صادقًا ومثاليًا حتى يتزوج فيتعلم الكذب.

والكذب له مسميات عديدة: المجاملة والكياسة والدبلوماسية والحرص على المشاعر، هذه كلها ألوان من الكذب، ومن المهم جدًا مثلًا أن يكون جواب الزوج كذبًا عندما تسأله الزوجة: هل تخونني؟

وقد قال زوج مرة: إن الزوج العاقل هو الذي يحل مشاكله مع زوجته بالأسلوب الذي يجيده، ولما كان الزوج الذي قال هذه المأثورة ملاكمًا، فمن المتعذر على بقية الأزواج الذين لا يحترفون الملاكمة تطبيق هذه المقولة، وهنا تظهر الملاينة والكذب كبديلين ضروريين، غير أن الذي يفسد الأمر دائمًا أن الكذب يحتاج إلى قوة ذاكرة، لكن للأسف كل الأزواج ضعاف الذاكرة.

وإذا كان الكذب مشروعًا في الحب، فمن باب أولى أن نقبله في الزواج لأنه يمنع مصائب كثيرة، إن الحب نفسه كذبة جميلة شديدة الإقناع، تمامًا مثل مسلسل جديد نتابعه في التلفزيون بشغف، رغم أننا نعرف أنه كذبة اتفق المؤلف والمخرج والممثلون أن يرووها (ملحوظة على الهامش: الشاشة الصغيرة تزخر بأكاذيب أخرى قبلها بلا احتجاج مثل الرجل الذي يظهر ليحدثنا عن النشرة الجوية والوزير الذي يظهر ويحدثنا بالأرقام)، وإذا كان الكذب في الزواج ضرورة فهو في الحب زاعقًا رغم أنه غير ضروري، فالعشاق يرددون أكاذيب غريبة مثل ذلك الذي يقول لحبيبته: «خذ عين مني وطل عليًا»؛ إذ نراه هنا يعرض عليها أن يكون «أعور» بس تطل عليه، ثم يساوم على عينيه الاثنتين ليصبح كفيفًا: «وخذ الاتنين واسأل فيا»!

كذاب طبعًا.

العرض والطلب

الحب لم يصبح مبتدلاً بعد اختلاط الجنسين وبعد أن أصبحت النساء على قفا مين يشيل.

إن النساء سوف يزدن على عدد الرجال إذا استمر نشاط حركة تعبئة الرجال في الأكياس البلاستيك، ومع ذلك فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة العرض بالطلب: الرجل دائماً يمثل الطرف المعروض والمرأة تمثل الطرف المطلوب، وحتى في المجتمعات التي يفوق فيها تعداد النساء تعداد الرجال كالأرجنتين مثلاً، فإن طقوس الحب لا تتغير، فالرجل هو الذي يبدأ بالتقرب إلى المرأة، والمرأة هي التي تقود العلاقة العاطفية بالمنح أو المنع، فالرجل دائماً هو المعروض والمرأة دائماً هي المطلوبة: يطلب ودها، ثم يطلب يدها، ثم يطلبها في الطاعة أيضاً.

وحتى في عصر الجواري وحریم السلطان، كانت هناك امرأة واحدة تنفرد برفع علمها على قلب السلطان، بينما كل امرأة من الباقيات كانت تستأثر بقلب واحد من الحرس! ونابليون مثلاً زخرت حياته بالعديد من النساء لكن امرأة واحدة كانت هي المطلوبة: جوزيفين، بينما كان نابليون بجلالة قدره هو المعروض؛ فالحب وحده هو الذي يجعل المرأة مطلوبة، وهي لا يمكن أبداً أن تكون معروضة لأنها هي التي تدبر الخطط بدهائها الأثوي للإيقاع بالرجل مع تمتعها بميزة عظيمة اسمها صبر الصياد، ولن يكون هناك أبداً تعبير «النساء على قفا مين يشيل» ما دام البشر ينقسمون إلى نصفين: النصف الأول النساء، والنصف الثاني المجانين بالنساء.

بروتوكول للرومانسية!

يحلم العشاق دائماً بحياة رومانسية في ظل الزواج تستمر مدى العمر، وإذا تجاوزنا عن أن هذه نكتة وقديمة وبايخة أيضاً، إلا أن العشاق لا يكفون رغم ذلك عن التفكير في رومانسية لا تنتهي! كيف؟؟ وما هو السبيل؟؟

هل من الممكن مثلاً - في عز العسل - وضع ملحق لعقد الزواج، بروتوكول يتضمن بنوداً ملزمة للطرفين لمنع الخلافات الزوجية والاحتفاظ بالرومانسية على قيد الحياة؟؟ لا أظن؛ لأن هذه البنود - مع زوال سخونة الغرام - سوف تصبح ذات آثار جانبية غير مستحبة، ولنضرب مثلاً بعاشقين وضعاً بروتوكولاً تضمن المواد التالية:

مادة 1- لا يجوز لأحد الطرفين التصرف في مصروف البيت في غير أوجه الصرف المخصصة له.

يعيب هذه المادة - بعد انحسار الغرام - أن الزوجة سوف تضطر إلى تكملة المال اللازم لفساتينها من محفظة الزوج أثناء الليل.

مادة 2- يحدد الطرفان يوماً معيناً في الأسبوع يواجه فيه كل طرف الآخر بسلبياته ويعبر عمّا في صدره من ضيق دون غضب.

ويعيب هذه المادة - بعد زوال الغرام - اضطرار الجيران إلى التدخل عند التشابك بالأيدي.

مادة 3- لا يجوز السكوت على مشكلة دون الوصول إلى حل لها مهما كانت صعوبة هذا الحل.

ويعيب هذه المادة - في المدى الطويل - أن يضطر الاثنان للجوء للمأذون.

مادة 4- إذا لاحظ طرف أن الطرف الآخر متوتر ويوشك على الخناق، فعلى الطرف غير المتوتر أن يخرج ويتمشى في الشارع.

ويعيب هذه المادة أن كلاً من الطرفين سيقضي حياته يتمشى في الشارع.



الحب العذري

لا يوجد في العلاقة بين الرجل والمرأة ما يسمى بالحب الأفلاطوني، الحب الأفلاطوني حب تصوره أفلاطون متساميًا عن الفرد إلى التأمل الصوفي في الخير والحق والجمال، وكما هو واضح لا علاقة لمثل هذا الحب برمش عينها ولا ضحكة شفائها ولا تفاح خدودها، لكن شاع معنى الحب الأفلاطوني باعتباره لونا منزها عن اللمسة والقبلة، وهو حب لا وجود له في واقع الحياة إلا عندما يحب رجل امرأة لا تطيق رؤية سحته..

كذلك الحب العذري الذي لا يستمد من الحب العفيف كما يوحي اسمه بذلك، بل هو منسوب إلى قبيلة بني عذرة التي ينتمي إليها العشاق الرومانسيون الأمويون مثل جميل بثينة، ومثل هؤلاء العشاق ابتداءً من قيس وليلى ومرورًا بكثير عزة لم يكن حبهم منزها عن الحس، فقد وصفوا مفاتن الحبيبات، ومنهم من أهدر الوالي دمه، بل ونرى «قيس» المجنون ينافس قاسم السماوي وهو يسائل وردًا - زوج ليلي - في مسرحية أمير الشعراء قائلًا: برِّك هل ضمنت إليك ليلي.. قبيل الصُّبحِ أو قبَلتَ فاهَا (جتنا نيلة في حظنا الهباب)..

فلا يوجد حب غير حسي طالما أن مفاتن الأنثى هي الفخ الأبدي المنسوب للرجل لاجتذابه وتكوين العش والأسرة.

لقد أسندت إلى الرجل مهمة الجري خلف المرأة مأخوذًا بالمفاتن حتى إذا أوقعته في حبائلها وأدخلته العش استأنف الجري خلف الأخريات، وهكذا كتب على الرجل أن يجري دائمًا: مرة خلف زوجته مطارداً لها، ومرة أمامها هاربًا منها.

فلوسك

الحب هو الحب في كل زمان، وليس صحيحًا أننا في عصر ينفرد بعبادة المال، الصحيح أن الناس تموت في الفلوس وأن المال يلعب دورًا رئيسيًا في الحب من قديم الزمان.

قالت ستي في أمثالها: «معاك قرش تساوي قرش»، و«بفلوسك بنت السلطان عروسك»، وقال العرب القدامى: «أظهروا للناس زهدًا.. وعلى الدينار دأروا.. وله صاموا وصلُّوا.. وله حجُّوا وزاروا»، وقال الإنجليز في أمثالهم: «إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من النافذة»، وقال الفرنسيون: «عندما يتعلق الأمر بالمال، فكل الناس لهم تفكير واحد»، وقال مثل أوربي: «ثلاثة هم أخلص الأصدقاء: زوجتك العجوز، وكلبك الوفي، وفلوسك الجاهزة»، وأجمل الجميلات يتزوجن العواجيز المليونيرات، فالمرأة أمام الشباب والمال لا تملك حق الاختيار.

وثانيًا: أن الرجل المعاصر لا يختلف عن الرجل القديم في العلاقة بالمرأة، فبلاهة الرجل قديمة قدم حادث التفاحة، واهتزاز إرادته أمام المرأة أمر لا جدال فيه، ويقول الله تعالى عن آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، لقد سقط آدم في أول امتحان ولا يزال يسقط كل يوم، وكل يوم تخرجه امرأة من جنته: جنة الراحة، أو جنة النجاح، أو جنة المجد، أو جنة المنصب، ولا عبرة لأنه لا يريد أن يعتبر، فعنده عذر جاهز يردده من آلاف السنين: «أحببتها وكنت أعمى»، يا عيني على خيبتك، إن أبلغ ما قالته ستي عن الرجل في أمثالها الشعبية: «العايز أهبل».

ثالثًا: لعل الذي تغير في الأطراف الثلاثة: هي وهو والحب: المرأة. ذهب
عصر الهوانم والنواعم وجنحت المرأة إلى العنف، لقد أخذت من الرجل
شراسته وفضاظته، وتركت له عبطه وتركت أيضًا فروسيته، فالرجولة الحقيقية
فروسية، وعيب المرأة الذي سوف يطاردها إلى الأبد أنها مش راجل.



إلا الخطوبة

لا يوجد إنسان كامل، وكل إنسان فيه عيوب، ومسموح لكل إنسان بنسبة معينة أو حد أدنى من العيوب المقبولة والتي لا تمنع من إدراجه في قائمة أولاد الحلال الطيبين، أما العيوب الجسيمة فهي مرفوضة تمامًا كالبخل مثلاً أو حب الأذى.

كذلك يعتبر الكذب عيبًا جسيمًا في مرحلة الخطوبة، فهو خطيئة كبرى مع حياة زوجية لم تبدأ بعد؛ إذ يتحول هنا إلى غش وتضليل، لكن الكذب مسموح به فيما بعد عندما يتحول خطيبك إلى زوج مزمن؛ إذ إن الرجل عندما تتقدم به الحياة الزوجية ويصبح مواطنًا من الدرجة الثالثة في البيت، فهو عندئذ لا يملك إلا الكذب؛ لأن الكذب سلاح الضعفاء والعبيد، ومن غير المقبول «أن تمسكي لخطيبك ع الواحدة» - كما يقول التعبير الدارج - طلبًا منك للكمال في شخصه، فالكثير من العيوب يدخل ضمن العيوب المقبولة، وبعضها يدخل في نطاق الذوق الشخصي، المهم أن تكون شخصيته من معدن جيد، وكما يتم تقييم السلعة بمكان إنتاجها، فهناك الإنسان الأصيل الصنع، كما أن هناك الإنسان الفالصو المكتوب عليه صنع في تايوان أو صنع في هونج كونج.

كل الرجال يتشابهون في ادعاء الغزوات العاطفية، وكل واحد هو أمير العشاق في زمانه، وكل واحد ماتت فيه النساء صباية، وهي كلها هلوسة غير ضارة يصنعها وهم التفوق العنصري للرجل.

يُفضلنه خائناً

المرأة تُولع بالرجل الذي يتفرغ تمامًا لحبها ولا يشغله عمل أو واجب غير هواها، ويكون متحدثًا طوال الوقت (بعكس الزوج الذي يكون مستمعًا طوال الوقت)، وأن ينصبَّ حديثه عن جمالها وحلاوتها وطعامتها ويمتنع عليه تمامًا أي حديث عن نفسه أو عن الآخرين، وقد يتوهم الرجل أن حديثه عن عينيها وشفتيها أصبح معادًا ومملًا، لكنه لا يعرف أن المرأة تسمع عبارة «عنيكي تجنن» للمرة المليار، وكأنها تسمعها لأول مرة، ويستهوئها الرجل الكمبيوتر الذي برمج لسانه على كلمة أحبك بمعدل عشرين مرة في الساعة، ويستهوئها الرجل اللعبي الذي تتطلع إلى استخلاصه من أيدي النساء، فمثل هذا الرجل أثير عندها لأنه يثير شهيتها في تحدي الأخرى وإثبات تفوقها عليهن جمالاً وأنوثة، ومثل هذا الرجل لا بد أن يكون لعبًا وكذوبًا وهي تعرف ذلك تمامًا لكنها تمنى نفسها بأنها ستجعل منه صاحب فضيلة وسعاد ولىلى وأخرى.

إن الرجال - على الكرة الأرضية - ينقسمون عند المرأة إلى قسمين: الرجال المفضلون عندها، والرجال الطيبون، فالرجل المفضل عندها هو اللعوب الخاين الكذاب، تجري هي خلفه للانفراد بصيده دون النساء، والرجل الطيب لا يثير مشاعرها لكنه ضرورة في حياتها أيضًا، إنها تستخدمه كقطعة من إكسسوارات الزينة، فهو الذي يرضي كبرياء أنوثتها وجمالها بالجري خلفها واستعطافها واسترحامها، وأنه - باختصار - يقوم بالدور الذي يقول عنه أحمد رامى: «عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك»، بينما هي تقوم بدور الذليل مع الرجل اللعبي، وهي تتصور طوال الوقت أنها سوف تتمكن منه وتكيد الأخرى وينتهي بها الأمر إلى لطم الخدود وهي تردد كلام ستي في أمثالها: «خدتك أكيد العواذل كدت أنا روجي»!

والكل يفضلنه.. خائناً!

الحب والخبز

خدعوك فقالوا الحب قبل الخبز. كلام فارغ، الخبز أولاً قبل الحب والجنس وكل شيء، حتى الطفل الوليد يبدأ الارتباط العاطفي بأمه لأنها مصدر الإشباع الوحيد في الحياة والجوع يطيح بالحب، وينكر كل القيم ولذلك قالوا الجوع كافر، ويمكن أن نتصور حبيبين في قمة الحب (أي غير زوجين) تائهين في الصحراء ويشرفان على الهلاك جوعاً، طبعاً هي لا يمكن أن تفكر في أي حب، وبالتأكيد هو تراوده فكرة واحدة فينظر إلى ذراعها المربرب مردداً في سرّه - لشدة الجوع - «أكلك منين يا بطة».

ويقول شتاينبك إن هناك خيطاً رقيقاً بين الجوع والغضب، ويقول المثل الإنجليزي: «الرجل الجوعان رجل غضبان»، ولذلك يحسن أن يتجنب كل طرف حبيبه الجائع، ففي الجوع تزداد حساسية الجهاز العصبي ويصبح الإنسان ضيق الصدر، سريع الانفعال، على استعداد للخناق بلا سبب وكأنه زوج مزمن، ولا يمكن لإنسان أن يحب أو يغازل والجوع يؤلمه، ويحكى مثلاً أن عريساً قضى يوم زفافه والليله السابقة عليه دون أن يذوق طعاماً، وما إن انصرف المدعوون بعد الزفاف حتى قال لعروسه: «يا حبيبتى.. إنني أنظر إلى وجهك الفاتن وأحاول أن أقاوم نداء الطبيعة لكنني عاجز عن المقاومة»، وترك العروس وأسرع إلى الثلاجة.

وكل التجارب التي أجريت على الحيوانات أثبتت أن الخبز قبل الحب دائماً، وفي أحد التجارب وضعوا فأراً ذكراً في متاهة، عند فتحها الأولى طعام وعند فتحها الأخرى فأرة (أي أنثى فأر) فانطلق الفأر في المتاهة واتجه إلى الطعام وتكررت التجربة مرات عديدة، وفي كل مرة يختار الفأر الطعام حتى بعد أن شبع تماماً ولم يتجه إلى الفأرة ولا مرة.

وتبين أن الفأرة زوجته.

الحبيب النموذجي

عوامل الاجتذاب ينبغي أن تظل قائمة بين الرجل والمرأة بعد الزواج، غير أن المرأة اعتادت أن تهمل مظهرها وهي داخل البيت ولا تتزين أو تتأنق إلا قبل الخروج. والمرأة أيضًا تتمنى أن يكون زوجها جذابًا وأنيقًا لكن الزوج عادة لا يملك إمكانيات الأناقة لأسباب قهرية، أحدها - مثلًا - أن أمام كل خمسين فستانًا تشتريها الزوجة يشتري الزوج ربع بدلة أو ما يعادل فردة بنطلون.

وتعطينا الأساطير القديمة صورة الزوج النموذجي الجذاب في شخص هيمن إله الزواج عند الإغريق فهو فائق الوسامة صحته حديد (بعكس مواصفات الزوج المتعارف عليها عالميًا) سعيد جدًا، ولا يعاني الكآبة والأفكار الانتحارية (خصوصًا أول الشهر) يمسك بيده شعلة تنير له وللأسرة طريق السعادة، وهو ينتسب من ناحية الأب إلى أبوللو رب الشعر والوسامة الرجولية، أما الأم فهي أفروديت ربة الجمال، وتقول الأساطير عن الزوج السعيد هيمن إنه أنقذ مجموعة من الحسنات تعرّضن لهجوم القراصنة وكوفى على ذلك بزواجه من إحداهن، فعاش في شهر عسل دائم ولم يفكر لحظة في أن يستعمل الشعلة الحديدية التي يمسك بها لشج رأس زوجته، ولهذه الأسباب جميعًا حملت كل أناشيد ليلة الزفاف اسم هيمن، ولا شك أن هذا الهناء الذي عاشه هيمن مع زوجته يطمئن كل زوج جديد ويؤكد له أن السعادة الزوجية توجد في الأساطير.

غير أن الأسطورة لم تشرح لنا موقف زوجة هيمن من زوجها الوسيم الجذاب، فإن زواج امرأة من النجم ألان ديلون قد يسعدنا كثيرًا لكنه سينتهي بها

غالبًا إلى عنبر خمسة بالعباسية بسبب الغيرة عليه، فالرجل طاووس يحب اللعب
بذيله، والطاووس لا يفرد ذيله ولا يلعب به إلا عند مغازلة الأنثى، والأرجح أن
سر سعادة هيمن هو أن «الإزار» أو الزي الإغريقي القديم الذي كان يلبسه لم
يكن له أي جيوب تتعرض للتفتيش الليلي.



وفاة الحب!

الحب أيضًا يموت..

إن مأساة الحب في اكتماله، فالثمرة تتجاوز مرحلة النضج المكتمل إلى مرحلة العطب، والبدر بعد تمامه يبدأ في النقصان، وفي الأساطير اليونانية كان العاشقان يتولاهما في البداية رب الرغبة «هيميروس» ثم «سواريللا» رب الغزل والكلام العسل، ثم «هيمن» رب الزواج الذي ينسب إلى اسمه لحن زفاف العروسين، ثم يحرس الزوجان «بوثوس» رب الألفة والإيناس والعشرة.

ولم تذكر الأساطير أي رب آخر بعد ذلك؛ إذ يبدو أن التكنولوجيا الإغريقية لم تكن تعرف اللدائن، وبالتالي لم يظهر «أكياسوس» رب الأكياس البلاستيك. والحب عندما يكتمل ويبلغ ذروته تصبح أيام الشقاق أكثر من أيام الوفاق، فلا يجمع الاثنان إلا الغضب والاستفزاز وتصيد الأخطاء والخناق، ولا يطيق أحدهما البعد عن الآخر كما لا يحتمل القرب منه.

ولا نعفي الرجل في موت الحب، فالحب عنده - كمشاعر عميقة - لعبة لا يجيدها لأن الجنس عنده يسبق الحب، وكل علاقة حب عنده تبدأ بتسلية ويرجو أن تستمر كذلك، والمشاعر العميقة لا يصيها ملل، ولعبة الجنس يقتلها الملل، لكن العلاقة قد تتطور من التسلية إلى حدث تراجيدي على يد مولانا المأذون سفاح الرومانسية في كل زمان، فالحب يموت لألف سبب وسبب والحب الذي يخلد على الزمان هو الحب الذي لم يكتمل، أو هو الذي يفرض فيه العاشقان فراقاً أبدياً، ولذلك فالقصص المثالية للحب هي روميو وجولييت وقيس وليلى مثلاً، ولهذا أيضًا لا يعمر الحب طويلًا إلا في الكتب.

ولا عزاء للسيدات.

النجاة من الأم

رحلة الحب تبدأ من الأم، وهي تعلم أن الرجل يأخذ ولا يعطي، ثم تأتي المحبوبة لتعلمه أن يأخذ ويعطي، ثم تأتي بعدها الزوجة التي تعلمه أن يعطي فقط (خصوصًا الفلوس).

وأفضل حبيب هو الذي لا ينجو نفسيًا من مرحلة حب الأم؛ إذ يتهم كل امرأة يحبها - مهما بذلت - بأنها أنانية تهمل شأنه، فحياته الوجدانية تدور حول ذاته والأخذ دون العطاء، فهو في حاجة إلى جارية تحت رجله، وحتى هذه الجارية سوف يتهمها بالأنانية والحب له آفات عديدة، فهو كائن حي يغضب ويرضى ويثور ويهدأ، وكالكائن الحي أيضًا هناك الحب المتزن والحب العصبي المختل الذي ينتقل من صفحة دفتر الرومانسية إلى صفحة الجرائم في الصحف.

وعيب الحب أنه لا يرضى أبدًا، ساعة الانسجام تفسدها الشكوك، وفي عز الوصال تثار الظنون، والجلسة الرومانسية تنقلب من الهمس الهادئ إلى الانفصال الغاضب، وعندما تتوهج العلاقة الغرامية بين الاثنين ويصلان إلى الذروة يصبح الحب لعنة؛ إذ يشعر كل طرف أنه لا يستطيع أن يعيش مع الطرف الآخر ولا يستطيع أن يعيش بدونه.

فالرجل خلق لكي تحتال عليه المرأة بمواهبها، وهي مواهب تجعل أقوى الأقوياء يقف أمامها بريالة، فالمرأة قادرة على أن توحى للرجل بأنه أسد في الوقت الذي أصبح فيه حمارًا؛ لهذا يفر الرجل من المرأة العنيفة إلى الأنثى التي تجيد استخدام المواهب الفطرية، ولهذا أيضًا توجد أحيانًا على مكتب الرجل صورتان في بروازين، وهو ينظر إليهما داعيًا من كل قلبه ألا تتقابل صاحبة الصورة الأولى أبدًا مع صاحبة الصورة الثانية.



المرأة: ملكة الحب!

المرأة هي التي تُعلِّم الرجل الحب، هي الأستاذة والمدرّسة وناظرة المدرسة، وهي حريصة على رسوب الرجل في كل امتحان أمامها، وهي تستغل طبيعته بدهاء، فالرجل بطبيعته غبي لأنه يعطي لنفسه تفوقاً عنصرياً لا وجود له، ويزهو بذكاء يتبدد مع أول لمسة من يدها، وهو الأضحوكة دائماً، فبينما نراه في الحب له جرأة النمر نراه في الزواج في جبن الأرنب، وهو يحب جمالها ويحب مفاتها ويحب أحاديثها حتى إذا تزوج أحب صمتها..

والمرأة - ثانياً - هي الأقوى لأنها تمتلك قيادة العلاقة العاطفية، وبناء عليه فهي تمتلك الضربة القاضية..

وثالثاً: الجنس عند المرأة نوعان: طفل وطفل كنج سايز وهو الرجل، وهي تسوس الطفل الصغير والطفل الكنج سايز بنفس الأسلوب: القمع والملاينة.

والمرأة لا تسعد إلا إذا كان في حياتها رجلان، واحد هي جاريتها والآخر هي أميرته، الأول تقول له: أعبدك، والثاني يقول لها: عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك، الأول موقعه بين ذراعيها، والثاني موقعه - يا ولداه - بين يديها.

والمرأة - رابعاً - قد تهزم في معركة لكنها تنتصر في النهاية، فرغم أن المرأة ليست مشكلة الرجل وإنما هي حل المشكلة، فإن العقبة الحقيقية بين الاثنين تكمن في أن كلا من الطرفين ليس لديه رغبة قوية في التفاهم بقدر ما لديه رغبة أقوى في التسلط، والمرأة لا ترفع الراية البيضاء إلا إذا وقعت في هواه، ثم لا تلبث الراية البيضاء أن تنتقل إلى يده في بيت الزوجية، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

كيدهن عظيم

لا يوجد حب حقيقي وغير حقيقي، بل يوجد حب أو لا يوجد، والمرأة إذا أحببت تفانت، ورغم أنها أكثر صبرًا واحتمالًا من الرجل إلا أن الفشل في الحب عندها نكبة ونسيانه يكاد يدخل في خانة المستحيل، وإذا كان الفراق عند المرأة كارثة فهو عند الرجل مجرد حدث مزعج؛ لأن الرجل عمومًا حبه حسي بالدرجة الأولى، فنادرًا ما يوجد الرجل الرومانسي الذي يقاسي، وإن وجد، فإن الأمر قد ينتهي به إلى الزواج الآلى ليصبح زوجًا لامرأتين، واحدة في البيت والأخرى في قلبه.

والحب عند المرأة ينقلب بعد الفراق إلى لعنة؛ إذ تظل تقارن كل رجل تلتقي به بالرجل الذي كان: هذا ليست له شخصيته، هذا ليس له حضوره، هذا ليس له حديثه الجذاب، وهي تظل تلفظ رجلًا بعد آخر حتى تكاد تفقد فرصة الاختيار عندما تفلت منها سنوات العمر فتستسلم بلا شروط ما دام كل الرجال يتساوون بعد حبيب العمر.

وليس صحيحًا أن المرأة في هذه الحالة «تتعس» الرجل الذي تزوجته، بل هو سوف يقتنع تمامًا أنه الرجل الأوحى في حياتها، وأنه حبه الأول والأخير، فالمرأة لديها قدرة خارقة على الإقناع بأن الحب يأتي بعد الزواج، وهي تستمد هذه القدرة من موهبتها على التظاهر بالحب، وتلك الموهبة زودتها بها الطبيعة ليسهل عليها تحقيق الهدف: الزواج وبناء العش، فأى بنت غير مجربة تستطيع أن توحى إلى أي شاب مهما كان مجربًا أنها أصبحت صريعة هواه، وهي تسعده بمواقف رومانسية باهرة، وهي توهمه بالحاجة العاطفية إليه بينما هي تضعه تحت الاختبار لتفاضل بينه وبين آخرين يقفون ببابها، وبعد كل هذه العواطف المتقدمة يضرب الشاب كفاً بكفٍّ في ذهول، وهو يقرأ خبر خطبتها دون أن تقول له حتى كلمة وداع.

إنها مشكلة الرجل الأبدية أمام المرأة: العبط.



منهم حتى تثبت براءته

الرجل عمومًا متهم في إخلاصه، إن التطلع إلى امرأة جميلة مثلًا يمكن أن يكون بريئًا من جانب عاشق للجمال، تمامًا كالتطلع إلى لوحة أبدعها عبقرى.

وكما أنه كله عند العرب صابون، فكله عند النساء أيضًا صابون؛ إذ تتساوى عند المرأة نظرة الرجل إلى امرأة أخرى، سواء كان ذئبًا أم عاشق جمال؛ لأن النظر إلى امرأة أخرى جميلة ليس إلا مؤشرًا على فراغة عينه، فالرجل مشدود إلى المرأة بعينه، ويمكن أن يعقب هذه النظرة سلام فكلام فموعد فسهولة اصطياده، يعني يمكن ترجمة العملية كلها إلى: النظرة الأولى له والباقي عليها..

ونظرة الرجل إلى امرأة جميلة قد تعتبر في نظر بعضهن جنابة تستوجب اللجوء إلى بيت أمها، وبعضهن يخفضنها إلى جُنحة، وبعضهن يرينها مخالفة يمكن التغاضي عنها، ولكن لا توجد امرأة واحدة تحكم لهذه النظرة بالبراءة؛ فالنساء تحت الجلد متشابهات تمامًا في النظر إلى إخلاص الرجل، هذا في الوقت الذي قد يثق فيه الرجل بالمرأة التي يحبها ثقة مطلقة لأسباب تتعلق بتخلفه العقلي أمام الأنثى.

لهذا تظل المرأة مفتوحة العينين دائمًا لحراسة إخلاص الرجل من عدوان امرأة أخرى، وهي تعتقد دائمًا أنه مدان حتى تثبت براءته التي لن تثبت أبدًا، وهي عندما لا تصل إلى برهان إدانة لا تمتلئ بالتمرد ويصبح أمامها أحد طريقتين: طريق تسلكه المرأة العاقلة، وطريق تسلكه الأغلبية!

المرأة العاقلة تسوس الرجل بدهاء الأنثى وتغمض عينيها عن الصغائر التي لا تمثل خطرًا على البيت وتعطي له مساحة حرية يتحرك في حدودها، الأغلبية تفضل الشجار والنقار واللجوء السياسي إلى بيت أمها حتى ينصلح حاله، وهناك منْ تعتمد إلى الانتقام بجهل غريب فترفع شعار: يكفي إخلاصي له وأنا بين ذراعيه!

العش والفندق

المرأة لا تغير مشاعرها بسهولة إذا أحببت، وإذا قورنت بالرجل فقلبيها عش دافئ لا يتسع إلا لرجل واحد، بينما قلب الرجل فندق تختلف نوعيته باختلاف النزيلات، فهو حينًا فندق خمس نجوم وأحيانًا فندق نجمة واحدة (في حالة حب الشغالة).

ودور الرجل في العلاقة العاطفية يبدأ وينتهي بالمبادرة والتقرب إليها، وهي وحدها بعد ذلك التي تتحكم في مسار العلاقة تستقر أو تنتهي، والذي يستيقظ في الصباح ليجد أن محبوبته قد هجرته بلا سبب لا يعرف غالبًا أنه رسب في مادة رئيسية خلال اختبار لم يشعر به، فكل تصرف للرجل مع المرأة إما أن يضيف إلى رصيده عندها أو ينتقص من هذا الرصيد.

ونحن نتهم المرأة بأنها تحب الفلوس كما لو كان الرجل قد خلق زاهدًا في الفلوس، مع أن الرجل الذي يكره الفلوس هو غالبًا مصاب باضطراب عقلي، ولا علاج للحب عندما تبدى للمرأة أعراض البخل؛ لأن المرأة مرتبطة بعلم الحساب، فهي ذلك المخلوق الرقيق الذي «تطرح» معها الهم جانبًا، «وتقسم» معها السعادة «وتضرب» من أجلها نفقاتك في عشرة.

الحب قوة قاهرة

الحب العقلاني خرافة، فلا صادفت في حياتي امرأة تحب بالعقل، ولا رأيت رجلاً يحب بالمنطق، لكنني شاهدت وأشاهد ألوف المجانين، فالحب أحلى ألوان الجنون، ربنا يجننك، وإذا كان حبك عقلانياً فأنت لا تستمتع بجنون الحب، وحبك العقلاني ليس حباً، بل هو علاقة مطلية بمظاهر الحب، تنشأ عادة بين شخصين لأحدهما - أو كليهما - مصلحة في الارتباط بالآخر، فالحب العقلاني لا وجود له في الكتب العاطفية لكنه متوافر بكثرة في كتب البيزنس.

وعندما يداهمك الحب الحقيقي ويصيبك الخبل العظيم، ستدرك أن الحب قوة قاهرة كالزلازل والبركان والإعصار، لا يجدي معه تعامل عقلاني، بل إن العقل إذا تدخل في الحب أفسده تماماً، وعندما يعرف رجل - بالعقل والمنطق - لماذا يرتبط بهذه المرأة بالذات، فهو بالقطع لا يحبها؛ لأن زوال السبب يعني زوال الحب، مثال ذلك لو اكتشف رجل أنه يعشق حبيبته لتفكيرها الذكي اللامع، فمن المؤكد أنه سوف يكف عن حبها إذا أصبحت متخلفة عقلياً بسبب إدمانها على مسلسلات التلفزيون.

والحب في حياتنا ونحن كبار نجهل أسبابه تماماً لأنه متصل بحياتنا الوجدانية في الطفولة حيث الصراعات العاطفية والنفسية المتعاقبة التي توجه تصرفاتنا في الكبر، ولهذا السبب نرى رجلاً محترماً يحب امرأة ساقطة دون أن تجدي معه نصائح العقلاء، كذلك نرى امرأة تحب رجلاً وهي على وعي تام بكل سفالاته، لكن نقائصه لا تشكل عندها سبباً وجيهاً للبعد عنه، وهي بالتأكيد معذورة لأن الحب لا يتعامل مع عقل، والخلاصة أننا نحب لأسباب غامضة، ولكننا نكره لأسباب معروفة تذاق عادة بعد ذبح الزوج.

يا مآمنة للرجال

الغيرة على الرجل هي الرادار الذي يشعر المرأة بأن امرأة أخرى تهدد سعادتها، وهي ظاهرة صحية لكنها - في العادة - لا تستمر كذلك؛ إذ سرعان ما تنقلب إلى مرض من أبرز أسبابه أن المرأة لا تثق بالرجل وقلما يمنحها الرجل الاستقرار النفسي والأمان، فهي مهددة دائماً بامرأة مجهولة لا بد أنها أجمل وأرق وأكثر أنوثة وأصغر سنًا، وهي في ذلك ترفع الشعار الذي ورثته عن الأم والجدة: «يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال».

فالرجل خانها أو لم يخنها هو خائن أو هو على استعداد لكي يكون كذلك لو غفلت عيونها عنه، ولذلك غالبًا ما ينتهي الأمر بأن تتحول المرأة إلى سجانة تحصي عليه حركاته وسكناته، وتلك بداية النهاية للحب، ويزيد من شقاء المرأة أنها تسعى إلى الفوز بالرجل اللعوب حتى تثبت تفوقها الجمالي والأنثوي على الأخريات اللاتي يسعين للإيقاع به.

ومشكلة المرأة أنها لا تثق في أي امرأة، فهي تغار من المرأة بقدر ما تغار على الرجل، تغار من عيون امرأة، وتغار من شفاه امرأة ثانية، ومن شعر امرأة ثالثة، وقوام امرأة رابعة، وفتان امرأة خامسة، والثوب الذي لا تتفحصه المرأة من أسفل إلى أعلى إذا ارتدته امرأة أخرى هو مريلة سجن القناطر.

والمرأة تغار من أقرب صديقاتها، وهي أيضًا تحرص على إثارة غيرة الأخريات، فتسم بدن أعز صديقاتها بفتان آخر صيحة، وتضاحك رجلاً لا تحبه - وربما لا تطيقه - كيدًا في امرأة أخرى، وربما تخلصت من زوجها بتعبته في كيس بلاستيك لثبير حسد وغيره باقي الزوجات!

المسترجلة

المرأة المسترجلة موجودة من قديم الزمان، وفي أساطير اليونان أن لسستراتا دعت بنات جنسها لمقاطعة الرجال فاستجبنَ إليها لبعض الوقت، ثم تخلين عنها عائداً إلى الرجال، وبقيت لسستراتا رمزاً للمرأة المسترجلة، أو الزعيمة غير الأنثى، أو المرأة الذكر الهاربة - بلا عذر مفهوم - من التجنيد.

وكل لسستراتا مسترجلة تحاول أن تُحرّض كل جميلة على أن تتمرد وتنتقم من الرجل، ولأن الكاتبة الإنجليزية ماري كورللي كانت أنثى جميلة فقد تساءلت في القرن الماضي: أي نوع من النساء تلك التي تطالب بالمساواة وعلى شفيتها قبله حبيبها؟ غير أن هناك أسباباً أخرى لظهور المرأة الذكر، أو لسستراتا القرن العشرين، فأنت تنبهر بشخص لأنك لا تستطيع أن تفعل ما يفعله، وقد كانت المرأة شديدة الانبهار بالرجل في عصور مضت، ثم أصبحت تمارس كل عمل كان يبهرها به، ففقد الرجل بريقه، وفي المجتمعات المنحلة التي طغى فيها التحرر النسائي استنفدت تماماً العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة، وحلّت محلّها العلاقة الشاذة بين المرأة والمرأة، واستسلم الرجل لجنوح الحركات التحررية النسائية فغابت هيئته، وأصبحنا نسمع عن لص نقل إلى غرفة الإنعاش لأنه تسلل في الفجر إلى بيت يسرقه فظنته ربة البيت زوجها عائداً من سهرة.

كذلك من الملاحظ أن الأنوثة تنحسر عن النساء ببطء في العالم كله، فالمرأة تواجه مرحلة خشونة الخروج إلى العمل، والأيدي الناعمة لم تعد ناعمة، وطبيعة الاندماج مع الرجل في العمل جعلت المرأة تخشوشن وتحاول أن تكسب الكثير من صفات الخناشير، فنجحت المرأة في اكتساب السلوك العدواني، وتباهت بالعنف، لكنها كانت حريصة وواعية تماماً، فلم تكسب من الرجل أهدأ صفاته، وهو الهبل الشديد أمام الجنس الآخر.

المرأة والهدف

المرأة - قبل اختيار الزوج - تعطي نفسها فرصة المفاضلة بين الذين يخطبون ودها، والرومانسية يأتي ترتيبها العاشر في المفاضلة، حبيب الأمس الذي كانت تلقاه بالتنهيدات راحت عليه وظهر في الصورة شخص جديد تمامًا؛ لأن المرأة تختار أولاً مصلحتها، فهي التي ستواجه اقتصاديات البيت وإدارته، والأولوية عندها للرجل القادر على النهوض بمسئولياته المادية، فإن تصادف واجتمع الحب والفلوس معاً فهذه زيجة مثالية، وإذا غاب الحب وحضرت الفلوس فهي قادرة على إقناع الرجل بأنه حبه الذي لم تصادف حباً قبله ولن تصادف حباً بعده، فالمرأة إذا لم تجد مَنْ تحبه مثلت الحب على مَنْ تجده.

وهذا هو الفرق بين الرجل والمرأة، والمرأة تعرف ماذا تريد من الرجل، بينما الرجل ليس لديه أي خطة واضحة تجاه المرأة التي يلتقي بها، فهو يبدأ علاقة عشية تستهدف التسلية، ثم يجد نفسه - إن شاءت هي - يمشي في شارع الزواج، ولذلك يمكن القول بأن قرار الزواج الذي يتخذه الرجل هو نتيجة مجهود شخصي بحث بذلته المرأة وحدها.

وإذا كنت ترى في خطبتها لغيرك مثلاً غدرًا بك لأنها فضّلت المصلحة على الحب، فالرجل - من جانب آخر - دائم الغدر بطبعه، فمن عيوب الرجل أنه أهبل وعلى قدر كبير من التخلف العقلي أمام المرأة التي يحبها، وهذا الهبل هو مكمّن الخطر الحقيقي في الرجل، فهو يندفع في حبه دون مشاعر أصيلة أو عميقة، ولكن الذي يجتذبه إلى المرأة حواس جائعة تهدد بعدم الاستقرار عند الشبع، ولذلك فإن أكبر ما تعانيه المرأة هو افتقاد الأمن النفسي تجاه الرجل وشعورها الدائم بأنه سوف يغدر بها وأنها مهددة بامرأة أخرى مجهولة، وعندما يتصل الأمر بخيانة الرجل وغدره تتحدث جميع الزوجات بأسلوب واحد، بينما يختلف رد الفعل بين استعمال حق الطلاق وبين استعمال الساطور.

هل هو خبث الرجل؟

رجال زمان لم يكونوا أفضل من رجال اليوم لأنهم وضعوا قواعد الإتيكيت التي تحيط المرأة بمظاهر الاحترام من جانب الرجل، المرأة مكفولة الاحترام دائماً في أي مجتمع متحضر، وقواعد الإتيكيت التي تطالب بها المرأة مستوردة من أوروبا، وأرجح أن الذين وضعوها هم في منتهى الخبث؛ إذ جعلوا معظم هذه القواعد في خدمة الرجل.. فالإتيكيت مثلاً يقضي بأن تتقدم المرأة الرجل في المجتمعات، والهدف الحقيقي من ذلك هو إتاحة فرصة طيبة للرجل لكي يمشي وراءها محملاً في ساقها؛ فسيقان المرأة من الخلف أجمل كثيراً من الأمام، وإذا كانت تلبس فستان سهرة طويلاً يغطي الساقين، فإن مثل هذا الفستان يتيح للرجل أن يبخلق في ظهرها العاري الذي تكشف عنه عادة الفساتين السواريه. منتهى اللؤم.

ويقضي الإتيكيت الأوربي - عند نزول المرأة على السلم - أن يمسك الرجل بيدها ويتقدمها درجتين، أما في حالة صعود السلم فيحتم الإتيكيت بأن تتقدمه المرأة درجتين، وفي الحالتين إذا زلّت قدمها بالكعب العالي فهي تصبح في حضنه تلقائياً عند وقوعها. منتهى الخبث.

وقواعد الإتيكيت الأوربية تمنع المرأة من أن تصفع رجلاً في المجتمع وإلا اعتبر تصرفها مستهجنًا وأمرًا أقرب إلى الفضيحة، وقد وضع الرجل هذه القاعدة ليعطي نفسه حصانة خاصة عندما يرتكب - من تحت المائدة مثلاً - أفعالاً تستحق الصفع.

ويقضي الإتيكيت بأن يقدم السفرجي الطعام للمرأة أولاً، وألاً يبدأ الرجل

الأكل إلا إذا بدأتها المرأة، وهي قاعدة حرص الرجال الجنتلمانات على اتباعها حتى تجرّب المرأة الأكل أولاً؛ إذ ربما يكون مسموماً.

وحتت قواعد الإتيكيت على تقبيل يد المرأة عند الاستقبال والوداع، ورسم مصممو الإتيكيت للرجل كيف يمسك بيد المرأة وكأنه يمسك بقطعة حلوى ثم يرفعها إلى فمه ويلثمها، وقيل إن الذي ابتكر تقبيل اليد على هذه الصورة رجل كان يتعيّش من أموال النساء، فكان تقبيل اليد بالنسبة إليه فرصة لا تُعوّض لفحص السوليتير وكام قيراط وهل هو حر أو فالصو.



الاغتصاب الشرعي

إذا كانت المرأة قد توحّشت ونبتت لها مخالب مخضبة بدماء الرجل لا بالأكلادور، فينبغي ألا نهمل الوجه الآخر للمشكلة، وهو أن أكثر ما يستفز المرأة في علاقتها الخاصة بالرجل هو أسلوب الاغتصاب الذي يلجأ إليه بعض الأزواج بغض النظر عن استعدادها الجسماني أو النفسي أو العصبي، فهي لعبة كل ليلة، وهي تسلية جاهزة ومجانية، وبينما يعتقد الرجل أنه يمارس حقاً مشروعاً، ترى الزوجة أنه سوء استعمال حق وعدوان على مشاعرها واحتقار لإنسانيتها، إن تسعين في المائة من الزوجات على الكرة الأرضية يُصبن بالصداع عندما يأوين إلى الفراش، وفي المقابل نرى تسعين في المائة من الأزواج يصابون بخلل في السمع لا يسمح لهم بسماع هذا العذر.

والمعادلة صعبة وتكاد تكون بلا حل، فالطبيعة زوّدت المرأة بالمفاتيح الجميلة لاجتذاب الرجل، ولا توجد امرأة سيطرت على رجل بغزو عقلي أو فكري أو روحي، بل هي تغزوه بمفاتها؛ لأن الرجل يحب بعينه. خلفة رينا. ركة عارية تشد انتباهه. ميكروجيب يقلب كيانه. بكيني يصيبه بلوثة، والمرأة تعرف ذلك، ولهذا يساندها مصممو الموضة في تعرية نفسها، والرجل هو الرجل.. يتساوى في ذلك الصعلوك والعظيم: سوكارنو وزوجته اليابانية راتونا ساري التي كانت تستثمر مفاتن جسدها كموديل للمصورين، هتلر وإيفا براون الجميلة التي لم تنل أي نصيب من التعليم، بيرون ديكتاتور الأرجنتين وإيفا المغنية المتواضعة، ماركوس وإيميلدا الغانية، ماو تسي تونج والممثلة المغمورة شيانج شنج، والأمثلة كثيرة، والذي يقرأ مثلاً رسائل نابليون إلى زوجته جوزيفين يرى بوضوح كم كان نابليون يتعشق مفاتها رغم كل خياناتها، فالرجل بريالة أمام

أنوثة المرأة، سواء كان هذا الرجل نابليون أو حناطة، وإذا كانت مفاتن المرأة هي السلاح لغزو الرجل، فهو ينقلب إلى سلاح ضدها عندما تعتذر للرجل بأن عندها صداعًا، وعندما يصم الرجل أذنيه عن هذا العذر كانت جدتي زمان تدعو في سرها: «روح ربنا يهد حيلك»، أما اليوم فقد أعلنت المرأة التعبئة العامة، تعبئة الرجل في أكياس.



شركة لها شروط

العلاقة الطيبة مسئولية الزوجين، فالزواج الناجح يتوقف بنسبة خمسة في المائة على ما يصدر من كل طرف، وخمسة وتسعين في المائة على أسلوب كل من الطرفين في تقبل أفعال الطرف الآخر، وهذا ممكن جدًا بالنسبة للذين يتحلون بنعمة العقل، ولكن من أشق الأمور على الإنسان أن يكون زوجًا - أو زوجة - وعاقلاً في نفس الوقت.

كثير من الزوجات لا يدركن أن الزوج مدرب تمامًا على طاعة المرأة بحكم العلاقة بالأم، وحتى في العلاقة بالأم نرى الولد يضمّر لأمه نوعًا من التمرد والعناد باعتبارها قوة متسلطة تكبح جماحه، فما بالك إذا كان التسلط من جانب الزوجة؟ لذلك ينبغي على الزوجة الذكية أن تحكم الرجل بديكتاتورية غير سافرة بأن تعطي له حق الههبة.

تتطلب ليونة العلاقة بين الزوجين قدرًا كافيًا من الانسجام النفسي، لكن المشكلة أن المرأة دائمًا باسمة والرجل غالبًا عبوس نكدي، كما أن فرص الراحة النفسية والبدنية غير متكافئة بين الاثنين، فالمرأة مثلًا أعمق نومًا من الرجل، وجسم الرجل لا يعمل كيميائيًا بنفس كفاءة جسم المرأة، كما أنه أقل مقاومة للأمراض ولا يستطيع تحمل التقلبات الجوية كالمرأة؛ فهي تتمتع بطبقة شحمية تحت الجلد، هذا بالإضافة إلى أن الرجل أكثر عرضًا - بنسبة خمسة أضعاف - للحالات الهستيرية والعصبية، والرجل أخيرًا - وهذا خبر سار - أكثر استعدادًا للانتحار، وهو بذلك يوفر مشقة ذبحه وتعبته في أكياس.

وهناك أزواج تغلبوا على مشكلة الأعصاب المتوترة، بأن يروض الزوج نفسه
على كبت ثورته، وعلى الصبر، وأن يعد من واحد إلى مائة ثم ينفجر باكياً.
لكن رغم هذا كله ممكن جداً لكل زوج - أو زوجة - أن ينعم بلحظاتٍ من
الهدوء والسعادة إذا استيقظ قبل الآخر.



أنفة الحب

إذا قال رجل عن امرأة إنني أكرهها فهو يحبها، وإذا انتوى الانتقام فهو يعشقها، وإذا فكرت هي في قتله فهي تعبده؛ لأن الحب يتنكر وراء أقنعة عديدة، بل إنه قد ينسج خيوطه الأولى أحياناً متخذاً شكل النفور والاستفزاز، ولذلك قيل: «ما محبة إلا بعد عداوة»، والحب في كل أطوار تشنجاته وغضبه يضع أقنعة الكراهية أو الخصومة المتهورة أو الانتقام، ولكنه في جوهره حب، فعطيل كان يقتل ديدمونة ويخاطبها - دون أن يشعر - قائلاً: «يا حبيبتى»، وبيتهل إلى الله أن يرحمها، والحب يخلط كل أقنعتة عندما يهدأ ويموت، فإن الإنسان يعرف أنه شفي من الحب إذا التقى بها والتقت به والمشاعر هادئة، محايدة، غير منحازة، وكأنه لقاء زوجين في البيت.

وشيء طبيعي أن تكون أعاصير الحب سببها الغيرة، والغيرة تكبر أو تصغر وفقاً لحجم الثقة بالنفس، ولهذا لا يعترف إنسان - رجل أو امرأة - بأنه يغار على الآخر، لكن مهما أنكر العشاق الغيرة فإن كثيراً ما تفضحهم صفحة الحوادث.

والمرأة تفتقد دائماً الأمن والاستقرار تجاه الرجل؛ لأنها تعرف جيداً أنه عبيط يمكن أن تستولي عليه امرأة أخرى بغمزة عين، فإذا كانت الغيرة عند الرجل موقفاً انفعالياً قد تُحتم أحياناً رجولته أن يحسمه بالفراق، فإن الغيرة عند المرأة - بافتقادها للأمن - اضطراب عقلي حقيقي تصدق معه كل ما يخطر على بالها من هواجس، والغريب أن هناك الرجل الساذج الذي يسعد بجنون الغيرة عليه ويتصور بغروره أنه أصبح بطلاً دون أن يدري أن غيرتها المجنونة عليه يمكن فعلاً أن تجعل منه بطلاً محمولاً على الأعناق في عمر مكرم.

أنت في حالة زواج

- يتحول الغرام الحامي إلى حالة زواج عندما:
- تبدأ هي في المقارنة بينه وبين الذين طلبوا يدها.
 - يبدأ هو في البحث عن سبب وجيه للزواج منها.
 - تشعر هي أنها تفتقد الكتف التي تضع رأسها عليها.
 - يتظاهر هو بأن كتفه مصابة بالروماتيزم.
 - تسترجع عهد الخطوبة أيام كان يجلس معها إلى منتصف الليل.
 - يعود هو من الخارج عند منتصف الليل.
 - تتذكر هي كيف كان يبدو كالأبله وهو يجري خلفها ليخطب ودها.
 - يتحقق هو أنه أيام كان يجري خلفها كان أبله فعلاً.
 - تبدأ هي تحار في معرفة حقيقة مشاعره.
 - يبدأ هو في إخفاء حقيقة دخله.. ويغادره الشعور بأن مجرد رغباتها أوامر.
 - ترغمه على تحقيق مطالبها عن طريق اللجوء السياسي إلى بيت أمها.
 - يبدأ هو في سياسة ترشيد القبلات.
 - تبدأ القبلة تتحول عندها إلى أمنية.

منه تخين

الرجل في علاقته العاطفية بالمرأة بطيء الفهم، فالمرأة لها لمحات وإيماءات خاصة لا يفهمها الرجل، بينما هي تفهم الرجل وتتيقظ لكل كلمة أو نظرة منه، ولديها القدرة على تمييز رجل - وسط عشرين رجلاً - تلمح في نظراته اهتمامًا خاصًا، وهي أيضًا قادرة على قراءة أفكار رجل ينظر إليها في صمت وتتمنى لو قالت لحظتها لمثل هذا الرجل: يا قليل الأدب يا سافل.

ومن أسباب بطء الفهم عند الرجل أنه يركز تفكيره على الناحية الحسية بينما المرأة تستغرقها المشاعر الرومانسية الرقيقة ورسم الخطة المحكمة للإيقاع به زوجها، وكلما تغلب الجانب الحسي عند الرجل تعذر عليه الفهم والاستجابة، وصحيح أن المرأة هي التي تقود العلاقة العاطفية، ولكن تصرفاتها يجب أن تبدو ظاهريًا، كرد فعل لتصرفات الرجل، ولذلك فهي تواجه مهمة صعبة لأنها تنتظر منه دائمًا أن يفهم وأن يأخذ زمام المبادرة بلباقة، لكنه لبطء فهمه كثيرًا ما يفسر مواقفها بأنها غير مهتمة به فينصرف عنها وهذا ما لا تريده هي أبدًا، فالمرأة تعرف أن الأمر لو ترك للرجل فإنه لن يفكر أبدًا في الزواج.

إن المرأة بأدوات أنوثتها من دهاء ومناورات ومواقف تحتاج إلى رجل يفهم بسرعة متى تعني لا عند المرأة نعم، ومتى تعني نعم لا، ويجب أن نعذر للرجل بطء فهمه أمام امرأة تبدو حقًا صعبة الفهم، فهي تقاوم القبلة الأولى مقاومة عنيفة، ولكنها تحرص جدًا على ألا تحرم نفسها منها!

أعداء المرأة

لا يوجد رجل يمكن أن يوصف بأنه عدو المرأة؛ فالرجولة فروسية، ومشاعر العداة للجنس الآخر ليست فروسية، بل هي مرض وعقد نفسية، والرجل قوي بقدر ما يستطيع أن يستغني، لكنه مهما بلغ من قوة فإنه لا يستطيع أن يستغني عن المرأة لأنها ضرورة جوهرية لحياته، كما أنها ضرورة أيضا لوفاته باعتبار أن لكل وفاة سببًا.

ولعل أفظع ما قيل في عداة المرأة هو ما كتبه الكاتب النمساوي أوتو فيننجر في أوائل هذا القرن من أن المرأة لا خلاق لها وعبدة لشهواتها وأنها أساس التحلل والفساد، وقال فيننجر - وهو يهودي - إن النساء كاليهود تمامًا، فاليهود يعبدون المال وهم بلا ضمير ولا أخلاقيات وموهوبون في المكر والخديعة نتيجة الاضطهاد الطويل، وعصير اضطهاد النساء جعلت كيدهن خطرًا ومدمرًا.

غير أن هذه النظرة إلى المرأة تأتي أقرب إلى الحكم الانفعالي، فقد وردت هذه الآراء في كتاب فيننجر «الجنس والأخلاق» وعمره 23 سنة، وهي سن مبكرة جدًا لفهم المرأة، كما أن موته متحيرًا يؤكد أنه إنسان غير سوي، ولو طالبت الحياة بفيننجر لرجع عن آرائه، فحياة الرجل مع المرأة تحت سقف واحد تجعله يتوب إلى الله.

لكن يمكن أن يقال إن هناك صراعات بين الرجل والمرأة لا ترقى إلى مرتبة العداة؛ فهي صراعات تحكمها علاقة انفعالية اسمها الحب، والحب بين المرأة والرجل هو في حد ذاته صراع، فالحب يتنكر وراء أقنعة كثيرة، أحيانًا يضع قناع النفور، وأحيانًا قناع الغضب، وأحيانًا قناع الانتقام، فعن الحب نقرأ أحلى الرومانسيات في الكتب، وعن الحب أيضًا نقرأ أغرب الأخبار في صفحة الحوادث.

وللعجب مراحل

الحب الأول أو حب المراهقة ليس بذئ تأثير فهو يبدو لنا دائماً كحلم أو منام ضاع الكثير من تفاصيله، وأفضل ما في هذا الحب الأول أنه لا يؤدي أبداً إلى الزواج.

والحب الثاني قد يقع في عنفوان الشباب، حيث تتعجل المرأة الحصول على عريس بينما قد يصاب الرجل في تلك المرحلة بعمى الأشخاص، وكما يخطيء المصاب بعمى الألوان في التمييز بينها تتدخل عوامل الاندفاع وافتقاد التجربة في اختيار الشخص الخطأ، ويُقال إن الزيجات المترتبة على هذا الحب تقع فيها ثلاث حوادث طلاق في كل خمس زيجات، وتستمر الزيجتان الباقيتان بسبب عدم توفر مؤخر الصداق مع الزوج.

والحب الثالث قد يطل مع سن النضوج العاطفي عندما يتعلم الرجل أن يعطي بسخاء وتصبح ردود أفعاله مع الطرف الآخر تتسم بالتفهم وتقدير الظروف، ومع أن هذه أفضل مراحل الرجل إلا أن المرأة قد لا يرضيها هذا الرجل، فكما تشكو المرأة من الرجل اللعوب فهي تضيق بالرجل الطبع الذي لا يثير غيرتها وربما يثيرها بسرد غراميات سابقة له، وربما تكون كل هذه الغراميات من تأليفه، فالرجال يميلون كثيراً إلى اقتباس صفحات من مذكرات كازانوفا، فإذا كان ما رواه صحيحاً يبرز سؤالك: إنني أخشى أن تنتهي قصته معي كما انتهت القصص الأربعة السابقة، والجواب هو أن الحب يولد لأسباب غير مفهومة لكنه ينتهي لأسباب قوية كتطور شخصية طرف دون الآخر، أو اكتشافها أنه متزوج، أو اكتشاف كل طرف لندالة الآخر.

ملكة العشق

فوجئت وأنا أشاهد التلفزيون بأن هناك فيلمًا عالميًا آخر عن كبرى عاشقات التاريخ كليوباترا غير فيلم إليزابيث تايلور، وعجبت لأن السينما الأمريكية تحتفل بالتاريخ المصري القديم فتقدم أفلام «كليوباترا»، «بن هور والمصري»، وغيرها، بينما السينما عندنا لم تفكر أبدًا في الاقتراب من تاريخنا الفرعوني.

ونحن نشكر للسينما عندنا أنها لم تقترب من تاريخنا الفرعوني، فهذا يحفظ لتاريخنا عظمته وجلاله، لكن ينبغي القول بأن السينما عندنا لم تتجاهل تمامًا تخليد قدماء المصريين، فقدمت مشكورة أفلام زوبة الكلوباتية، وبسيمة شخاليل، وغيرها، ثم لماذا كليوباترا بالذات؟ ولماذا هي فذة؟ إن كليوباترا لا تمت لمصر بصلة، فهي يونانية لحمًا ودمًا واسمًا أيضًا، ومعنى اسمها باليونانية: سيدة الجميع، أو ست الكل، ومن المؤسف أن هذه الملكة غير المصرية حظيت - عن طريق سوء السير والسلوك - بشهرة تاريخية طاغية تفوقت على شهرة ملكات مصريات فاضلات كان لهن أسمى قدر ومكانة عند المصريين مثل: تي، ونفرتيتي، وحتشبسوت، ولقد أسرفنا في تخليد هذه الغانية اليونانية بلا معنى، فأطلقنا اسمها على حي كليوباترا بالإسكندرية، وكليوباترا المحطة، وكليوباترا الحمامات، وبلاج كليوباترا، وكليوباترا سوبر، وكليوباترا عبد الوهاب، مع أن تاريخها الحقيقي مع المصريين كله محن وآلام مما دفعهم إلى الثورات المتوالية في وجهها حتى فرّت ذات ثورة متخفية من الثوار وسط بدو الصحراء، لكن الفن لا يذكر شيئًا عن نضال المصريين ضد حكمها ويكتفي بسرد غرامياتها، والفن أيضًا رسم لها صورة رومانسية أخاذة تخالف واقعها تمامًا؛ إذ يقول عنها المؤرخ بلوتارك الذي عاصرها إنها كانت سوقية الألفاظ وغير مهذبة، وإنها كانت تتبادل

مع أنطونيو النكت الخارجة بألفاظ بذيئة، لكنه الفن الذي يضفي دائماً لمسة الجمال، فالفن هو الذي صوّر لنا مجنون ليلى في وسامة الممثل أحمد علام وصوت محمد عبد الوهاب، مع أن قيس الحقيقي مضت عليه السنون في الصحراء دون أن تمتد إليه يد حلاق تغير من شكله الغورييلي، ودون أن يستحم طبعاً، والفن أيضاً هو الذي حول سيدة إيطالية اسمها مدام فرانشسكو من سيدة هبّ فيها «وابور سبرتو» مسح حواجبها إلى لوحة خالدة اسمها الموناليزا.



أحبك!

جاء إلى الوطن يزور الأهل ورآها، ووقع في هواها، غير أن أهلها رفضوا أن تسافر معه إلى المهجر، فترك النجاح والثروة وعاد من أجلها إلى الوطن ليبدأ من جديد، وصبر، ونجح، وتفوق، وعاش وعاشت معه في أحلى حلم على أرض الواقع، ولم يحتمل شرود النظرة الحزينة في عينيها، فاصطحب شقيقها إلى الخارج، وتبرع له بكليته، ونجحت العملية، وعادت الابتسامة تضيء وجهها وقد تضاعف حبها له، كيف يمكن أن تكافئ هذا الرجل؟ إنها مهما فعلت فلن تستطيع أن تجاري هذا العطاء الخرافي المتدفق.

في السنة الثالثة ظل الحب بينهما متوهجًا ورائعًا وكأنه في شهوره الأولى، ثم بدأت تفتعل خلافات تتيح لها البكاء، وذات مرة ذهبت إلى بيت أسرتها وانفجرت في حضن أمها باكية لتفصح - للمرة الأولى - عن مشكلة حياتها الأليمة.

مشكلة حياتها أنه طوال السنوات الثلاث لم يقل لها ولا مرة: أحبك!

صدّق أو لا تصدّق.

إنني شخصيًا أصدق، وأتلمس العذر لهذه الزوجة، ويجوز أن الزوج لم ينطق بهذه الكلمة لأن الناس - في نظره - ابتدلوها، وقد يرى أن حبه أكبر وأروع من أن تعبر عنه بكلمة رخصت كثيرًا، لكنها - في كل الأحوال - أحلى كلمة تتعطش لسماعها المرأة في كل وقت، فالمرأة بالنسبة لهذه الكلمة ذاكرتها «تيفال» لا تلتصق بها كلمة أحبك، ولذلك فهي تحب أن تسمعها كثيرًا في كل حين وهي

تفضل أن يكون الرجل كساعة الحائط يدق لها كل ربع ساعة بكلمة أحبك،
فالمرأة فقيرة الثقة بالرجل، ومهما كان رصيدها من الحب عنده فهي تجدد ثقتها
بالرجل ساعة بساعة، وكلمة أحبك هي المؤشر على وجود الرصيد مهما كانت
الأفعال تؤكد وجوده، وحتى في أحلى لحظات العطاء عند الرجل يساورها
الشك بأنه يغطي بعطائه خيانة من خلف ظهرها (وهذا ما يحدث غالبًا).



عاصمة الرجل

الجيب هو عاصمة الرجل، فهو أهم موقع إستراتيجي تسعى المرأة للاستيلاء عليه، وكما يُقال في البلاغات الحربية: وتقوم قواتنا بتطهير الجيوب من فلول العدو، يُقال أيضًا: وتقوم الزوجة بتطهير الجيوب من فلوس العدو، والحب يرتبط ارتباطًا هامًا بحالة الجيب عند الرجل في مختلف مراحل العمر، فالطفل يحصل على الحب بلا مقابل، والشاب يحصل عليه بالوعد بالزواج بما فيه من مهر وشبكة وشقة، والعجوز يشتريه بالفلوس.

ولا تصدق أن هذا العصر بالذات هو عصر المادة، فكل زمن هو زمن الفلوس، وستي تقول في أمثالها من قديم الزمان: «اللي معاه قرش يساوي قرش»، و«بمالي أعمل ما بدالي»، و«صاحب القرش صياد»، وإذا قيل لها إن ست الحسن والجمال أحبت الشاطر حسن وتركت ابن السلطان، رفعت ستي حاجبًا وأنزلت الحاجب الآخر ومصممت شفيتها قائلة: «كل شيء جايز حتى حَبَل العجايز».

وتفتيش جيب الرجل عادة زوجية قديمة قَدَم اختراع الجيب، ولم تفلح محاولة واحدة لوقف هذا التفتيش، كذلك الرجل الذي ظل يضع في كل جيب من جيوبه نسخة من قصاصة جريدة مكتوب فيها: رجل يقتل زوجته لأنها تفتش جيوبه، حتى ذهب إلى عمله ذات صباح فوجد في كل جيب نسخة من قصاصة أخرى تقول: زوجة تقتل زوجها بالسم لخيانته.

والزوجة مضطرة إلى هذا التفتيش لأن جيب الرجل هو النافذة التي تحاول أن تطل منها على مسلكه الاقتصادي، فالمعروف أن الزوج - في ظل الحكومة

الزوجية - مؤمم وحيازته لمال خاص غير معلن عنه تشكل جريمة ضد المبدأ
الدستوري النسائي الشهير «قصصي طيرك لايلوف بغيرك»، وقد يؤدي فحص
المنديل في جيب الرجل إلى معلومة جديدة هي أنه يكره اللون الأحمر ويسعى
دائمًا إلى مسحه وإزالته بذلك المنديل، إن جيب الرجل قد يكشف عن هواياته
خارج البيت؛ إذ قد تدل أوراق متناثرة في الجيوب على أنه من هواة جمع أرقام
التليفونات وينوي تأليف دليل تليفون حريمي، والمؤسف أن الرجل لا يصبح
على مستوى المسئولية في ممارسة هذه الهواية عندما يُضبط متلبسًا برقم تليفون
في جيبه، فما إن تسأله هي: ما هذا الرقم؟ حتى يرتبك، ثم يزعم أنه رقم رخصة
السلاح أو رخصة البناء أو رخصة السيارة أو أي رخصة، فتمد يدها إلى قرص
التليفون وتدير رقم الرخصة، وما إن يرد عليها صوت ناعم حتى تقول الزوجة:
«يا سلام سلّم الرخصة بتكلم»!



في التشريح؟

إن الرجل يتمتع بمميزات خلقية أو فسيولوجية تجعله سوبرمان بالنسبة للمرأة، وفيما عدا النواحي البيولوجية المعروفة، فإن المرأة لا تختلف عن الرجل من الناحية التشريحية، إن عين الرجل وأنفه وفمه مثلاً تعتبر بروفات أولية لأشياء أجمل وأرق وأدق هي عين المرأة وأنفها وفمها.

خذي مثلاً رقبة الرجل: كلها شعر ومنظرها مزعج، بينما رقبة المرأة لها وظيفة جمالية ووظيفة اجتماعية أيضاً، فهي مصدر رزق للجواهرجية، بينما رقبة الرجل لا تعتبر مصدر رزق لأحد إلا في حالة واحدة نادرة، وذلك عندما يكسب منها عشماوي عشرة جنيهات عند شنق الرجل وقطم رقبتة، كذلك نلاحظ أن رقبة الرجل تتوسطها تفاحة آدم، وهي رمز للتفاحة التي غيرت مجرى الحياة البشرية منذ بدء الخليقة، ووجودها في منتصف رقبة الرجل يرمز إلى أنها وقعت في زوره، فلا طال سماء ولا طال أرضاً.

وصحيح أن التشريح لا يختلف، لكن تبقى دائماً الوظائف المتعددة لعين المرأة وحواجبها وأذنها وفمها وشعرها ويدها.. حتى الأظافر، فكل هذه الأعضاء تفتح ملايين البيوت للعاملين في مستحضرات التجميل، كذلك نلاحظ اختلافاً واضحاً في الوظائف الطبيعية، فالرجل يستخدم عينه أساساً للبصبة وأحياناً للإبصار، بينما المرأة تستخدم العين استخدامات متعددة تحدت عنها الشعراء والرومانسيون وعلماء الجفون والرمشيولوجي، غير أن أهم وظيفة تبقى للعين النسائية هي أنها أقوى وسيلة لتحقيق كل ما تريده المرأة من الرجل عن طريق ضخ الدموع في العين، وهناك اختلاف تشريحي بسيط وهو أن عين الرجل

يعلوها حاجب كثيف بينما الحاجب النسائي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة بعد
غسيل وجهها.

ويمتد الاختلاف في الوظائف الطبيعية إلى الأذن أيضًا، فالرجل يستخدم
الأذن للسمع وتستخدمها المرأة لتعليق الحلقان، كذلك تختلف المنافذ الداخلية
في أذن المرأة عن أذن الرجل، فالسر الذي يُهمس به إلى الرجل يدخل إلى أذنه
ويخرج من الأذن الأخرى كأنه لم يكن، بينما السر يدخل أذن المرأة ويخرج
فورًا من فمها!



سندريلا.. والزوجة

إن الحب يبدأ باتفاق الرأيين فيرى كل منهما في الآخر الإنسان الوحيد في العالم الأجمل والأرق والأكثر حنانًا، ثم يتوغلان في سنوات الزواج، فيتحد رأي الاثنين أيضًا: هو يرى أنه اختار الشخص الخطأ وهي تراه كذلك!

وقد يرى هو أنها لا تزال السندريلا وحلمه الرومانسي الكبير بينما تدرك هي أن زواجها منه هو أكبر مقلب، لكن في معظم الأحوال تدهش هي كثيرًا من عاشق الأمس الذي كان يقول لها أحلى كلام ثم تدريجيًا أصبح مملًا وعصبيًا، كذلك الزوج الذي قالت زوجته لصديقاتها إنها لا تراه طوال الأسبوع إلا ساعة واحدة فلما أبدت الصديقة إشفاقها قالت الزوجة: لا الحمد لله الساعة بتفوت بسرعة.

فالرجل هو الذي يبدأ في التغيير العاطفي لكن المرأة تتميز عن الرجل بأنها مزودة بقدره فطرية عالية على الصبر والتحمل وامتصاص الصدمات، وكلها من ضرورات الأمومة، وهي قادرة دائمًا على التكيف مع المواقف الجديدة كأنما تتوقعها، وهي تدرك أن الرجل صانع الأمان في حياتها هو أول من يهدد هذا الأمان، ومنذ الأزل والرجل يحب بحواسه بينما المرأة تحب بمشاعرها، ومنذ الأزل وهي تخوض معركة تقليدية تتحدث عنها ستي في أمثالنا الشعبية قائلة: «أنا فيك بادادي وانت بتقطع أوتادي»، و«برّه وجوّه فرشتك وانت مايل وإيه يعدلك»، وترجمة هذا المثل: يا زوجي العزيز أنت ندل!

هل من الغريب بعد ذلك أن تُطَيَّر وكالات الأنباء خبرًا من بنجلاديش
عن مظاهرات الأزواج المضروبين ضربًا وحشيًا مع التعذيب والمسيرات
والمظاهرات التي تطالب بوقف عدوان الزوجات؟ وهل من الغريب أن تنقل
الوكالات من سيول كوريا عن 386 زوجًا ضربتهم الزوجات ضربًا قاتلاً نَجَمَت
عنه كسور وجراح وعاهات مستديمة؟ وهل نعجب إذا خصص يوم 11 فبراير
من كل عام ليكون عيد النصر النسائي وذكرى أول امرأة عظيمة وضعت زوجها
في كيس.



ضرب الأزواج

منذ سنوات كتبت أقول بأن الرجل سوف ينقرض، وأن المرأة - قبل تلك المرحلة - سوف تستولي على العالم وسوف تكون هناك ديكتاتوريات نسائية مستبدة تملأ المعتقلات بالرجال حيث التعذيب وغرف الغاز، وقد تسلك حكومات النساء مسلك العناكب والنمل والنحل في قتل الذكر بعد التزاوج مباشرة، فيضم جهاز العروس مسدسًا تفرغه في دماغ العريس بعد ليلة الزفاف، وقد تعتمد بعض الحكومات النسائية إلى أن تجبر الرجل على أن يرتدي زيًا خاصًا بلا ياقة حتى يسهل لكل امرأة في الشارع ضربه على قفاه.

ولقد أوردت وكالة رويتر تقريرًا صحفيًا يؤكد أن تلك النبوءات قد ظهرت بوادرها؛ إذ نقلت الوكالة من داكا عاصمة بنجلاديش أن أفواجًا هائلة من الأزواج المقهورين طلبوا حماية السلطات بعد تعرضهم لضرب مبرح، وتعذيب غير إنساني ومستمر على أيدي زوجاتهم، وأضافت رويتر أن لجنة جديدة لمقاومة تعذيب الرجل نظمت مسيرة في مدينة زانجبور - شمالي بنجلاديش - انتهت بتقديم 14 طلبًا لحاكم المقاطعة من بينها تشكيل محكمة خاصة للنظر في حوادث العنف والإيذاء البدني الشديد التي يتعرض لها الأزواج إضافة إلى الإذلال والقهر النفسي!

ولفرط بشاعة التقرير الصحفي الذي أوردته رويتر أتخيل زوجًا تعيش هائمًا على وجهه وقد تنكر في زي امرأة حتى لا تتعرف عليه زوجته، وأتصور زوجًا آخر قد فر إلى بيت أمه يحمي بها فوجدها قد كتفت والده بالحبل.

اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه، والله أكبر على كل من طغى وتجبر.

المرأة مفتاح العلاقة

يقول المثل الشعبي: «المركب اللي فيه ريسين يغرق»، إلا الحب، فهو المركب الوحيد الذي يحتاج إلى ريسين متفاهمين تمامًا، فمن أعقد مشاكل الحب أن الأحداث فيه لا تقع بإرادة منفردة، بل لا بد من تناسق وانسجام رأيها ورأيه، وهو أمر يتطلب أعلى درجات التفاهم ليسير مركب الحب، بعكس مركب الزواج، فبعد قليل من زمن الزفاف يسود الحكم الشمولي البيت ويختفي الرأي الآخر ويتحول الزوج إلى شُرَّابة تُخرج.

وفي الحب، المرأة هي التي تقود العلاقة من الموعد الأول إلى نهاية الشوط عند المأذون؛ لأنها هي التي تعطي الرجل الضوء الأخضر ليستمر أو الضوء الأحمر ليتوقف، فهي التي تتحمل مسئولية الإبقاء على الحب أو تدميره؛ لأن الرجل لا يملك الفعل، بل رد الفعل لتصرفاتها، فهو لا يستطيع مثلًا أن يفعل شيئًا إذا امتنعت عن الرد على مكالماته، ثم هو لا حول له ولا قوة إذا عرف أن سبب امتناعها هو أنها خُطبت لرجل ذي زلمكة.

وقد لا تحسنين فهم رجلك لأنك لست مجربة، إن الرجل يعتقد أنه جنس متفوق ومتسيد ومسموع الكلمة، وهو يحرص أمام المرأة على تأكيد هذا الوهم ولو من باب الاحتفاظ بالشكل والمظاهر، والمرأة المجربة تعرف ذلك، وتعرف أن العنف معه يعقد المشكلة أكثر، وإن كثيرًا من النعومة وبعضًا من مظاهر الحنان الأنثوي (المظاهر تكفي وليس الحنان نفسه) كفيلة بترويضه تمامًا، فأمام النعومة ودفء الجمال تنشط بشدة عند الرجل تلك الغدة التي تفرز عبطًا. لقد قيل إن الرجل أمام المرأة المعشوقة يتحول إلى طفل، هذا غير صحيح، فقد أثبتت الدراسات أن الطفل يفكر ويميز وليس حمارًا.

المرأة تختار بعكسة

الرجل يقع في هوى المرأة بنظرة عين، ومفاتن الأنثى لها عنده الأولوية وآخر ما يفكر فيه هو عقلها، وفي بلاد تركب الأفيال جمال المرأة عند الرجل هو الأهم وما داخل الجمجمة لا يهم، وفي بلاد لا تركب الأفيال تعقد للمتقدمات إلى الوظيفة اختبارات الذكاء والشخصية والثقافة، وبعد فحص النتائج يأمر المدير بتعيين البنت الشقراء.

والذي يحدث غالبًا أن الرجل يتعرض للمأزق الحاد المعهود عندما ينحسر عنه الانبهار بالجمال، ولا يبقى منها إلا تفكير متواضع أو رأس غبي أو عقلية مثيرة للمتاعب.

وإذا كانت مفاتن المرأة هي مركز الجاذبية عند الرجل، فإن المرأة أكثر حكمة عند الاختيار لأن الرجل يحب بعينه والمرأة تحب بمصلحتها مدفوعة في ذلك بفطرتها كمستولة عن تكوين العش والأسرة، فهي لا تتجاهل وسامة الرجل، لكن الوسامة عندها ليست كل شيء؛ إذ إنها لا تمنح تأشيرة الدخول إلى حياتها إلا بعد أن تقترب أكثر من شخصية الرجل، إن المرأة تجتذبها الرجولة، ورجولة الرجل هي فروسيته، والفروسية هي حنانه وحمايته واحترامه لها، وفي أحيان كثيرة يجتاز الرجل امتحان الشخصية عند المرأة بنجاح كبير إذا بدا لها بوضوح - من أول نظرة - أنه مليونير.

في المناقشات معها

هناك بديهيات لإرساء حياة زوجية هادئة، لعل أهمها ينحصر فيما يلي:

لا تناقش زوجتك أبدًا، فكل الذين سبقوك عرفوا على وجه اليقين أن أي مناقشة مع الزوجة فيها رأيان: رأي الزوجة والرأي الغلط.

99% من خلافات الزواج سببها الفلوس فأعطيها كل ما تطلب واجتهد في إرضائها بأن تخلق مصادر جديدة لدخلك بالسلفيات.

اطلب رأيها من وقت لآخر في مشكلة تخصك واحرص على الاهتمام الشديد برأيها مهما كنت واثقًا كالعادة أنك لن تعمل به.

لا تناقش خلافاتك معها خارج البيت حتى لا يعرف الناس أسرار حياتكما، ولا تناقش الخلافات داخل البيت حتى لا يعرف الأولاد أنك مثلهم قابل للتأديب.

لا تتدخل في اختيار صديقاتها أو تبدي عدم ارتياح تجاه صديقتها الحميمة، فهي في حاجة إلى صديقةٍ كتومٍ تحافظ على ما تقوله لها من شكاوى وشتائم فيك.

الزوج المثالي يفهم زوجته دون أي كلام من جانبها فإذا رأيتها تقرأ خطابًا بسعادة فتظاهر أنت بالسعادة أيضًا ولا تسألها بضيق كم يومًا ستقيم أمك عندنا. الحياة الزوجية تفتقر إلى إجازة من وقت لآخر حتى تنفرد الزوجة بنفسها وتتاح لها فرصة لتجديد الأشواق وتنفرد أنت بنفسك وتتاح لك فرصة للبكاء.

حرب الأمثال

الحب والزواج في أمثالنا الشعبية يخضعان لتقاليد زمان، فالحب أمام ستي جريمة لأن المثل الشعبي يقرن الحب بالجريمة: «إن سرقت اسرق جمل وان عشقت اعشق قمر»، فالعشق في الزمن القديم يستحق العقوبة كالسرقة، فإن أقدمت على العشق فليكن المعشوق عظيم الشأن جمالاً وفتنة حتى يهون ما سوف يصيبك من عقاب ولوم.

وعن مقاييس الجمال والجاذبية بين الجنسين، فقد كانت المرأة ذات القوام الجميزي ملكة جمال، والمرأة الرشيقة يعبرونها بأنها عصاعيص النقارية، وتقول الأمثال: «الدهن في العتافي»، كما تصف المرأة الرشيقة بأنها: «زي الجارية الملبسة لا دهن ولا جلسة كويسة»، كذلك تقدم الأمثال عينات من العرائس لكل منها ميزتها: «اللي يحب الفنطازية يتجوز التركية، واللي يحب العفية يتجوز الرومية»، وتحذر الأمثال من الزواج من أنواع معينة من النساء مثل: «ابعد عن الحنّانة والزنانة والمنانة والأثانة»، كما يضيء المثل الشعبي النور الأحمر بالنسبة للغانية التي هي لشدة براعتها «تتكحل بإبرة وتتخطط بمسمار»، وعن عوامل الجذب عند الرجل فهي لم تتغير ولا أظن أنها سوف تتغير: «الراجل عيبه جيبه»، «بفلوسك بنت السلطان عروسك»، «اللي معاه قرش يساوي قرش».

وواضح جداً أن الغالبية العظمى من أمثالنا صناعة نسائية، ولذلك فهي تنحاز إلى وجهة نظر المرأة، فهناك في أمثالنا حملة مستمرة على الزوج، فهو فرعون في المثل: «اللي تحسبه موسى يطلع فرعون»، وهو القردي في المثل: «يغور الشهد

من وش القرد»، وهو الحمار في المثل: «الحمار لما يشبع يبعزق عليه»، وهو
الخنزير في المثل: «شعرة من جلد الخنزير مكسب»، وهو الأقرع في المثل:
«جبت الأقرع يونسني كشف راسه وخوفني»..
ومسكين كل أقرع وخنزير وقرد وحمار تزوج!



العشوق إدمان!

العاشق عندنا مطارد من الناس دائماً، ولهذا تجده يصرخ في أغانيها: بتلوموني ليه؟ وعلى إيه بتلومني؟ وليه بيلوموني وياك في حبي؟ كما أن أكثر الكلمات ترديداً في أغانيها هي العذول والعواذل وهم اللاثمون، وواضح أن هناك حرباً باردة بين المجتمع والعاشق، فمن ناحية يعتبر المجتمع عندنا مصاباً بالحوّل في النظرة إلى الحب؛ إذ يسمح بالحب في السينما والتلفزيون والإذاعة، أما في الواقع فالحب في نظر المجتمع عمل طائش يمارسه ولد مفعوص وبنت مقصوفة الرقبة أو رجل أهبل وامرأة تلعب بالبيضة والحجر.

ومن ناحية أخرى يُحدث الحب تغييرات أساسية في شخصية الإنسان إذ إن له أعراضاً تقترب بشدة من أعراض الكثير من الأمراض العقلية، ففيه من أعراض الاكتئاب والهم والغم واضطراب النوم وفقدان الشهية، وفيه من مرض الوسواس القهري القيام بأعمال غريبة يرفضها المنطق، وفيه من البارانونيا الإحساس بأنه مضطهد من الناس ومن أهل المحبوبة ومن أهله قبل الجميع، وفيه من أعراض التخلف العقلي الرغبة في الإقدام على الزواج.

ولهذه الأسباب جميعاً يميل العاشق إلى الانسلاخ عن المجتمع والاندماج تماماً مع المحبوب بعيداً عن الناس الذين يواجهونه بالعداء السافر: فكل مَنْ ينصحه بالبعد عنها عدو، وكل مَنْ يرى أنها لا تليق به قليل أدب، وكل مَنْ يؤكد له أن الحب شيء والزواج منها شيء آخر هو سافل وجاهل ولا يعرف أنها ملاك نزلت له من السماء.

ويزيد الأمر صعوبة أن العشق إدمان، والعاشق مدمن، فهو يدمن الاهتمام
بإنسان، ويدمن التفكير فيه ويدمن لقاءه ويدمن الحديث معه ويدمن الحديث
عنه، والإقلاع عن الإدمان مشكلة، وتكاليف العلاج من إدمان الحب بالذات
باهظة جدًا لكنها مضمونة، فلا علاج للعاشق المدمن إلا في مصحة اسمها
الزواج، وفي تلك المصحة يتوب عن العشق.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.



منهم إلى الأبد!

تهمة الخيانة معلقة دائمًا فوق رأس الرجل، فالرجل عند المرأة إما أنه يخونها أو سوف يخونها.

وهناك مثل صيني يقول: «اضرب بلا سبب ودعها تعرف السبب»، ويقابل هذا المثل نصيحة أخرى نسائية تقول: «اتهمي زوجك بالخيانة بلا سبب وهو بالتأكيد سيعرف السبب»!

وفي الأساطير اليونانية أن أبوللو صاحب الوسامة والشباب الدائم وقع في غرام ماريسا التي فتنته بسحرها، غير أن ماريسا وقد هامت به رفضت في النهاية أن تتزوجه؛ إذ أدركت أنها سوف تشيخ وتصبح عجوزًا بينما أبوللو ذو شباب دائم أبد الدهر، فأصرت أن تتقي شر عذابات الغيرة والخيانة وكل رجل هو أبوللو: عينه دائمًا على المرأة الأجمل والأصغر والأكثر شبابًا، وهو يظل يبصص ويبصص، ولا يعرف أنه بلغ أرذل العمر إلا عندما تشفق عليه امرأة غمز لها بعينه فظنت أن في عينه شللاً!

والمرأة معذورة إذا شكَّت دائمًا في إخلاص الرجل؛ فهي قد شبَّت لتسمع الحكيم والأمثال من الأم والجدة عن الرجل الذي لا يُؤمن جانبه، وهي تعرف كيف أوقعت برجلها في شراكها وكيف يمكن أن توقع به امرأة أخرى بنفس الطريقة، فجهاز المناعة ضد النساء في حالة عطل دائم عند الرجل، يضاف إلى ذلك أن نساء الأرض جميعًا فشلن في عقد ميثاق شرف بالألا تخطف امرأة رجلًا من امرأة أخرى، بل العكس، يعتبر خطف رجل من امرأة دليل على امتياز الجمال وتفوق الأنوثة وسم بدن الأخريات.

ابحث عن نفسك بين أصابعها

الرجل لا يتزوج لأنها مثالية وملائكية وعظيمة. أبدًا. الرجل يتزوج لأن الزواج مرض وراثي أعراضه الحب، وما دام الحب قد جاء فهي مثالية وهي ملائكية وهي عظيمة، فالحب هو الذي يفكر لنا، ونتحمس معه لحماقتنا خصوصًا تلك الحماقة الكبرى: الزواج!

إن نقطة الخلاف الكبرى بين الحب والزواج هي أن كل طرف - في الحب - يفهم شخصية الآخر فهمًا رومانسيًا جميلًا، بينما في الزواج يبدأ كل منهما في فهم الآخر فهمًا واقعيًا أليمًا.

مثلًا، بعض الذين عشقوا كانوا يقدمون الهدايا بجنون، فهي أغلى من أي هدية، وما لبثت أن أصبحت الهدية أغلى منها! وبعض الذين عشقوا - مثلًا - كان يجد متعة كبرى في أن ينصت إليها بالساعات وهي تتحدث في أكثر من موضوع، ثم اكتشف أنها تتحدث بالساعات دون أي موضوع. إن الرجل في علاقته بالمرأة كثيرًا ما يخطئ التقدير، فكل شيء في المرأة خادع: ضعفها الجميل يخفي خلفه قوة، وعينها الحالمة تخفي وراءها دهاء، ويدها الصغيرة تخفي رجلًا يعشقها!

وإذا لم تصدقني فابحث عن نفسك بين أصابعها!

العب يعطك عقلك

لا يوجد شيء اسمه الحب بالعقل؛ لأن العقل وجد للتعامل مع المقادير الجبرية واللوغاريتمات ومعادلات أينشتاين وتساؤلات الفلاسفة، أما العواطف والغراميات فلا أثر للعقل فيها؛ إذ لا يعرف عاشق لماذا أحبها، ولا تعرف عاشقة لماذا أحبت، وتلك حكمة كبرى، فلو كان الحب قائمًا على أسباب فإنه يزول بزوال أسبابه، والحب من طباعه أن يتنكر للعقل، فأجمل ما في الحب أنه أحرق وأرعن وغبي وماندفع وطائش، بدليل أنه يؤدي إلى الزواج.

والإنسان عندما لا يلجأ للعقل، فلا دور للعقل في اختيار مَنْ نحب، وقد نجد مفكرًا أو عالمًا جليلاً يتدله في حب سنية طقطق وسط دهشة الآخرين. كل الآخرين، ففي قصص الحب غير المقبولة من المجتمع نجد عقل العاشق يتغاضى عما يجري أو يقف على الحياد، لكنه لا يملك قوة مؤثرة ليحول بين صاحبه العالم الجليل وبين الزواج من سنية طقطق.

والمجانين في الدنيا ينقسمون إلى قسمين: قسم يقيم داخل أسوار المصححات اسمهم المرضى، وقسم خارج أسوار المصححات اسمهم العشاق، فالحب المجرد من الجنون يفتقد ركنًا جوهريًا من أركان وجوده، والمرأة العاشقة مثلًا تعتبر نصف مجنونة، وإذا تملك منها الغيرة أصبحت «مورستان»، وفي المقابل تريد المرأة بطبيعتها أن يكون الرجل مجنونًا بها، ولهذا تحدث للزوجة خيبة أمل كبرى بعد أيام العسل؛ لأن الزوج لم يعد مجنونًا بها، بل مجنونًا بغيرها.

الثقة المفقودة

كل حب - في عز عسله - مصحوب بالتوتر والتوجس والهواجس؛ لأن
ألعن ما في هذه العاطفة الجامحة هو الإحساس الدائم بالخوف عند كل طرف
من أن يفقد الطرف الآخر، مع أن الذي يحدث غالبًا بين العاشقين - في أحسن
الفروض - هو أن كلا منهما يفقد الآخر بالزواج منه!

والخوف من فقدان الحبيب هو إحدى سمات عدم الثقة بين الرجل والمرأة،
فالمرأة - بالوراثة - لا تثق في الرجل، وتعرف أنه عرضة للضحك عليه من امرأة
أخرى، والرجل ليس أفضل منها في ذلك، فهو يعرف أيضًا أنها قد تختفي من
حياته فجأة - وبدون تفسير - عندما يتقدم لها أول رجل مناسب يطلب يدها،
فانعدام الثقة قائم بين الطرفين وإن كان غير معلن (يتم إعلان عدم الثقة عادة على
مسمع من الجيران بعد الزواج).

الشيء الأغرب أن المشكلة تتعقد أكثر إذا كان الحب حقيقيًا وعميقًا بين
الاثنين ولا مجال للخيانة فيه؛ إذ يعتبر كل من الطرفين أن الطرف الآخر ركنٌ
أساسي في حياته لا غنى عنه ولا حياة بدونه، هنا يتحول الحب إلى حالة
مورستان بسبب الخوف من فقدان الحبيب، ويطلق كل منهما بالونات اختبار
يتمحن بها إعزاز الطرف الآخر له، فيكثر الصد والهجر والخصام والعذاب
والتعذيب، ومين عذبك بتخلص مني، وقوم ياللي شاغلني بيك جرب ناري،
وحرام عليك، وكفاية عذاب، وأروح لمين؟

حرب مشتعلة بين الاثنين، لكنها تهدأ بعد هدنة قصيرة ليستأنف الاثنان حربًا
جديدة رهيبة اسمها الزواج!

رادار المرأة!

المرأة تجيد قراءة الرجل: حركاته، لفتاته، نظراته، ومن بين مائة رجل تستطيع المرأة أن تميز الرجل الذي يوليها اهتمامًا خاصًا في صمت، وهي قد تتطلع إلى رجل غريب في مجتمع، فتري في عينيه نظرة تكاد هي تصرخ معها في وجهه: أنت قليل الأدب!

وقد زوّدت المرأة بهذه الموهبة الفطرية لتصل إلى الرجل الذي يكفل لها الحماية والأمان، لكن ما إن تحصل المرأة على الرجل الذي يوفر لها الأمان حتى تشعر أنها في حاجة شديدة إلى الأمان من خطره هو شخصيًا، فهو إن لم يعترف بخيانتته فهو يخونها من خلف ظهرها، وهو إن لم تظهر عليه أي دلائل على الخيانة فهناك دائمًا شبح امرأة يهددها ويهدد بيتها، وهي في سعيها لاكتشاف الخيانة - الوهمية غالبًا - تجرد الرجل من أي إخلاص، وهي تنقلب من زوجة وحبّية إلى ضابط مباحث ولا عجب بعد ذلك إذا رآته يغسل وجهه سألته: بتتشيك رايح على فين؟

وإذا كنت متزوجًا، وتريد إثارة غيرتها حتى توظف فيها الرومانسية التي كانت أيام الجامعة! رومانسية مين يا صاحبي؟ إن امرأة مثل زوجتك لا تنشد من دنياها إلا الأمان والحنان، إنهما أعلى عملتين عند أي زوجة، وأنت تعجز - كمعظم الرجال - عن توفيرهما لها، فالرجل مع المرأة غبي مرتان، مرة أمام جمالها، ومرة في التعامل معها، فالمرأة في حاجة إلى الحنان أكثر من حاجتها إلى فحولته أو غرامه الحامي، وهي تتوق إلى الأمان عندما يستبد بها إحساس بأن مصير حياتها كله معلق في كلمتين: أنت طالق. فادخل عليها بالحنان والأمان قبل أن تدخلك هي في الكيس.

الأمومة والرومانسية

تتغير صفة الإنسان حسب الظروف أو الموقع، فهو مثلاً في القطار راكب، وفي الضرائب ممول، وفي المستشفى مريض، وفي الإذاعة مستمع، وفي الصحافة قارئ، كذلك هو في أيام الغرام عاشق، وفي شهر العسل عريس وبعد العسل زوج، وقد تلقبه الزوجة بين صديقاتها بأسماء حركية سرية مثل: الكُبة والهباب، لكنه رسميًا يظل يحمل لقب زوج حتى يحصل على لقب المرحوم.

وفي بيت الزوجية، من العسير أن يجمع الإنسان بين لقب رومانسي ولقب زوج، لكن من السهل جدًا أن يكون الزوج في منتهى الرومانسية مع الأخريات.

فأنت تطالبها بالرومانسية وسخونة الحب الذي كان حتى بعد أربع سنوات من ليلة الزفاف، وكما لا يستطيع أحد أن يلومك على مشاعرك الرومانسية، فإن أحدًا أيضًا لا يستطيع أن يلومها لأن أجهزة الاستقبال عندها لم تعد تستقبل الإرسال الرومانسي من جانبك، وهذا لا يعني أنها لا تحبك، بل يعني أن جهاز الاستقبال عندها تغيرت موجته ولم يعد يصلح لتلقي تنهدات الغرام وآهات العشق المجنون، بل هي تتوق إلى الحب الهادئ العميق والحنان والمشاركة الوجدانية الحميمة.

المرأة عندما تحقق ذاتها بالأمومة، فكل الرومانسيات تتوارى، ويتحول الزوج إلى مرتبة عاطفية مختلفة تمامًا، وفي بعض الأحيان يتراجع إلى الدرجة الثانية من عواطفها وأحيانًا الترسو، وتلك نعمة في مملكة البشر، ففي مملكة الحشرات مثلًا تعتمد الأنثى غالبًا إلى قتل الذكر بعد التزاوج خصوصًا في العناكب بينما الأنثى في مملكة الحيوان أكثر رقة؛ إذ إنها تبعد الذكر عنها بعد التزاوج بالضرب، فهي لا تملك - كالأنثى البشرية - السكين والساطور.

ماذا يعجبك في الرجل؟

الرجال أيضًا يغزُّهم الثناء وليس الغواني فقط، وبالمناسبة الغانية ليس معناها الخليعة، بل هي المرأة التي غنيت بجمالها وحسنها واستغنت عن الزينة، وبذلك لا توجد بين النساء غانية واحدة!

والرجل يحب المديح ويتوق إلى الثناء على صفات عظيمة لا تمت إليه بصلة، وتاريخ الرجل مفضوح في دفع الملايين من أموال المسلمين للشعراء المنافقين من مداحي الخلفاء والولاة، ويقدر ما كان الخليفة تواقًا إلى المديح كان الشاعر متعطفًا إلى الدنانير، وقيل إن شاعرًا ظل يستزيد الخليفة في العطاء فيأمر له بزيادة المبلغ دون أن يكتفي الشاعر، فقال له الخليفة: ماذا تريد بعد هذا كله؟ قال المدَّاح: أريد عمولة 5٪.

والرجل يقيم وزنًا كبيرًا للمديح، ولولا عشق الرجل للمديح لما ظهر المنافقون، غير أن امتداح الرجل - من جانب الجنس الآخر - له شروط وقواعد حتى يصبح مؤثرًا وفعالًا، فالرجل مثلاً لا يحب امتداح النواحي الشكلية؛ إذ لا يجدي مثلاً أن تقول امرأة لرجل: تسريحتك حلوة، أو لون حواجبك يجنن.

ومن المديح غير المقبول أن تقول واحدة لواحد: أنت تشبه تيرون باور أو رشدي أباطة أو حسين فهمي، فبرغم وسامة هؤلاء النجوم إلا أن الرجل لا يرضيه أن يكون مثل فلان أو علان، لكن يرضي غروره أن تعجب به لذاته. أن تشعره بذاته.

ولا يعتبر مديحًا مؤثرًا أن تقول امرأة لمغني الأوبرا العالمي التينور دومينجو: إن صوتك رائع، الألوف قالوها له وسوف تُقال له من ألوف، لكن دومينجو

لا يزال يذكر المرأة التي صافحته وقالت له في انبهار: ياه! لم أكن أعرف أنك
بهذه الأناقة!

فالرجل يستمتع بإطراء لم يسمعه من قبل ويمثل اكتشافاً لم يكن منتبهاً إليه،
كذلك يسعد الرجل إذا امتدحته امرأة جميلة بصفة ليست فيه، مثال ذلك أن تقول
له: أنت ذكي.

فهي كاذبة؛ إذ لا يوجد رجل احتفظ بذكائه أمام امرأة جميلة.



علاقة متوترة دائماً

العلاقة بين الرجل والمرأة هي سلسلة محاولات فاشلة للتفاهم، وذلك بسبب أزمة الثقة، هذه العلاقة المتوترة تبدأ عندما تعي البنت الصغيرة الحياة، فتتولى الأم تشويه صورة الرجل عندها بتحذيرها منه وتصويره بصورة العدو الغامض الذي لا يفعل إلا شراً، وهنا تبدأ البنت رحلة التوجس والشك تجاه الرجل، ثم يزول توترها عندما تتعرف بحبيب القلب، ويعقب ذلك هدنة جميلة في أيام العسل، وبعد الزواج يبدأ خرق الهدنة وإطلاق النار، وأحياناً يُستعاض عن النار بالساطور..

وأكبر إنجاز يقوم به رجل هو إقناع المرأة بأنه مخلص، فأشد الرجال ولاءً لحبيبته متهم دائماً في إخلاصه، ذلك أن المرأة تعتقد أن هناك رجلين اثنين فقط مخلصين، واحد في المريخ والثاني في زحل..

وهناك فئة من النساء ترفع شعار عضي الكلب إذا عضك الكلب (الكلب هنا معروف مَنْ هو طبعاً)، فهن يتقممن من خيانة الرجل بخيانة الرجل، والنموذج المكتمل لهذه الفئة هي الإمبراطورة الرومانية ميسالينا ملكة الفضائح في زمانها؛ إذ كانت ترى أن على المرأة أن تخلص للرجل وهي في حضنه فقط لأنه لا يستحق أكثر من ذلك..

وتتدرج ثقة المرأة في الرجل من سيئ إلى أسوأ حتى الأشد سوءاً عندما تصل إلى سن اليأس، فبقدر ما تفقد ثقتها بأنوثتها يكون اتهامها للرجل بالخيانة، مع أنها في حاجة إلى سن اليأس لاكتشاف هذه البديهة..

عصر العنكب!

عن مسلسل قتل الأزواج وظهور المرأة الخارقة في بيت الزوجية، فإن ما حدث بالضبط هو أن هيبة الرجل قد سقطت في العالم كله، واكتشفت المرأة أن الشوارب لا تخيف، فالصراصير لها شوارب والأرانب أيضًا.

وحتى في المجتمعات التي تطرقت إلى التحرر النسائي نجد المرأة ساخطة، انظر إلى غلاف مجلة تايم الأمريكية وعليه هذا المانشيت الكبير: «هل ضاقت المرأة بالرجل؟ دراسة ميدانية ساخنة تقول: نعم»، وأفردت المجلة ست صفحات لتلك الدراسة التي شملت 4500 امرأة وجاء فيها أنه برغم الثورة الجنسية وحصول المرأة على حقوقها فإنها ما زالت تعاني ظلم الرجل وإساءاته، وتقول الأرقام إن 95% من النساء اللاتي شملتهن الدراسة يقاسين من السلوك العدواني للرجل، وأن 91% من المطلقات هن اللاتي طلبن الانفصال، و76% من الزوجات لا يخالجهن أي شعور بالذنب من الخيانة الزوجية، و87% من الأزواج على علاقة حب بامرأة أخرى.

وواضح من هذه الدراسة أن المرأة لا ولن يكفيها كل أرض جديدة تحصل عليها من الرجل المستسلم استسلام الحمار الوديع، وواضح أن العلاقة بين المرأة والرجل تكاد تستنفد أغراضها، فلعلنا مقبلون على عصر تتحول فيه المرأة إلى عنكبة أو أنثى العقرب التي تلدغ الزوج لدغة العقرب بعد أن يحقق لها أمومتها ليلة الزفاف، وإلى أن يأتي عصر النسوان العناكب سوف يظل العنف يحكم العلاقة بينها وبين الرجل، فليس مصادفة أنها تسمى نفسها الآن المرأة الحديدية والمرأة الفولاذية، وليس مصادفة أن أسماء البارفانات النسائية تحولت

إلى سوفاج (متوحش)، وماجريف (مخليبي)، وبواسون (سم)، ورحم الله زمانًا
كانت المرأة تقتل فيه الرجل برمش العين، فأصبحت تقتله بملة السرير، ولو عاش
الشاعر العربي جرير لعدل عن قوله: «قتلنا ثم لم يحيين قتلانا»، ولقال: قتلنا
قتل الأسد للحُمير (جمع حمار أو رجل).. تلك تعبنا في كيس بلاستيكي..
وأخرى تعبنا في شنطة السفر!



قمة ضعفها = قمة قوتها

الرجل هو نتاج تربية نسائية متصلة، ففي حفل السبوع وهو وليد يُقال له: اسمع كلام أمك، وتظل الأم صاحبة الأمر والنهي حتى تصنع منه رجلاً ثم تسلمه إلى امرأة أخرى هي الزوجة لتستأنف تربيته وتأديبه.

وإذا كان الرجل سيئ الأخلاق والسلوك، فهذا تقصير منكن في تربيتنا نعتذر عنه نيابة عنكن، ورغم أن مسلك زوجك شائن إلا أنني لا أعفيك من المسؤولية؛ فالأم التي تربينا نحن الرجال تمزج السيطرة بالحنان بالحزم باللهفة بالعقاب الحاني بالحب، وهي تخلط كل هذه المقادير المتناقضة بموهبة خارقة من صنع أمومتها، لكن الزوجة - وهي امتداد للأم - قد تفشل في خلط هذه المقادير وقد تجنح إلى العنف والتحدي، والرجل سلس القيادة كطفل لو أحسنت المرأة الضحك عليه، ومهما بلغ به الضعف، فالمرأة الذكية حريصة على أن تحفظ عليه مظاهر رجولته، فهي تعرف أنه يؤثر أن يبدو في صورة القوي والمتفوق وصاحب الكلمة العليا، ومن هنا سلبت الشغالة منك زوجك، وقديماً قال الحكيم الإسبرطي: أربعة أسباب هرب من أجلها مع الشغالة: أربعة عيوب في الهانم! تعيش المرأة عصر الحریم والجواري والقمع، لكننا نرفض أيضاً أن نرى المرأة أمازونة متمرسة بالعنف والشدة، كما صورت الأساطير الأمازونات واحدة منهن إذا ضربت زوجك مراراً بالكرسي وغيره، ونحن نسمع بين يوم وآخر عن شغالة أو أرتست أو غانية خليعة خطفت زوجها، السبب بسيط جداً: الشغالة والأرتست والغانية لم يسرن خلف الزعامات النسائية المتطرفة التي ترفع راية العصيان باسم التحرر من طغيان الرجل، فإن فطرة الأنثى في الشغالة والأرتست والغانية علمتها أنها تصل إلى ذروة قوتها عندما تبدو أمام الرجل في قمة ضعفها.

العبيبة رقم (1)!

عندما يتساءل رجل هل يتزوج الجميلة رغم غباوتها؟ فهذا دليل على أنه يحبها، فلا توجد امرأة جميلة وغير جميلة، وامرأة ذكية وأخرى غبية، بل هناك امرأة تحبها فتصبح الأجل والأذكى والأكمل والأرق والأشد سحرًا.

وكلما كانت لدى الطرفين القدرة على رؤية الحقائق السخيفة في الطرف الآخر، فالعلاقة بعيدة عن جنون العاطفة لأن الحب صلة باهرة بين اثنين تخفي إبهارها كل نقائص الآخر، وبسبب هذا الإبهار ظهرت طبقة العواذل الذين يرون حقيقة الاثنين، فالعواذل يلومون العشاق والعشاق يلعنون العواذل، والعشاق سُكاري بالحب، والعواذل يمصصون الشفاه، وأحدهم يقول للآخر: هل علمت ماذا جرى أمس لمحمود، فيهب الآخر رأسه في أسى: نعم حضرت فرحه.

فمن أكبر عيوب الغرام أنه يجعلنا نرى ولا نلاحظ، وفرق كبير أن ترى، وأن ترى وتلاحظ، الأمر الذي تترتب عليه نتائج تقليدية عندما تدركنا الملاحظة بعد فوات الأوان، فتشكو الزوجة مثلاً من بخله الشديد، بينما هو يستغيث من إسرافها، أو تشكو لأهلها أنه يقول عنها إنها حمارة وغبية ومغرورة، فيقسم على المصحف أنه لم يقل مغرورة.

ودائمًا نرى ونلاحظ ونعقل بعد فوات الأوان، ولذلك تزدهم الدنيا من قطبها الشمالي إلى قطبها الجنوبي بقاعات تُلقى فيها المحاضرات المستمرة عن مساوىء الزواج، وهي طبعا قاعات محاكم الأحوال الشخصية.

معركة للسيطرة

كل امرأة - في بداية العلاقة - تخوض معركة سيطرة ضد الرجل وهي تتمنى في أعماقها أن يهزمها بجدارة في تلك المعركة، فانتصاره عليها يرمز إلى القوة والقدرة على حمايتها، والمرأة لا تحب الرجل الذي يسميه الإنجليز «يس مان»، وهو من يقول نعم على طول الخط ظناً منه أنه سوف يسعدها بهذه «المهاودة»، كذلك تضيق المرأة بالرجل الذي تسأله القرار فلا يحسم الأمر ويقول «لما نشوف»، فمذهب «اللمانشوفيزم» مرفوض عندها، والمرأة تحب الرجل الذي يتخذ القرار دون الوقوع في مصيدة الانفراد بالرأي، أما الذي يرد عليها «اللي تشوفيه يا حياتي واللي تقولي عليه يا روجي»، فالنساء عادة يطلقن على هذا الرجل لقباً مكوناً من كلمتين، أو لهما كلمة: شُرابة..

وكما قيل: إذا أردت أن تعرف حقيقة رجل فأعطه سُلطة، فيمكن القول: إذا أردت أن تعرف حقيقة امرأة فاسقط في حبها دون أن تحبك هي بنفس القدر.

ويا من هجرتك امرأة، أرجو أن تراجع كل السطور السابقة؛ لتقف على السبب الحقيقي لهجرها لك إلى الرجل الآخر، فليس صحيحاً أن وسامة الآخر هي السبب، كازانوفاً بجلالة قدره الذي كان يحترف الحب لم يكن وسيماً على الإطلاق كما تدل صورته في المتحف البريطاني، لكنه كان لعوباً وخائناً وسافلاً ولا خلاق له، وصدقني إن المرأة تنجذب إلى هذا النوع من الرجال الذي يثير عندها الرغبة في تحدي الأخريات والفوز بقلب الدون جوان اللعوب، فأهم عند المرأة - من الانتصار على الرجل - الانتصار على الأخريات.

وكلمة أخيرة في ودنك: النساء يأخذهن الرجال الطيبون، لكنهن يؤخذن عادة من الرجال الطيبين!

كلمة السر: الحنان

في مملكة الحيوان، في مملكة الطير، في مملكة الحشرات، يلاحظ أن الزواج يستنفد أغراضه بمجرد التزاوج، فتقتل ملكة النحل عريسها في ليلة الزفاف، وتغرس العنكبنة إبرتها السامة في رأس العنكب، وتضرب أنثى الطير الذي يشاغبها وهي منهمكة في بناء العش، وتظهر أنثى الحيوان للذكر جفاءً يختلط أحياناً باستعمال الأظلاف، ويحدث أحياناً من هذا القبيل في عالم الإنسان، فما أن تحقق المرأة أمومتها حتى يتحول الرجل إلى مواطن من الدرجة الثالثة في البيت، وكلما حاول التقرب منها دعت في سرها: «ربنا يهد حيلك»، وتأسف الزوجة أحياناً أنها لا تملك إبرة العنكبنة السامة فتستعوض عنها بالساطور.

ويعجل إحساس الزوجة بأن الزوج قد استنفد أغراضه عندما يفشل الزوج في توفير الضروريات النفسية التي لا تستطيع امرأة الاستغناء عنها وهي العطف والحنان، والإحساس بالأمان، فالمرأة تتطلع إلى حماية الرجل والعطف والحنان يؤكدان لها الأمن النفسي، ولذلك قالت ستي في أمثالها: «ضِل راجل ولا ضِل حيط»، وإن كان ضل الحيط أهم من ضل الرجل منذ أن أصبحت الشقة بحيطانها من حق الزوجة.

بل إن هناك عددًا من الأمثال صاغتها ستي لتعبر بوضوح عن مدى أهمية عنصر الأمان، فقالت: «عيش يا حبيبي ولا تبكيني.. حِسْكَ في الدنيا يكفيني»، وقالت: «خدي لك راجل بالنهار أجير وبالليل خفير»، أي يحرسها ويحميها، وتقول في مثل آخر معبرة عن خيبة أملها أنها اتخذت منه ملاذًا وحصنًا يحميها لكنه لم يفعل: «خدتك لوّاذ خدتك عوّاذ خدتك أكيد العواذل كدت أنا روجي»، وتعبر أيضًا عن افتقارها للأمان: «جبت الأقرع يونسني كشف رأسه وخوفني».

مع تحياتي لكل أقرع.

الدروس السابقة!

مهما كان الحب والتفاهم متوفرين بين الزوجين، هناك شيء اسمه لذة الشكوى من الزوج، وعندما تجتمع الزوجات بعيدًا عن الأزواج يدور الحديث بينهن وكأنهن يتحدثن عن شخص واحد، ولذلك ليس غريبًا أن تطلق بعض الزوجات على الزوج أسماءً حركية بين صديقاتها مثل: بسلامته، والكبة.

ومهما كان الغرام ساخنًا بين حبيبين أو زوجين (في العسل طبعًا) فإن المرأة يطيب لها كثيرًا أن تتمرد على قيود الرجل وأوامره من خلف ظهره، إذا قال لها مثلًا لا تلبسي البكيني، فهي تلبس البكيني إذا سمحت لها الظروف لتشعر بالمتعة مرتين، مرة لأنها تلبس البكيني ومرة لأنها خالفت أوامره من خلف ظهره، ويمكن للرجل أن يحرم المرأة من هذه المتعة عندما يتركها تعصيه علنًا بعد أن يتحول هو إلى شرابة خرج.

والعلاقة بين الرجل والمرأة تكاد تكون شبه خصام دائم لا يتخلله إلا فترة هدنة قصيرة هي أيام الهوى والغرام، فالمرأة الشرقية تتلقى الدرس من أمها مبكرًا بأن الرجل وحش كاسر أو ذئب مفترس ينبغي عليها أن تأخذ حذرًا منه، وأن يبادر رجل بالحديث مع امرأة لم يسبق له معرفتها فهذا موقف يُعرضه للبهذلة، وربما التهديد بإبلاغ شرطة الآداب عن قلة أدبه، وتأتي قصة الحب والغرام لتمثل هدنة رومانسية يعقبها الزواج، وفي الزواج تتجدد الخصومة التي تنتهي أحيانًا بانتقال الزوج إلى مقره الأخير في الكيس.

أريد حلاً!

المرأة - بفطرتها - تعد نفسها لمسئولية كبرى في تكوين الأسرة، فالفلوس مهمة ولذلك هي عند الزواج تقارن بين مصالح وليس بين عواطف.. وإذا كانت قد أكدت لك دائماً أنها تحبك لشخصك، فقد كان عليك ألا تجرح قلبها الذي أحبك لشخصك عندما عرفت هي أنك لست غنياً.

ولا أهون عليك لأنها هجرتك، لكن صدقني إن تباريح الهوى صعبة، وإن العاشق يريد حلاً، والحل هو الزواج، غير أننا نكتشف بعد فوات الأوان أن الزواج هو حل أبدي لمشكلة مؤقتة اسمها الحب.

فما أن يحصل العاشق على الحل الذي هو الزواج حتى يتحول إلى عاشق متقاعد.. انتهت ليالي الشوق والحنين وترهل الحب وطلع له كرش، وكل عاشق متقاعد يروي دائماً قصة شهيرة يقول فيها: حتى خمس سنوات مضت كنت أنا وهي نعيش حياة سعيدة حقاً، ويسألونه: وماذا حدث بعد ذلك؟ فيرد قائلاً: تقابلنا!

وتقول شاعرة إنجليزية: المرأة عادة تصلي لتتزوج من الرجل الذي تحبه، أما أنا فأصلي لكي أظل على حبي للرجل الذي أتزوجه!

وفي أوروبا يرفعون الكؤوس في الحفلات وهم ينشدون في صحة حبيباتنا وزوجاتنا.. لعل حبيباتنا يصبحن زوجاتنا، ولعل زوجاتنا تظل حبيباتنا!

الرجل صرصار

منذ صيحة ماري ولستونكرافت في القرن التاسع عشر بإثبات حقوق المرأة والحركة النسائية تعمل في دأب وصبر ومكر يدعو إلى الإعجاب، حتى تم استثناس الرجل في أوربا ثم بدأ في بعض دول الغرب عصر الرجال الذين جردتهم المرأة من الرجولة أو عصر الرجال الأقوات.

إن الرجل ينتظره زمن عصيب قادم لا محالة تسود فيه المرأة وتحكم وتتحكم وتتقم مما قاسته ابتداءً من العصر الحجري إلى عصر الحرير.. وطبعاً سوف يكون حكم النساء عنصرياً، يوكل فيه إلى الرجل بالأعمال الدنيئة وتتسم فيه القوانين بالترفة فتصبح مثلاً جريمة قتل الرجل مخالفة عقوبتها غرامة 25 قرشاً، ويتم تشديد العقوبة في جرائم الخيانة الزوجية، وسوف تسمع القاضيات دفاع الزوج بأن المرأة التي أغرته شرّيته حاجة صَفراً.

وفي إمبراطورية النساء سوف يُقال إن الرجل هو الذي أشعل الحروب منذ بدء الخليقة، فأحرق قلوب الأمهات في كل زمان ومكان، وقد ترتفع أصوات المتطرفات بوجوب التخلص من الرجل بالمذابح الجماعية حتى يسلم العالم من شروره، وفي مقابل ذلك سوف تتكون الجمعيات السرية للمقاومة كالألوية السوداء لقتل المرأة والماوماو لتحرير الرجل، وسوف تنتهي الآراء النسائية إلى قانون يحتم على المولود الذكر التطعيم ضد الدفتريا والحصبة وشلل الأطفال والذكاء أيضاً فيعطى حقنة خاصة يُصاب بعدها بالتخلف العقلي، ولن تجدي الصيحات القليلة العاقلة التي تحذر من انقراض الرجل بسبب المذابح والإبادة والقوانين العنصرية والاستعداد الطبيعي عند الرجل للانقراض، وسوف تذهب مع الريح كل دعوة لسن القوانين التي تحمي الرجل من الانقراض بمنع صيده «بقصد الزواج منه أو قتله»، إلا بترخيص خاص.

ولا عزاء للسيدات.

أعياد في أعياد

إن عيد الزواج في كل سنة له اسم خاص، في السنة الأولى يطلقون عليه العيد الورقي، ومن السنة الثانية إلى السنة العاشرة بالترتيب: العيد القطني. الجلدي. الكتاني. الخشبي. الحديدي. الصوفي. البرونزي. الخزفي. القصديري، وفي السنة الخامسة عشرة العيد البلوري، وفي العشرين العيد الصيني، وفي الخامسة والعشرين العيد الفضي، وفي الثلاثين العيد اللؤلؤي، وفي الخامسة والثلاثين المرجاني، وفي الأربعين الياقوتي، وفي الخامسة والأربعين السفيري (الياقوت الأزرق)، والخمسين الذهبي، والخامسة والخمسين الزمردني، والستين والخامسة والسبعين العيد الماسي.

وواضح أن معظم هذه الأسماء تفسر نفسها بنفسها، فلا شك أن العيد الورقي في السنة الأولى هو عيد توقيع تلك الأوراق التي بها تحديد إقامة الطرفين في مكان واحد، وليس صحيحًا ما قد يظنه البعض من أن الرجل - بعد تجربة سنة - أرسل إليها ورقتها في العيد الورقي، وأستبعد أن يكون العيد القطني - في السنة الثانية - له صلة بالقطن الطبي الذي يُستعمل عادة لتطبيب الجروح إثر الاشتباكات القتالية في البيت، فالوقت بدري. ومن المرجح أن الإنسان تحدث له في السنة الثالثة - العيد الجلدي - تغيرات جلدية فيبدأ الغلاف الخارجي للوجه في اتخاذ فورمة الزواج كالبوز الضارب والشفاه الممطوطة في اشمثناط وتكشيرة الجبهة.. إلى آخره، ومن المؤكد أن العيد الخشبي وثيق الصلة باستعمال المنتجات الخشبية للدفاع عن النفس كالعصا والقبقاب الحريمي ذي الفيونكة، يؤيد ذلك أن العام السادس الذي يليه هو العيد الحديدي؛ إذ تطور الأمر من الخشب إلى الحديد حيث يحتاج الحديد هنا إلى رخصة سلاح، وفي العام السابع يتبدد غالبًا دفء الزواج ويبدأ الرجل في الاعتماد على الحلول الذاتية

للتدفئة كلبس الصوف وذلك هو العيد الصوفي، وإذا كان العيد العاشر هو العيد
الصفحي أو القصديري فلا شك أن صمود الاثنين في المعارك الطاحنة بينهما
حتى العام الخامس والعشرين هو عيد فضي يستوجب الاحتفال بنجاة كل منهما
من يد الآخر، على أنني أدهش حقاً لوجود زوجين يحتفلان بالعيد الماسي - 75
سنة - إلا إذا تم ذلك في قرافة الغفير، وأعتقد أن التسمية المنطقية التي ينبغي
أن تطلق على كل عيد زواج هي أن يقال مثلاً في العيد الرابع: الذكرى الرابعة
لوفاة الحب.



الدكتوراه تساوي تفيدة بنجر

الرجل عندما تفتنه امرأة فهو لا يعنيه أن تكون هذه الجميلة دكتوراه في الجامعة أو ساقطة إعدادية، وإذا كان هناك مخ خمس نجوم ومخ أربع نجوم ومخ نجمة واحدة، فهو لا يفرق عند التعلق بامرأة بين واحدة لامعة العقل مخها خمس نجوم، وبين تفيدة بنجر أو مخ نجمة واحدة!

وقد عرفت المرأة أن الرجل ما دامت قد أوقعت به لا يهمه أن يكون مخها فاخرًا خمس نجوم، أو أن يكون ماركة تفيدة بنجر، ولهذا اعتبرت المرأة مخها من الكماليات واكتفت بدهائها الأنثوي الفطري الذي أثبت أنه يحقق نتائج باهرة منذ حادث التفاحة المؤسف.

ولهذا نجد عظماء وقادة في العالم وقعوا في حب نساء بسيطات ماركة تفيدة بنجر، ماو تسي تونج أحب تفيدة بنجر، وتعلق أيزنهاور بسائقة سيارته تفيدة بنجر، ويرون عشق تفيدة بنجر، وسوكانو تزوج تفيدة بنجر، بل ما الذي يجعل مفكرًا مثل آرثر ميلر يتزوج من مارلين مونرو وهي امرأة كان رأسها كحبة العنب النباتي خاليًا من أي بذرة تفكير أو مخ؟

والفيلسوف الألماني نيتشه كان يبشر بعقيدة القوة والسوبرمانية، ويرى أن المفكر المتزن يجب ألا يربط حياته بامرأة.. فماذا جرى لهذا السوبرمان عندما وقع في حب لوسالومية، وهي تفيدة بنجر بمخ نجمة واحدة؟ أذلته وعذبتة ورفضت الزواج منه، وماكسيم جوركي مثلًا بكل تفوقه الذهني نراه يعبد أولجا إييفا فنوفا - مخ نجمة واحدة - ويركع تحت قدميها فلا منت ولا حنت عليه حتى ببوسة.

وكان كل هؤلاء المفكرين العباقرة يفلسفون عشقهم، فكل تفيذة بنجر في
نظرهم جهلها اسمه براءة وصفاء نفس، وتخلفها طيبة ونقاء طوية، وغباوتها
سذاجة حلوة تدعو للإعجاب!



أساتذة معاملتها

إذا أردت أن تعامل المرأة بطريقة مثلى تسعدها كثيرًا، فحاول أن تقلد أولئك الذين تحتم عليهم أعمالهم التعامل مع المرأة، إن البائع المتخصص في بيع السلع النسائية يعتبر نموذجًا مثاليًا في التميز بالصبر وطول البال والقدرة على الاحتفاظ بالابتسامة، انظر مثلًا إلى تلك السيدة تدخل أحد المحلات الكبرى وتتجه إلى قسم الفساتين، فتجرب جميع الفساتين مقاسها وغير مقاسها، ومع آخر فستان تجربه يعتذر لها البائع لأنها لم تجد بغيتها، وهو لا يفقد ابتسامته عندما ترد عليه قائلة: الحقيقة أنا جاية أشترى طقم شاي، والبائع الأوربي يتفوق كثيرًا على البائع عندنا، فهو يسعد المرأة بالكلام الذي يثني على جمالها مثل: إن لون بشرتك الخمري يزداد تألقًا مع هذا الفستان الأصفر الليموني، أو أن يقول: غريبة.. اللون الوردي يوحي عادة بشحوب الوجه ولكنني أرى بشرتك متوهجة معه، كذلك الكوافير الذي يمتع أذنيها مع كل تسريحة بكلام عسل ولا مانع من أن يقول لها: مدام فلانة طلبت مني أن أقلد تسريحتك لكن للأسف هي تفتقر إلى طول رقبتك وجمالها، ثم إن خدودها مش حلوين، هذا بالإضافة إلى أن الكوافير يحظى بمنزلة خاصة لأنه مستمع جيد إلى النميمة، ومصدر مهم للنميمة أيضًا، وهو استعداد لا يتوفر عند كل رجل.

ومن هؤلاء جميعًا: البائع النسائي والترزي ومصمم الأزياء والكوافير، اقتبس الرجل الذئب «الشهير بالجتلمان» أسلوبه في معاملة المرأة: الصبر الطويل والابتسامة الدائمة والإشادة بالفستان وتفصيلته ولونه والشنطة والحذاء والإكسسوار والتسريحة اللي حتاكل من وشها حته، ولهذه الأسباب جميعًا قالوا في المأثورات إن المرأة تصرخ إذا رأت فأرًا، وتبتسم إذا رأت ذئبًا.

الحب واللاهبا

من أسرار الحب الغامضة أن شخصيتين غريبتين تلتقيان فيشعر كل منهما أنه عثر على نصفه الآخر، فيتخيّلان أنهما متشابهان في الصفات ويتصوران أن لهما نفس الميول ويحفل كل منهما باهتمامات الآخر ويلتقيان في الذوق بقدره قادر، فيحب اللون الأصفر الذي كان يكرهه لأنه الأثير لديها ويدندن «سلامتها أم حسن» بعد أن كان من عشاق بيتهوفن وتشايكوفسكي، حتى عيوب الحبيب تصبح مستحبة ولها سحرها، وأعرف فتاة أحبّت أستاذها في الجامعة، كان يرمش بعينه كثيراً فانتقلت هذه الحركة العصبية إلى رمشها الجميلين حباً في بربشة المحبوب.

والحب يضرب الاثنين في خلاط ليصبحا شخصاً واحداً، فهو يوحد وجهات النظر، ويدفع الأفكار في مسار واحد، ففي الحب إذا قال لها: أنا لا أستحقك يا حياتي.. ردت قائلة: بل أنت سيد الناس جميعاً ولن أجد من هو أعظم منك، وفي اللاحب (اللاحب يسمونه أحياناً الزواج) إذا قال لها: أنا لا أستحقك، ردت عليه: تعجبني صراحتك، وفي الحب هي تعتقد أن ما حصلت عليه أكثر مما تتمناه، وفي اللاحب ترى أن كل ما تتمناه، هو ما لم تحصل عليه (بما فيه الزوج الخائب النايب)، وفي الحب هي تراه كما يرى نفسه: أذكى الناس، وفي اللاحب هي ترى أن الغبي هو الذي يعتقد أنه أذكى الناس، وفي الحب يقول لها: أنا لا أستطيع الحياة بدونك، تنتهد وهي ترد بصوت ملتهع: ولا أنا يا عيوني، وفي اللاحب يقول لها: أنا لا أستطيع أن أعيش بدونك، فنقول في سرها: وأنا مستعدة أتكفل بمصاريف عمر مكرم.

فالحب مجموعة أحلام جميلة قد تظل أحلامًا، وقد تنقلب إلى كوابيس،
وفي ذلك قال حكيم إسبرطة: لقد عشت أنا وزوجتي كذا وعشرين سنة في
سعادة رائعة بعيدًا عن المشاكل والخلافات، فسُئِل: وماذا حدث بعد ذلك؟
قال: تقابلنا.. وتزوجنا!



مواطن درجة ثالثة

الرجل مخلوق أليف ومستأنس ويقوم أيضًا بعجين الفلاحة إذا وجد المروضة الجيدة، وكل امرأة هي مروضة جيدة؛ إذ يقول المثل: «اللي مربى قرد عارف لعبه»، والرجل تربية ستات من اللحظة الأولى للميلاد، فهو يبدأ حياته من حَجْرِ الأم، ثم بين ذراعي الحبيبة، ثم بين يدي الزوجة.

والرجل مخلوق أليف - ثانيًا - لأنه يبدأ الحياة الزوجية معلنا أنه السلطان وصانع القرار، ثم لا يلبث أن يرفع الراية البيضاء مستسلمًا للأمر الواقع، وبعد أن كان يقول لها «لا» بقوة وعنف في مواجهة محاولات السيطرة من جانبها تخفت «لا» في حلقه إلى أن تختفي تمامًا، ولا يبقى له - أمام قراراتها - إلا حق الامتعاظ إن أمكن.

والرجل مخلوق أليف - ثالثًا - لأنه بعد تجارب مرة يتعلم ألا يبدأ خناقة أبدًا، ولا يرد على تحرش، ويفضل ادعاء الصمم، فهو يعرف أن زوجته تطلق عليه أسماء تدليل من خلف ظهره مثل: «الكبة»، و«الزفت»، و«الهباب».

وزيارة ميدانية عشوائية لبعض بيوت الزوجية سوف تكشف أن الزوج بعد خلف العيال يتحول إلى مواطن من الدرجة الثالثة في البيت، الأولاد يسرقون سجائره ويسطون على ملابسه وهو لا حول له ولا قوة، ويستحق زيارة من سيدات الهلال الأحمر.

تحت سقف واحد

يتطلب عقد الزواج أن يكون الرجل عاقلًا رشيدًا متحرر الإرادة من أي إكراه، فلا يمكن بعد ذلك أن يُقال إنه «وقع في الزواج»، والحياة بلا زواج قد تبدو ذات بهجة ولها بريق، لكنها بالتأكيد غير محتملة، فالرجل في حاجة دائمًا إلى دفء المرأة، وإلى رفيقة على طريق الحياة تشاركه الفشل قبل النجاح، وإذا نجح فهي التي ترده إلى نفسه إن أسكره غرور، فيسمع منها الزوج ما لا يستطيع أن يقوله الآخرون له، وتتجلى صراحة الزوجة في أروع صورها عندما تنطلق على سجيتها تُعدّد نقائصه.

ومع شريكة الحياة يسقط قناع القوة والتحمل الذي يضعه الرجل أمام الناس، ففي لحظات الاختناق قد يبكي بعض الرجال، كما أن هناك المرأة التي تُنفّس عن آلام الرجل وهمومه فتتيح له الفرصة بين وقتٍ وآخر لكي يبكي منها.

والإنسان عادة - رجلاً كان أم امرأة - في حاجة إلى أن يختلف مع أحد، وما دام هناك سقف واحد يعيش تحته اثنان، فالزواج يعتبر فرصة لا تعوض لإشباع رغبة الإنسان في الاختلاف مع إنسان آخر، وقد يتيح كلُّ منهما لزميله أن يُشبع نزعات أخرى مكتملة، كغريزة حب المقاتلة بالطقاتيق والأطباق.

وفضل الزوجة عظيم جدًّا، فالذي يراقب حياتها مع زوجها لمدة عشر سنوات مثلاً أو أكثر أو أقل، سوف يخرج من هذه المراقبة بقوله إنها سيدة عظيمة ليس فيها من شذوذ الطباع إلا أنها ظلت تستمع إليه لمدة عشر سنوات عن عبقريته وغباوة مديره الحمار، ولو قدمت الزوجة تسجيلًا صوتيًا قاله الزوج على مدى السنوات العشر لنالت البراءة من تهمة قتله.

الرجل والفستان

المرأة لا تتأق لرجل، بل للصديقات، وبقدر ما يكون فستانها نادرًا وثيرًا، يكون سم بدن الأخريات. إن المرأة تهتم اهتمامًا بالغًا بما ترتديه الأخريات، وما من امرأة صادفت امرأة إلا استعرضت ثوبها من أعلى إلى أسفل وبالعكس، والثوب الذي لا تتفحصه المرأة إذا ارتدته امرأة أخرى هو مريلة مستشفى المجاذيب.

أما الرجل فليس له أي اهتمامات بالفستان، وكل العلاقة بين الرجل والفستان هي أن الرجل هو المتخصص - على المستوى العالمي - في ابتكار الموضة للمرأة، كما أنه المتخصص الأوحده - على مستوى البيوت - في دفع ثمن الفستان.

وقد هيات المرأة ذهنها تمامًا إلى أن الرجل لا يفهم في الفساتين، ولا يعرف - مثلًا - أن ملكة بريطانيا إليزابيث تلبس دائمًا آخر موضة ظهرت سنة خمسين، ولذلك يتفوق الرجل الجتلمان - أو الذئب طويل البال - على الرجل العادي في أنه يستجلب رضا المرأة بأن يُبدي انبهاره بفستانها، كذلك يحرص الرجل الذئب على تمييز العطر النسائي ومعرفة اسمه بمجرد الشم كالكلب الوولف، وهي تطرب كثيرًا عندما يشرح لها الرجل الذئب كيف أن موجات عطرها الشعاري تتناغم تمامًا مع ألوان الفستان.. كلام فارغ وحياتك، ولكنه يجد صدى عظيمًا عند المرأة، بل إن الرجل الذئب يستولى على اهتمام المرأة تمامًا إذا قال لها: إن الفستان الذي ترتديه سرق الأضواء من فستان فلانة، أي فلانة، فكل امرأة هي غريمة باقي النساء (بدون سبب)؛ لأن الذي يجمع بين

النساء ليس هو الصداقة وإنما ضرورات مشتركة، فالمرأة في حاجة إلى امرأة
تشاركها النّم وأسرار الأخرى، وحتى عندما تجتمع صديقات مقربات فالويل
دائمًا للصديقة التي تنصرف أولاً.

والرجل كان يرحب كثيرًا بفستان المرأة عندما اجتاحت العالم موضحة الميني
والميكرو، وهو لم يرحب بالفستان في حد ذاته بل بالمساحات الكبيرة التي
ينحسر عنها الفستان، حتى قيل إن سيدة فتحت خزانة ملابسها فلم تجد فستانها
الميكرو الجديد، ثم عرفت أين ذهب الفستان عندما لمحت حشرة عتة خارجة
من البلاكار.



وينعمون!

تفوق المرأة وحصولها على المراكز الأولى في الامتحانات العامة لا ينهض دليلاً على ارتفاع ذكائها وانخفاض ذكاء الرجل، فإن مناهج التعليم الفاسدة عندنا تعطي الفرصة لأي بغبان كي ينجح ويتفوق دون ملكة ابتكار أو إبداع، أما في الحياة العامة فإن ذكاء الرجل ينكمش أمام المرأة، ويتلاشى الذكاء تمامًا عند بعض الرجال خصوصًا أمام الشقراوات.

إن المرأة الفاتنة تلغي ذكاء الرجل، فمن اللحظ الفتان والفم الجميل والخذ الأسيل تخرج موجات تشويش قوية وداهمة تشل مراكز الذكاء في مخ الرجل ليتحول إلى أهيل، ولا يبقى من الرجل إلا عيون تحملق في الجمال، فالرجل يحب بعينه، وبشارة الخوري يقول: «إن عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظر»، وبفضل إلغاء ذكاء الرجل، وبفضل عينه وحدها تحولت جارية السلطان إلى الملكة شجرة الدر، وتحولت ربيبة حواري باريس إلى محظية تحكم فرنسا اسمها مدام بومبادور، فالمرأة تمتلك ما يتفوق على ذكاء الرجل بمراحل وهو دهاء الأنثى، وكل النساء متساويات - أمام الرجال - في القدرة على هذا الدهاء، وقد أدركت المرأة منذ القدم أن الرجل «بتاع مناظر»، فاهتمت بنقوش الزينة على وجهها وجسمها من الأحمر إلى الكحلي إلى كل ألوان الطيف، وهي تعرف تمامًا أن الرجل لا يقع في حب امرأة مفتونًا بعقلها؛ إذ إنه بغرور السيادة يكره أن تناقشه بذكاء، ويرفض أن تراجع في قرار، ويثور إذا خالفت له أمرًا، فهو يفضل في ذلك أن يكون مخدوعًا، حتى أنه بعد زواجه يصبح داخل البيت كالمواطن داخل البلاد الديكتاتورية، لا يعلم من مجريات الأمور إلا بقدر ما تريده له الدولة

أن يعلمه، والرجال عمومًا ينقسمون إلى قسمين: قسم يعجب بالمرأة الذكية التي
تناقش وتجادل، والقسم الثاني الأغلبية!

والشيء الغريب حقًا أنه لا توجد امرأة ترضى برجل قليل الذكاء، لكنها
تعجب وتنبهر بالرجل الذكي دون خوف من ذكائه، فهي على ثقة من أنها تملك
إبطال مفعول هذا الذكاء وقتما شاءت.. بحركة رمش عين.

ويزعمون أنهم أذكاء!



التفكير الخنفساري!

يحدث أحياناً أن تحبك وتحبها ثم تتنازل عنها طواعية لكي يتزوجها رجل آخر بدعوى أنه يسعدها، هذه ليست تضحية، هذه خيبة كبيرة، فالحب الحقيقي هو أن تتمسك بمن تحب، وأن تقا تل من أجل ذلك، أما التضحية على هذه الصورة فهي تفكير خنفساري لا يمت للطبيعة الإنسانية بصلة ولا يوجد إلا في روايات العصور الوسطى وحواديت أمنا الغولة والأفلام المصرية.

وأغانينا أيضاً تحفل بهذا التفكير الخنفساري، فنسمع من يقول: «أنا يسعدني تبعد عني وتجرب غيري في هواك»، وأغرب من ذلك أن نسمع من يقول: «ولما اشوف حد يحبك يحلالي اجيب سيرتك وياه.. واعرف جراه إيه في حبك وأد إيه صانه ورعاه»!! فالحب الحقيقي لا يعرف هذا التفكير الخنفساري، الحب لا يعترف بأي شريك في الحبيب؛ لأن الغيرة تولد مع الحب، والغيرة هي صوت الاستئثار بالحبيب والانفراد بتبادل الحب معه، إن الرجل مثلاً تشترك في حبه زوجته وأمه وأخته، والزوجة ترفض هذه المشاركة، والأم والأخت في الجانب الآخر لهما نفس الموقف، وفي ذلك تقول الأمثال الشعبية على لسان الزوجة!! الحما حُمَّة وأخت الجوز عقربة سامة، وعن مشاركة زوجة أخرى للزوجة في زوجها قالت الأمثال: «الضرة ما تحب لضرتها إلا المصيبة وقطع جرتها»، والغيرة عند الرجل الشرقي دماء حارة تفور وأعيرة نارية تنطلق، والغيرة عند الرجل الغربي امتعاض، مجرد امتعاض، فالرجل الشرقي إذا رأى أنثاه تجلس بجوار رجل غريب على كنبه فهو يفتك بالاثنين، أما الرجل الغربي فيكتفي ببيع الكنبه.

وعندما أراد شكسبير أن يصور تأثير الغيرة في الرجل اختار رجلاً شرفياً حار
الدماء هو القائد المغربي عطيل، في حين أن أمير الشعراء شوقي بك في مسرحية
مجنون ليلي يقع في غلطة درامية غير مستساغة فيحول رجلاً عربياً ساخن الدماء
إلى أوربي من ذوي الدم البارد وهو ورد زوج ليلي الذي يسأله قيس: بربك هل
ضممت إليك ليلي قبيل الصبح أو قبلت فاها؟ فلا تثور دماء المستر ورد، بل يرد
في برود: أجل قبلتها من الرأس إلى القدم، ويرد قيس بقلة أدب يصف قبلة ورد
ليلي: قبلة الذئب إذا الذئب على الشاة جثم، وينتهي هذا الموقف اللا معقول
إلى خاتمة أشد لامعقولية فينادي ورد ليلي لتقابل حبيبها قيس، ويستأذن الزوج
الخنفشاري منصرفاً وهو يقول: قيس أرى الموقف لا يجمعنا.. أنت حبيب
القلب والزوج أنا، ثم ينصرف تاركاً قيس يحب ليلي على راحتته، وواضح أن
الذين اختاروا لورد اسمه - وهو اسم نبات - كان جديرًا بهم أن يختاروا له اسم
نبات آخر هو قلقاس.

متى تسلم قلبها؟

الرجل يحب من أول نظرة لأن عينه تنبهر بمفاتن الأنثى، لكن المرأة لا تحب من أول نظرة، بل ولا تقع في الحب بسهولة، وإنما توحى إلى الرجل أنها وقعت في هواه وتسعده بكلمات الحب الكاذبة، بينما هي تضعه تحت الاختبار (خصوصًا الاختبار الاقتصادي) وفي نفس الوقت تمنح نفسها الفرصة للمفاضلة بينه وبين آخرين يدقون بابها؛ لذلك يصدم الرجل غير المجرب كثيرًا لأنها - بعد تنهداتها بين أحضانه - تخلت عنه بلا كلمة وداع وخطبها رجل آخر اقتصاده قوي ومتين ولا يحتاج للسلف من صندوق النقد.

لكن المرأة إذا قررت أن تسلم قلبها إلى رجل فمعنى ذلك أنها تحبه بمشاعر حقيقية، ولا تتخلى عنه ولا تخونه بسهولة وتتخلى - في التعامل معه - بصبر مدهش وهي لا تشك في إخلاصه رغم الغيرة عليه، ولا تتصور لحظة أنه يخونها، ثم هي تقتل نفسها حزنًا عليه عند موته، ويأتي موته عادة في ظروف غامضة بعد أن تكتشف أنه يخونها من أول يوم.

لماذا يخون الرجل؟

لأن الرجل يحب باندفاع وربما بتهور ولكن بغير عمق، بينما المرأة إذا أحبت ضرب الحب بجذوره إلى آخر أعماقها، ثم إن الرجل - بحكم تكوينه - لا يستطيع أن يصمد أمام إغراء الأخرى، وهو مبرر - عند غالبية النساء - لشطبه من صفحة العشاق ونقل اسمه إلى صفحة الوفيات.

التنازلات

الحب لا يتحقق بإرادة واحدة، ولا تسير أحداثه بإرادة واحدة، ولا يستمر بإرادة واحدة، فكل شيء في الحب يتم بإرادة الاثنین؛ إذ لا يستطيع أحدهما أن يقبل نفسه ولا أن يضم نفسه، فالحب يتطلب اثنين للعناق مثلما يتطلب الزواج اثنين للحنان.

والحب خزانة مليئة بألوان متعددة من الجمال، لكنها خزانة لا تفتح إلا بمفتاحين وكل طرف يحتفظ بمفتاح، فإذا رفض أحدهما التعاون تعذر على الآخر أن يستعمل الطفاشة.

وهذه الإرادة المزدوجة هي التي تعطي الحب معنى التوحد والامتزاج الوجداني والعقلاني، من هنا تصبح «التنازلات» ضرورة لاستمرارية العلاقة الحميمة، والتنازل ليس دليل ضعف كما يتصور البعض، بل هو دليل حب وإعزاز، فالتعنت مرض من أمراض الكبرياء، وكذلك العناد ومسألة التنازل مسألة تقديرية بحته، فلو فرضنا أن امرأة صممت على أن يحلق شواربه مثلاً ورفض هو فهذا تعنت من جانبها في أمر يخصه، ولا تأثير لبقاء الشوارب أو إزالتها على جوهر الحب نفسه.

وإذا استجاب لأمنيته التي أبدتها مرة بأن يحلق شواربه فهو إنسان عاقل لأن الرجولة ليست شوارب خصوصاً بعد أن تبين أن الأرنب يطلق شواربه ولا يحلقها أبداً.

إن التنازلات مهمة جداً ليصبح الحب نتاج تفاهم ثنائي، فالحب يبدأ في الانحسار عندما تنفرد إرادة كل منهما في اتجاه معاكس، وعندما يمد أحدهما

يده ليلمس يد الآخر فلا يجدها أو يمد شفثيه فلا يجد إلا الخد، والخد لا يبادل
القبل.

لهذا تدعو المرأة في سرها أن يصبح حبيبها زوجها لها، فإذا أصبح زوجها
تعذر أن يكون حبيبها.

من هنا يبدأ تفكيرها في مخترعات البلاستيك.



قدرة الحب

الحب يلغي الكبرياء، والكبرياء تلغي الحب أيضًا؛ فالحب فيه كل المتناقضات: المتعة والعذاب والبسمة والدمعة والحنان والاستبداد، وهو أناني وسخي العطاء أيضًا، وهو ينتقم لسبب تافه ويغفر حتى الخيانة، وهو قادر على أن يحيل الذكي إلى غبي، وأن يلهم الغبي الذكاء، وهو يجعل من الضعيف قويًا ومن العملاق قزمًا، وهو يقود الإنسان في رقة إلى النعيم كما يقوده بلا رحمة إلى الزواج.

وعندما تفكر في أن تحب فأنت تضع في ذهنك شروطًا ومواصفات لمن سوف تحبه، فإذا وقعت في الحب فعلاً فأنت لا تتنازل فقط عن هذه الشروط، بل وتنساها أيضًا، حلم البنت البلوند التي كنت تحلم بها حلت محلها في دنيا الواقع سمراء فاحمة الشعر، وحلم القوام الرمحي الذي كنت تطلبه في فتاة الأحلام اختفى وأصبحت تحب فتاة «مينيون» صغيرة الحجم، والبنت المسممة ذات التقاطيع الأخاذة التي حلمت بها طويلًا حلت محلها في عالم الواقع بنت أخرى أنت تراها جميلة الجميلات والكل يراها شيخ خفر!

وفي دنيا الغرام ليس هناك شيء اسمه «عندما أقرر أن أحب»؛ فالحب يأتيك بلا موعد ولا استئذان، فقد يفاجئك من أول نظرة إليها، وقد يتسلل إلى قلبك مع الزمن قطرة قطرة عبر الشريان التاجي، فأنت لا تعرف متى يبدأ الحب معك، لكنك تعرف متى ينتهي إذا تزوجتها.

والحياة ممتدة أمامك لتحب كثيرًا، ولكن احترس فالحب في المراهقة كوميديا، وفي الشباب حدث دراماتيكي، وفي الكهولة مليودراما، وفي الشيخوخة تراجيديا، وأحيانًا يقوم في الشيخوخة بدور الحانوتي.

والصبر على المتاعب

تتميز المرأة على الرجل بالصبر، فالأمومة صبر، وقبل الأمومة تتحلى المرأة بصبر فطري لأسباب عديدة من بينها الحصول على الزوج، فالصبر سمة الصياد.

والمرأة تنفرد بصبر فطري لأنها صاحبة الدور الأهم في تأسيس الأسرة فبناء العش يحتاج إلى صبر طويل، وهذا الصبر يزودها بحاسة خاصة تتعرف بها في صمت على الشريك.. انظر مثلاً إلى تلك الفتاة البسيطة إيفا براون عشيقة هتلر وهي تسعى في أيامها الأولى للتعرف على شخصيته وكيف تواجه لحظات جنونه وكيف تمتص ثورات غضبه، والمؤكد أنها سارت فوق حقل ألغام لتصل إليه ثم صبرت طويلاً لتعرف ما يغضبه وما يرضيه، فصبر المرأة أعطاها أسلوباً خاصاً في معاملة الرجل ولو حتى كان مجنوناً من خريجي معهد الشواذ، ولهذا ليس مصادفة أن معظم مروضي النمر من النساء، فالمرأة قادرة بصبرها على ترويض الرجل كما النمر، وكما تسلخ المرأة النمر في النهاية لتصنع من جلده ثوباً، فإنها تسلخ الرجل أيضاً، وإذا كان النمر يتم سلخه مرة واحدة، فالرجل يتكرر سلخه كل يوم حتى يوم حصولها على لقب أرملة.

فاحترس لأن الصبر عند المرأة لا يتجزأ، فهي تتحمل الإساءة في أيام الغرام وتغفر، وهي تصبر كثيراً على عنات الزواج لكنها لا تغفر بل تختزن، وهذا سر رواج تجارة الأكياس البلاستيك.

ليلة الزفاف

الزواج أمر لا بد منه، فالزواج مرض وراثي وهو حدث دراماتيكي ظاهره الفرح وطبول الزفاف وباطنه المعاناة، فهو يعني أن يتنازل كلٌّ من الطرفين عن حرّيته للآخر، وأن يقتسما معًا الأيام الحلوة والمرّة، وأن تعطيه حنانها ويعطيها فلوسه، وأن يتفق الطرفان ضمناً وفي شبه جدول زمني على الخناق، وأن يترك كلٌّ منهما البيت للآخر بين فترات متقاربة حتى يتيح لشريكه البكاء بكامل حرّيته.

وقرار الزواج قرار شخصي، وهو قرار مطعون غالبًا في سلامته، فهناك شك في أن يتزوج الإنسان بإرادة حرة؛ إذ يتزوج الرجل غالبًا تحت تأثير حب محموم، أو الخوف من فوات قطار الزواج، أو تحت تأثير أن عندها شقة، أو تحت تأثير أنها بنت رئيس مجلس الإدارة.

وفي العادات المصرية تبكي أم العريس وأم العروس في ليلة الزفاف على ما ينتظر البنت والولد على يد كلٍّ من الولد والبنت.

وفي العادات المصرية أيضًا أن العريس في ليلة زفافه يحيط به صفوة أصدقائه المقربين، يرتدون ثيابهم من نفس لون ملابسه (الأسود)، فعند الشدائد تعرف الإخوان.

وفي ليلة الزفاف تنطلق الأعيرة النارية، وقيل في تفسير ذلك: الرغبة في صرف الأنظار عن العريس والعروس منعًا للحسد، تمامًا مثل رشّ البُدرة، لكن التفسير الأكثر قبولاً هو ما قيل إن إطلاق الرصاص هو إعلان عن عهد ما بعد عهد الغرام، حيث تبدأ الحرب بين الاثنين.

اللجوء إلى حضنها

الرجل يكون أكثر اقترابًا من المرأة عندما يحدق به خطر ما، في زمن الحرب مثلاً يزدهر الحب، فأجمل قصص الحب الرومانسية التي قدمتها السينما العالمية تدور بين رجل يتهدهده خطر الموت في الميدان وامرأة تشاركه الموقع أو يسعى للقاءها في إجازات خاطفة، ومن هذه الأفلام مثلاً «شارع هانوفر» لهاريسون فورد، و«الحب شيء متعدد الجمال» لجنيفر جونز، وبالرغم من أن الزواج هو أكبر خطر يتعرض له الرجل إلا أنه يندفع إلى الزواج عندما يتهدهده الخطر!

فالرجل مهما كبر ونضج يظل بداخله ذلك الطفل الذي يتشبث بحضن الأم في ساعات الخوف، والمرأة التي يصادفها وهو يفتقد الأمان هي هذه الأم التي يجنح إلى الاحتماء بحضنها، وتذكر الإحصائيات أن المضيفات الجويات يفزن أحيانًا بأزواج من أصحاب الملايين عندما تتعرض الطائرة للخطر، أو عندما يكون المليونير ممن يعانون رهاب ركوب الطائرة، فالمضيفة احترفت - ضمن مهنتها - بعث الثقة والطمأنينة، وهي بابتسامتها وهدوئها تضيء على الخائف أمنا نفسيًا يجذبه نحوها إلى درجة التهور المسمى بالزواج.

والذين يعانون وهم المرض وهم أصحاء ويترددون على المستشفيات للفحوص والتحليل، ينتهي الأمر ببعضهم إلى الوقوع في حب الممرضة.

وهناك عاملة أسانسير نيويورك كانت تزيل مخاوف مدير الشركة صباحًا ومساءً، فما أن يغلق باب الأسانسير ليصعد به إلى الدور العشرين حتى يستبد به جنون - أو رهاب - الأماكن المغلقة، وانتهى الأمر بالمدير إلى الوقوع في حب ستوتة شندلر.

وهكذا كل رجل في وقت الخطر: يتطلع إلى الهروب بين أحضان الأم البديلة، ثم لا يلبث أن يتبين أنه وقع بين يديها.

نهاية عهد الهمس

هناك رجال مدربون على احترام الحديث مع المرأة غزلاً وغراماً لأن الطريق إلى قلب المرأة يمر بأذنيها، فالمرأة يسعد ما كثيراً أن تسمع الكلام الباهر، ولهذا تنجذب المرأة إلى الرجل اللعوب؛ لتحقيق تفوقاً على الأخريات بالفوز به، وهي تأمل أن يقنع بحبها، فيقنع فعلاً بحبها وحب شوشو وميمي وتاتو.

وأحياناً يفشل الرجل في التعبير عن نفسه عندما يحب حباً صادقاً وعميقاً؛ إذ يرى كلمة أحبك أرخص وأصغر وأقل بكثير مما يحس به، الأمر الذي يزعج المرأة كثيراً لأنها تريد من الرجل أن يكرر كلمة أحبك كما يكرر المذيع «هنا القاهرة» مرة كل ربع ساعة..

ويصبح الرجل في صمت تام وصائماً عن أي كلام في حالتين، الأولى عندما يتسلط عليه حب داهم فلا يجد منها صدى أو استجابة، والثانية عندما يصاب بالسكتة الكلامية في بيت الزوجية ويدهمه الخرس المنزلي الأعظم.

والرجال عموماً يجيدون اختيار الألفاظ في أيام الغرام، وبعد الزواج تتحول الهمسات الرومانسية في أفواههم إلى عبارات غريبة مثل: فين الزفت القميص، وفين الزفت مقص الضوافر.

العواذل!

العدول - أو العاذل بالفصحى - هو الذي لا يكف عن لوم العاشق واستهجان المحبوبة أو المحبوب بمفتريات لها أول وليس لها آخر، فهي سمعتها هباب، وهي تحب عشرة آخرين عليه، وهي كذا وهي كيت، و رغم العدول وكلام العدول - بالإضافة إلى غلاء المعيشة وأزمة المساكن - فإن عشرات الألوف يتزوجون كل يوم، الأمر الذي يرجح أن الزواج مرض وراثي.

والعدول صناعة شرقية لأنه نتاج مجتمع طالت فيه العزلة بين الجنسين في الحرملك والسلاملك، الأمر الذي جعل فرصة اختيار المحبوب تكاد تكون معدومة فتولد الحقد على كل رجل تحبه امرأة وعلى كل امرأة يحبها رجل، وبذلك تكاثر العواذل وانتشروا في أغانينا انتشارًا وبائيًا، وأصبحت كل أغنية تحتاج إلى عاشق وعاشقة و عدول، فمن غير العدول لا معنى للبكاء والأنين، فالعدول هو سبب كل بلوى، وهو أمر مبالغ فيه، بدليل أن الزواج مليء بالبكاء والأنين مع أن ليس فيه أي عدول، بل فيه ناس طيبون يُصبرون المتزوجين على بلوتهم.

كذلك تأثرت السينما المصرية كثيرًا بفكرة وجود العدول، فلم تجعله مجرد لائم بل طورت شخصيته مستعينة بحواديت ستي، فجعلت السينما قصة الحب في الفيلم مكونة من البطل والبطلة والشرير الذي هو العدول الجديد، وهي فكرة معدلة لثلاثي حواديت ستي: ست الحسن والشاطر حسن وأمنا الغولة التي كان يقوم بدورها محمود المليجي وتوفيق الدقن، فإذا رأى المسئولون عن الفيلم أن جرعة الشر غير كافية لإفساد قصة الحب واستدرار العطف على البطلة، لجأوا إلى موت البطلة.. ولا عزاء للمتفرجين.

وهناك فرق!

الأفضل أن يكون هناك حب قبل الزواج، فالحب تجربة نافعة أو هو بروفة للزواج؛ لأن الحب والزواج وجهان لعملة واحدة، وبينهما الكثير من أوجه الشبه:

- في الحب مثلاً يتمنى كل طرف أن يشعل النار في الآخر، وكذلك في الزواج يتمنى كل طرف أن يشعل النار في الآخر مع تغيير الوقود إلى بنزين.
- في الحب يتحدث كل منهما عن الآخر في إعجاب، وفي الزواج يتحدث كل منهما في إعجاب أيضاً، ولكن عن نفسه.
- في الحب يحرصان على ألا يسمع أحد حديثهما، وفي الزواج يحرصان على ألا يسمع الأولاد الخناقات.
- في الحب أيام الخطوبة يجعلها تسهر إلى وقت متأخر في انتظار انصرافه من بيت أهلها، وفي الزواج يجعلها تسهر في انتظار عودته.
- في الحب يکید لهما العذال، وفي الزواج يستغنيان عن العذال، وبالجهود الذاتية يکیدان لبعضهما.
- في الحب يدعو الله أن تصبح حبيبته زوجة له، وفي الزواج يدعو الله أن تصبح زوجته حبيبته.
- في الحب يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد الشوق والحنين، وفي الزواج يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد محضر.
- الفرق المهم بين الحب والزواج هو أن الحب يؤدي إلى الزواج، والزواج لا يؤدي إلى الحب.

اختبري مبدك

ممکن أن یوجد الحب الرومانسي بین الزوجین، ویمکن للزوجة أن تطرح علی نفسها بضعة أسئلة لتستوثق إن كان الحب رومانسي الطابع أم لا، ومن بین هذه الأسئلة مثلًا:

هل تترکان جموع الناس فی الحفلات وتتحیان رکنًا بعيدًا فی حدیث هامس حتی لا یعرف الحاضرون أنکما تتشاجران؟

هل تنظرین إلیه - كلما التقیت به - وكأنما تلتقین به لأول مرة فتدققی النظر - مثلًا - فی أنفه الکبیر بدهشة بالغة؟

هل تستعملین شفرة حلاقة ذقنه الجدیة فی بری قلم الحواجب فیقابل هو هذا التصرف بضحكة جذابة فیها الکثیر من الهیستریا؟

هل تؤجلین قص المشاكل علیه إلی أن یتتهي من طعامه، أم أنك - خوفًا علی صحته - تحرصین علی أن تكون وجبته قليلة جدًا؟

هل یهدیک من وقت لآخر هدايا ثمينة ولا یطالبک بها إلا عند الخناق فی مکتب المأذون؟

هل تحرصین علی أن یكون زوجک هو أول من ترتدین أمامه فستانک الجدیة حتی ینشرح صدره ویصبح أقل مقاومة فی تسدید فاتورة الفستان؟

هل تشعران وأنتما بمفردكما فی البیت أنکما تريدان ممارسة الهواية التي ترتاحان إلیها وهي الزعیق؟

هل تشعرین بالخوف علیه وعلی مستقبل الأولاد فتودین مفاتحته فی أن یعرض نفسه علی طیبب أمراض عقلية؟

ملاك رغم أنفه

زواج سبعة أشهر يفتقر إلى التفاهم الذي أثمره زواج سبع سنوات، وزواج عشرين سنة يجعل الاثنين يتذكran أمورًا تافهةً ومضحكةً كادت تودي بالزواج في سنته الأولى، فالزوجان في بداية الزواج أشبه بفريقي كرة قدم في الدقائق الأولى لمباراة حساسة: أعصاب مشدودة. توجس. تحفز، ورغبة تمتزج بالتحدي في أن يسيطر كل منهما على الملعب، وهو ما يسمى في الزواج بمعركة السيطرة، أو مَنْ يسيطر على مَنْ؟ وهي معركة لا يعرف الزوج المبتدئ الغشيم أنها تنتهي - منذ بدء الخليقة - بتنازل الزوج عن عرش البيت مع منحه لقب شرفي هو سُرابة الخرج.

والحكم على إنسان بأنه سيئ تمامًا أمر مشكوك في صحته غالبًا، فهناك إنسان سيئ لأنه لم يوافقنا على أن «واحد زائد واحد يساوي سبعة»، وهناك إنسان سيئ لأننا ننظر إليه من خلال أفكار منحازة، وهناك إنسان سيئ لأنه يؤلف لنا المسلسلات، وحتى مؤلف المسلسلات مثلًا فيه جوانب طيبة بعيدة عن الأذى.

كذلك لا يوجد إنسان مجرد تمامًا من أي معنى طيب، وبالمثل لا يوجد في الدنيا ملائكة بلا خطايا، لكن يوجد زوج مزمن أصبح ملاكًا رغم أنفه بالترويض الممل، فمنذ بدء الخليقة والمرأة تتبع سياسة النفس الطويل - دون يأس - لكسر ناب الرجل مهما كان هذا الناب أزرق، وليست مصادفة أن تشكل النساء أغلبية مروضي السباع والتمور في سيركات العالم، وليس غريبًا أيضًا أن يتحول سبع البيت إلى أرنب، ولا تردهي له اعتباره إلا يوم تصرخ وسط الناس: يا سبعي يا سبعي!

أجمل الأكاذيب

إن الحب نفسه - كالحياة - أكذوبة جميلة، قد تطول - كالحياة أيضًا - وقد تقصر، والكذب عند العشاق على كل لون: أحلام وأوهام ورؤى لا تمثُّ إلى واقع أو حقيقة، يا ويل العاشق عندما ينحسر الروم عنه: فهذا كامل الشناوي يقول: «أيقظتني من زيف أحلامي وغدر مشاعري»، وهذا علي طه يقول: «أنا من ضيع في الأوهام عمره»، وهذا ناجي يقول: «وأفقتنا ليت أنا لا نفيق».

وكل مناجاة العشاق وأغانيهم تقوم على أكاذيب جميلة، فهذا عاشق يقول: «أبني لك قصر عالي واخطف نجم الليالي»، ربما لتركيب هذا النجم نجفة في القصر، وهذا الدكتور مجدي يعقوب يقول لعاشق: «في قلبك رمش عين صاحبه رماه وناسي بقاله جمعتين»، وعاشق يقول للمحجوبة: «خد عين مني وطل عليا»، فهو يعرف أنه كاذب لأنه لن يذهب للقائها وهو أعور بعين واحدة.

والكذب في الزواج يبدو وكأنه ضرورة.. مثلاً يعني مهما بلغ حب امرأة لرجل فهي تجد سعادة خفية في التمرد على سلطانه من خلف ظهره، وتكذب عليه، أو تكذب دفعًا لعواقب غيرة حمقاء من جانبه، وإذا قلنا إن الكذب سلاح الضعفاء لأن الأقوياء لا يكذبون، فذلك يوضح لنا لماذا يكذب الأزواج خصوصًا عند العودة في المساء.

ومن الابتدائية إلى الليسانس إلى الدكتوراه يتعرض الرجل لأسئلة كثيفة يتحدد معها مستقبله، لكنها جميعًا أسئلة تهون إلى جوار ما سوف يلقاه من أسئلة الزوجة، وفي ذلك قال حكيم إسبرطة لزوجته: إذا أردتِ ألا أكذب عليكِ فلا تسأليني سؤالًا واحدًا!

والغيرة أنواع

الغيرة أنواع. هناك غيرة رجالية وغيرة نسائية، والغيرة الرجالية تشمل الغيرة على الزوجة أو الغيرة على زوجة رجل آخر.

والرجل العاقل يعتدل في غيرته على زوجته، والرجل الأحمق هو الذي يغار إلى درجة تشكك الناس في سلوك زوجته، لكن هذا الغيور الأحمق انقرض في الغرب مع انقراض الرجل الحِمِش وظهور الرجل الخُنْفَس الذي أفرزته الزعامات النسائية، ويحكى في ذلك أن رجلاً اتصل بزوجة من هذا الطراز، وقال له: سوف أمر عليك اليوم لكي أطلب يد زوجتك، فقال له الزوج: متأسف، أنا مشغول اليوم، يمكنك أن تمر غداً، كما يحكى عن الزوج الآخر الذي لمح زوجته داخل سيارته ورجل غريب إلى جوارها يُقبِّلها فاستشاط الزوج غضباً وباع السيارة.

أما الغيرة النسائية فتشمل غيرة المرأة من المرأة، وغيرة الحبيبة على حبيبها، وغيرة الزوجة على فلوس زوجها.

فغيرة المرأة على الرجل هي غيرة عاطفية أيام الحب والغرام الحامي؛ إذ إن الخناقات بين العشاق سببها الرئيسي الغيرة، فالغيرة هي التي تبعث السخونة في الحب، وعندما يتوارى الحب بعد الزواج يصبح السبب الرئيسي للخناقات: الفلوس.

وإذا كانت غيرة الرجل مبعثها الرغبة في استئثاره بأنثاه، فإن غيرة الزوجة يغلب عليها العامل الاقتصادي، فلا توجد امرأة على ظهر الأرض تأمن للرجل وفراغة عينه، ووقوع الزوج أو شبهة وقوعه في حب امرأة أخرى معناه أن هذه المرأة سوف تستولي على جانب من الدخل أو الدخل كله (حسب درجة الصبابة)، وبسبب هذا التهديد تحرص الزوجة دائماً على تقصي حقيقة دخل الزوج، كما تحرص على نوبة التفتيش الليلية لجيوبه.

ل بليد هن عليم

هناك فرق كبير بين إخلاص المرأة لمن تحب وبين حبها للخداع، فالخداع جزء من تكوين المرأة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ صدق الله العظيم، والكيد هو المكر والاحتيال، وهو ضرورة للمرأة لاجتذاب الرجل وتكوين الأسرة؛ إذ لا يمكن طبعًا أن يصل الرجل إلى درجة قبول الزواج إلا بعد الضحك عليه.

وإذا كان الصياد يحتال على أنياب الأسد بالشراك الخداعية، فالكيد يصبح ضرورة في مواجهة عضلات الرجل، ثم إن المرأة مهما تفانت في حب رجل فإنها تجنح دائمًا إلى التمرد على سلطانه وعصيان أوامره في أمور تافهة وصغيرة من خلف ظهره، وتشعر من ذلك بمتعة كبرى، كتلك السيدة التي أقبلت على قزقزة اللب من خلف ظهر زوجها دون سابق هواية لذلك، فقد حرم عليها أكل اللب، وعندما جعلها تقسم في البداية أنها لن تقزقز ذلك اللب الأسمر، برّت بقسمها وأصبحت تقزقز اللب الأبيض.

وعاطفة المرأة لا تتغير بسهولة لأنها مستمدة من أقوى العواطف أصالة وجذورًا: الأمومة، وإذا تغيرت عاطفتها فلأسباب وجيهة يدان معها الرجل، لكن المرأة بحكم طبيعتها قد يعترها ضجر عاطفي بين حين وآخر بسبب رتابة العلاقة أو الدورة النفسية بين الاكتئاب والانبساط، وهنا يغير الحب جلده، ويتجدد باشتعال نار الخلاف والحب كده.. خصام ورضا.

ملحوظة: الفرق الوحيد بين ضجر الحبيبة وضجر الزوجة هو كيس بلاستيك.

كلمني شكرًا!

الرجال ينقسمون إلى قسمين: الثرثارون والأقلية، والأقلية تنقسم إلى ثلاثة أنواع: مستمع جيد، ورجل عاجز عن الكلام بالفطرة، ورجل أخرس بالاكْتساب (الزوج داخل البيت).

والمرأة يشد انتباهها الرجل قليل الكلام، وقد يستهويها هذا الرجل إما لأنه صامت وإما عاجز عن الكلام ومليونير.

والمرأة يستهويها الغموض في شخصية الرجل، وهي كما تجري وراء السر لكي تكتشفه ثم توزعه على صديقاتها مجانًا في التليفون، فإنها أيضًا يروق لها الرجل المتحفظ قليل الكلام حتى تكتشف شخصيته، وهي تهتم به بقدر ما يثير فضولها، وتفقد اهتمامها به بقدر ما تكتشف من شخصيته، فلا تكشف عن شخصيتك للمرأة التي تحبها ولا تسرف في إظهار عواطفك نحوها، فالمرأة تريد منك أن تحتفظ لها دائمًا بقدر يكفي لإثارة فضولها، وأعرف زوجة ظلت في غرام مع زوجها حتى السنة العاشرة من الزواج لمجرد أنه غامض التصرفات، وفي السنة الحادية عشرة عرفت أنه هارب من أحكام جنائية.

والمرأة يستهويها في الرجل اللعوب - ضمن ما يستهويها - اكتشاف سر جاذبية النساء له، وقد كان كازانوفًا أمير العشاق اللعوب يخدر المرأة بشخصيته الغريبة؛ إذ كان أفاقًا ونصابًا وجاسوسًا وكاهنًا وكاتبًا ومحاربًا، ثم تستيقظ الحبيبة ذات صباح لتجده قد جردها من الفلوس والمصاغ.

وآخر نصيحة: إذا أظهرت للمرأة كل ما خفي من شخصيتك، وأصبحت هي تستطيع أن تقرأ دون أن تنطق كلمة، فاعلم أن الضجر قد تسلل إلى صدرها، وأنت أصبحت - إن كنت لا تدري - زوجها.

الحب وعمره

الحب ليس له عمر افتراضي، الحب يمكن أن يكون معمرًا كما يمكن أن ينقصف عمره، فالحب له آفات، والبخل مثلًا يقتل الحب بالسم، وافتقاد الحنان يقتل الحب بالأنيميا، كذلك يمكن القضاء على الحب في حادث مثل حادث لا تكذبي إني رأيتكما معًا!

والحب القوي له مناعة الجسم، وهو يفقد مناعته عندما لا يجد كل طرف ما يقدمه إلى الآخر، ومقبرة الحب عبارة عن حفر صغيرة متجاورة يحفرها العاشقان بأخطاء متعاقبة وقاتلة، فالحب هو الكائن الوحيد الجميل الذي يتم دفنه جزءًا بعد آخر.

والحب - على مدى عمره - له أسماء مرحلية، فهو يبدأ إعجابًا فاهتمامًا فغرامًا، ثم ينزع منه المأذون جناحيه الجميلين: الشوق والحنين، فيصبح اسمه أحيانًا مودة، وأحيانًا خناقات..

والحب - على مدى عمره - يميل إلى التنكر، فهو كثيرًا ما يتنكر في زي الصداقة، ثم يسفر عن هويته، وقد يتنكر في صورة نفور أو استفزاز رجل ما مثلًا يثير ضيق امرأة عندما تراه، هذا منتهى الاهتمام بالرجل من جانبها دون أن تدري هي أنه الحب يدق بابها، وفي ذلك قالت الأمثال: «ما محبة إلا بعد عداوة»، وقد يتنكر الحب أيضًا في زي الكراهية، وقد يعيش طويلًا على شكل رغبة قوية في الانتقام، فالمرأة العاشقة تفضل كثيرًا أن ترى حبيبها خارجًا من عمر مكرم على أن تراه خارجًا من بيت امرأة أخرى، ومشهد عطيل وهو يقتل ديدمونة صورة مكتملة للحب الجارف عندما يملكه الغضب المجنون، والواقع أن كل حبيبين ينتقمان من بعضهما في النهاية، فهي تتزوجه وهو يتزوجها.

دموع الحب

التعامل مع الدموع لا يفرق بين الرجل والمرأة، فالرجل - وكذلك المرأة - يبدأ البكاء بغير دموع وهو وليد، ثم تعمل الغدد الدمعية بعد شهر من مولده، ثم تظهر فوائده هذه الغدد في المستقبل عند الجنسين، فتصبح الدموع هي اللحن المميز الذي يسبق برنامج ما تطلبه المرأة من الرجل، بينما تلعب الدموع عند الرجل دورًا مهمًا للتعبير عن القهر داخل النظام الشمولي المسمى بالزواج.

ولا تخجل من دموعك في الحب، فالفرق كبير بين أن تدمع وأنت تعبر لها عن أحاسيسك، وبين أن تنوح كواحد من شحاتين الغرام طلبًا للوصال، في الأولى تعبير عن صدقك، وفي الثانية منتهى الهوان، ولا تصدق أن الدمع يحط من شأن الرجولة، فهو تعبير إنساني بالدرجة الأولى، وفي أساطير الإغريق نرى أبطالاً في قمة القوة يكون، ثم إذا كانت الدموع تنتقص من الرجولة فما هو البديل الذي يلجأ إليه الأزواج؟

وكل عاطفة قوية ذات أعماق تؤكد صدقها وأصالتها بالدمع كالتفاني في حب الله ويقول تعالى: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، و ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ صدق الله العظيم.

وفي المجال الغرامي بين الجنسين ليس صحيحًا أن الدموع تصاحب عاطفة الرجل الشرقي فقط، فالدموع موجودة في أشعار شكسبير وبايرون ووتنيسون

وغيرهم، وتعتبر الدموع سلاحًا متبادلًا بين العشاق يستريح كل طرف لإصابة
الآخر به، فيقول عاشق مثلاً في إحدى الأغاني: «خلي دموعه تسيل ع الخد.. ده
مفيش حد أحسن من حد»!

وإذا كان العشاق يتمنون البكاء لمن يحبون.. فماذا تركوا لحرب
المتزوجين؟؟



.. ولغة الحوار!

السعادة يمكن أن تدوم بعد أيام العسل الأولى بفضل التفاهم، لكن قد يحدث في بعض الأحيان أن الزوجين السعيدين يبدآن صداقة حميمة، ثم يغير كل منهما رأيه في الآخر.

وهناك زيجات ليست مثالية أو طبيعية، فلا بد من وجود الملح والفلفل والشطة أحياناً لأن أي مكان يوجد فيه اثنان لا بد أن يكون فيه اختلاف في الرأي، والتفاهم مع المرأة سهل، وله قواعد بسيطة، أولها أن في أي مناقشة مع المرأة هناك دائماً وجهتا نظر، وجهة النظر ووجهة النظر الغلط، فإذا بدأت المناقشة معها فكن «جنتلمان»؛ إذ ليس من الحصافة أن تقاطع أفكارها المتدفقة، بل عليك أن تجيد الإنصات إليها لكن لا تجعلها تكتشف أنك تتظاهر بذلك، والمرأة لا تستطيع أن تتخلص أبداً من أسلحة أنوثتها في الإقناع، وهي يعز عليها أنها كانت أيام الخطوبة والغرام تقنعك في المناقشة بنظرة عين، أو ابتسامة عريضة تكشف عن أسنانها اللولي، فلا ينبغي أن تصدمها بعد سنوات الزواج بأنها فقدت نفوذ عينيها، بل أشعرها أن عينيها لا تزالان على نفوذهما القوي وهي توجه إليك - خلال المناقشة - زغرة قوية، كما عليك أن تتذكر أن أسنانها اللولي لا تزال سلاحاً صالحاً للعض، ومن المهم أن تلاحظ أن المرأة لها لغة خاصة في المناقشة، بعضها غير مفهوم ويتعذر الرد عليه، كأن ترفع لك حاجباً وتخفض آخر، وهي حركة من العسير على الرجل الرد عليها بسبب التكوين المختلف لعضلات حواجب الرجل، وهنا نتبين حكمة تقول: ليس من الضروري أن ترد على كل ما تقوله المرأة، كذلك علينا أن نلاحظ أن المحصول اللغوي للمرأة ضعيف، فقد لا تسعفها الكلمات فنجدها تستعمل كلمة غير مناسبة بحسن نية،

فهي إذا أرادت أن تقول لك: «إن تفكيرك بهذا الأسلوب يجعل حياتنا صعبة»، قالت بدلاً من ذلك: «إن العيشة معاك بقت هباب»، فهي حسنة النية، ولكي تكون المناقشة ناجحة مع امرأة عليك أن تلتزم الصمت، وأن تأخذ يدها في حنان بين يديك، فهذا سوف يقيك مفاجآت طويلة اليد، وعلى العموم يمكن تجنب المناقشات الحادة إذا تجنبنا أسبابها وأهمها الغيرة على الرجل وعلى جيب الرجل، فالمرأة تعتقد أن الرجل على جانب كبير من البلاهة ويسهل الضحك عليه، وعندما يتأكد لها أنه أبله فعلاً بزواجه منها، تبدأ مرحلة خوفها الشديد من أن تستغل بلاهته الأخريات، أما غيرتها على جيب الرجل فلن تكون هناك أي مشكلة إذا قدمت إليها إقرار الذمة عن دخلك، وكان الإقرار مطابقاً للنتائج التي حصلت هي عليها من تفيش جيوبك ليلاً.



في بورصة الحب

الزواج لا يحتاج إلى نصائح تُقال، فلا أحسب أن النصيحة تجدي مع مَنْ لم يتَّعظ بمصائر الذين سبقوه، وصحيح أن الإقدام على الزواج لا يحتاج إلى أي عقل، ولكن الاستمرار في الزواج يحتاج إلى حكمة لقمان وسليمان، والحكمة تقتضي أن تكون واقعياً، مثلاً لا تحاول أن تقوم بدور الديكتاتور حتى لا تدخل معها في منازعات؛ إذ إن دور الديكتاتور - بالبداية - هو دورها الطبيعي، يمكنك فقط أن تقوم بدور الملك، بشرط أن تكون كملك الإنجليز، تملك ولا تحكم، وليس في هذا ما يسمى كبرياءك، فكبرياء التاج البريطاني محفوظة دائماً، ثم ما حاجتك إلى الكبرياء أصلاً؟ أليست الزوجة امتداداً للأُم ونزعة الأمومة أقوى ما فيها، من هنا يمكنك أن تترك العنان لصوتك كي يختنق بالدموع أمامها عندما تشعر بالقهر، فهذا يرضي أمومتها خصوصاً إذا انفجرت باكيًا تلطم الخدين، ولا تستنتج من هذا كله أنك سوف تصبح بلا قيمة في البيت، فمن المؤكد أنها ستستشيرك في كل كبيرة وصغيرة ثم تنفذ عكس رأيك، وإذا أزمعت أن تقول رأياً نافعاً قد يثير خلافاً بينك وبينها فعد من واحد إلى خمسمائة - للتروي - قبل أن تعلن رأيك، ثم اعدل عن قوله؛ فمن طبيعة الزواج أنه نظام قهري للحاكم فيه حق الكلام فقط، اتركها تتكلم كما تشاء، وتستطيع أن تجد فرصتك في التعبير عما تريد أن تقوله إذا كلمت نفسك.. هذا من ناحية السلطة في البيت.

أما من الناحية الاقتصادية، فأنت قد دخلت عهداً جديداً تخضع فيه للتأميم والمصادرة والحراسة، وتذكر أن الحب في الزواج يمتزج بالاقتصاد وارتفاع أسهمك في بورصة الحب يرتبط بارتفاع أسهمك في بورصة المال، وإذا

سألتك: بتحبني؟ قل: نعم. وإذا سألتك: بتحبني أد إيه؟؟ فاختصر الجواب
وقل لها: إنتي لازمك فلوس أد إيه؟ وصحيح أنها ستقرر لك مصروفًا شخصيًا
(سجاير ومواصلات) كأى واحد تحت الحراسة، لكن ينبغي أن تقتصد من هذا
المصروف وتدبر مبلغًا لشراء شنطة؛ إذ لا غنى لك من وقت لآخر عن جمع
ملابسك لتطفش من البيت.



التفرغ للحب

المرأة عند الزواج لا تحدد أو تختار مهنة العريس، وحتى العريس أصبح لا يختار مهنته، فالذي يختار له المهنة في العصور الحديثة هو مكتب التنسيق، وبعد تخرجه في الجامعة تختار له القوى العاملة مهنة أخرى غير التي درسها، والخلاصة أن المرأة لا تشترط مهنة معينة للعريس، فهي تكتفي بأن يكون الرجل في وظيفة «زوج»، وهي وظيفة تعتقد المرأة أن الرجل ينبغي أن يتفرغ لها، وكلما كثرت ساعات التفرغ لهذه الوظيفة كانت سعادة المرأة أكبر، ومن هنا نلاحظ أن عشاق التاريخ المعروفين كانوا من العاطلين عن العمل، كالشباب المتشرد قيس، والجنرال المتقاعد مارك أنتوني، وفي العصر الحديث: دوق وندسور، وزمان كان من الأعيان وذوي الأملاك مَنْ يجد عنده الوقت الكافي لدرجة الزواج من أربع والتفرغ لهن.



يا لبطولته!

إن الزوج يعطي زوجته بدل تفرغ على شكل هدايا أو فلوس إذا كان مشغولاً جداً بعمله (أو بامرأة أخرى)، وما من فتاة تقبل الزواج من صحفي إلا وهي على يقين أن عريسها متزوج كل الوقت من الصحافة، وقد تعجب المرأة بالرجل المشهور، ولكنها نادراً ما تستسيغه زوجاً، ليس لأن معظم المشاهير مجانيين، ولكن لأن المرأة لا تقبل قسمة العاطفة على اثنين، فلا هي تريد مزاحمة معجبات، ولا هي تقبل - في أي مجتمع - أن يسرق أحد منها الأضواء حتى ولو كان زوجها المشهور، وزوجات المشاهير معظمهن غير سعيدات، ليس لأن ثلاثة أرباع المشاهير يعانون من مرض الملانكوليا أو الاكتئاب، ولكن لأن الحياة مع المشاهير مليئة بالمتاعب، وهي متاعب تكتسب معها الزوجة في النهاية قوة التحمل والصبر، وكثيراً من الدهشة أيضاً، فهي تدهش حقاً - بعد سنوات الزواج - لأن يكون لزوجها معجبة أو معجبات، فهي ترثي لهذه المعجبة؛ لأنها لا تشاهد زوجها وهو نائم مثلاً منكوش الشعر، مفتوح الفم كسيد قشطة، ولسانه يتدلى كالأبله، وشخيرته يهز أركان الغرفة رغم الزغد المستمر فيه، فالأخريات لا يرين إلا الجانب البراق من المشاهير، وصدقت تلك الزوجة العظيمة التي قالت: إن وراء كل رجل مشهور زوجة تقول له طظ فيك.

الشريك المخالف

عندما نقول آدم فهذا يعني الرجل، وعندما يُقال حواء فهذا يعني المخلوق الأجل والألطف والأرق والأذكى، ولا يعني - على وجه التخصيص - أمنا حواء، ويمكن أن نعتبر «آدم وحواء» اصطلاحاً أو تعبيراً عن نقيضين: الشريك والشريك المخالف، واحد يريد فتح النافذة لأنه حرّان، والآخر يريد إغلاق النافذة لأنه بردان، واحد يقول يمين والثاني يقول شمال، واحد موافق والثاني غير موافق، ولعل الاتفاق التاريخي الوحيد بين الطرفين هو الاتفاق بين الأب الأول آدم والأم الأولى حواء على أكل التفاحة، وهناك مَنْ يحاولن تبرئة أمنا حواء من المسؤولية تماماً.. صعب.. فالثابت أن إبليس قد أغواها في صورة الحية لتأكل من شجرة المعرفة فأغوت آدم، ولا يمكن تبرئة آدم أيضاً من المسؤولية، وتقول الآية الكريمة في هذا الخصوص: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي أن آدم لم تكن له إرادة صلبة وصمود قوي أمام إغرائه والتغريب به، وعلى مر التاريخ نجد أن آدم في كل زمان لم تكن له - أمام حواء - الكلمة الأولى (ولا الأخيرة وحياتك)، فهو يبدأ النقاش معها بكلمة غير موافق، ثم ينتهي النقاش بكلمة غير معترض، وهناك كوكبة يسميها الفلكيون حواء تمثلها الأساطير في صورة رجل يحمل بين يديه أفعى وهو ملدوغ يا ولداه، فنحن الرجال قوم سدج نتعرض في كل عصر وزمان لشراء الترمائي، فما من امرأة فشلت مرة في أن تباع للرجل الترمائي، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ والكيد هو المكر،

والمكر هو الاحتيال الذكي فريسته دائماً السذج والأبرياء، إن في رقبة كل رجل
كرة صغيرة اسمها تفاحة آدم، ترتفع وتنخفض عند البلع، وذلك رمز للتفاحة
المحرمة التي لم يكن يريدتها آدم، ولأنه لم يكن يريدتها فلا هي طلعت ولا هي
نزلت، وإنما وقفت في زوره إلى أبد الأبدين!



خطيبته معفرة بالتراب!

رأيته حزينًا لأن كل ما في خطيبته جميلًا إلا اسمها: «عفراء»، لم يعجبه وفهم من الاسم أنها معفرة بالتراب!!!

وكثيرون لا يعرفون معاني الأسماء العربية الجميلة مثل: سُهي، وميادة، وسُهيلة، ورباب، ونهلة.

ولكل عصر أسماؤه الموضوعة.. زُليخة كان موضوعة. زَنوبيا كان موضوعة، ثم بنبا قادين - أي السيدة الوردية - وبمبة كشر وألمظ وناظلي شاه. وليس بالضرورة أن يكون للاسم معنى، وإلا فما معنى بُرعي وكمبورة وعدوية؟؟ وإذا كنت تطالب بأسماء عربية أصيلة، فأميمة هي تصغير كلمة «أم»، ومايسة وميادة معناها: التي تمشي «متمخترة»، ويمكن للأسطى العالمة أن تُغني للعروس باللغة الفصحى: «ميسي يا حلوة يا زينة.. وميدي وتعالى جنبي.. يا حلوة يا لابسة البمبي»، أما «مها» فمعناها - ولا مؤاخذة - بقرة، فالمها هو البقر الوحشي الذي اشتهر بسحر العيون وجمالها، وسهيلة من سهيل وهو النجم، والشهي اسم كوكب، ورباب: سحاب، والسَّحَر هو وقت ما قبل الفجر، ومنه السحور والمسحراتي، وعفراء هي التي يُخالط بياضها حُمرة، ونهلة من أحلى الأسماء العربية، فهو مشتق من المنهل العذب، أي ينبوع الماء الصافي، وفي ذلك يقول الإمبراطور عبد الوهاب في مجنون ليلي: «إذا طاف قلبي حولها جن شوقه.. كذلك يشفي الفلة (العطش) المنهل العذب»، أما عفراء فمعناها بياض، وعلى أية حال هذه ظاهرة طيبة، أن الأسماء العربية الأصيلة بدأت تغزو دفاتر المواليد على نطاق واسع بدلًا من تفيدة وفكيتها ولو اُحظ ونوسة وقوسة، كذلك انتشرت الأسماء العربية للذكور

مثل وائل وهشام ووليد وياسر وزياد، كما انحسرت موجة الأسماء الفضيحة التي كان يروج لها لاعبو الكرة وهم يتسمون بها مثل السكران وخيشة و صفيحة ولوكة واللالي، وكان الأطفال يتعلقون بهذه الأسماء البطولية في عالم الكرة وكانت أمنية كل طفل أن يصبح اسمه الجردل أو الأهتم أو الخربان ولم يعد باقياً من هذه الأسماء إلا اسم المعضاض، وهو اسم الشهرة الذي انتشر بين بعض مؤلفي المسلسلات.



حرب الكلمات المأثورة

الأقوال المأثورة في المرأة ألفها الرجل، وهي جزء من الحرب الأزلية بين الجنسين والتي بدأت بالواقعة التاريخية الشهيرة بحادثة قطف التفاحة، وتتخلل تلك الحرب فترات هدنة قصيرة جدًا تُعرف باسم الخطوبة وشهر العسل، كما أنها حرب لها قتلى من الجانبين، ويطيب للرجال أن يُطلقوا على ضحاياهم فيها شهداء الأكياس.

والأقوال المأثورة التي أطلقها الرجل في حربه الإعلامية ضد المرأة لا تزعجها أبدًا. بالعكس. ارتاحت المرأة إلى هذه المقولات الرجالية التي تصورها مخلوقًا قويًا ومحيرًا وغامضًا وعلى دهاء عظيم، فإذا قيل فتش عن المرأة، فهذا شيء يسعدنا لأنه يصورها كمحرّكة وحيدة للأحداث، وأن الرجل ماريونيت أو ألعوبة في يدها، وإذا قيل إن المرأة كالماء إذا اقترب منها الرجل مات غرقًا وإذا ابتعد عنها مات عطشًا، فهذا يعني أن حياته مرهونة برضاها وصدودها، وإذا قيل إن المرأة ذات دهاء وكيد عظيم، فهذا يعني - ببساطة - أن الرجل عبيط.

ولا توجد أقوال مأثورة قيلت في الرجال فيما عدا الأمثال الشعبية التي قالتها ستي وسلخت فيها بدن جدي، فقالت عنه مثلًا: «الشعرة من جلد الخنزير مكسب»، و«الحمار لما يشبع يبعزق عليه»، كما وصفته بأنه «أقرع ونزهي».

أما على المستوى العالمي فقد احتكر الرجل في عصور تخلف المرأة الممارسات الفكرية، فكتب عن المرأة ما يشاء وأعطى لنفسه حق إصدار الأحكام المطلقة وفق الحال والمزاج، ذلك أن المرأة هي التي تُكيّف العلاقة

بينها وبين الرجل، وهي التي تحدد هذه العلاقة: صداقة بريئة أو حبًا وزمالة، أو قطيعة، وهكذا تختلف الأقوال المأثورة للرجل تبعًا لموقفها منه، فإن هي أقبلت عليه قال عنها في مأثوراته: «إذا أحببتك امرأة فهي تحبك حتى آخر عمرك»، وإن أدبرت عنه قال في مأثوراته: «إذا أحببتك امرأة فهي تحبك حتى آخر قرش في جيبك».



المرأة فن

المرأة لا تحب الصراحة، بل هي تميل إلى تجميل الواقع وتفضل تزويق الحقائق وأحياناً تزويرها (راجع الوجه قبل الماكياج)، وهي تشتت أن يكون المعنى الذي تريد أن تنقله ملفوفاً في ورق هدايا بفيونكة، فهي تعتبر الرجل وقحاً إذا قال لها: أنتِ وردة ذبلت، لكنها تسعد بنفس هذا المعنى إذا قال لها: الوردة تبقى لها دائماً رائحتها الجميلة، وقرأت عن سيدة وقفت تسأل في غضب متسولاً سليم البنية في شوارع نيويورك: لماذا لا تبحث عن عمل نافع؟ لكن غضبها تحول إلى ابتسامة راضية عندما رد عليها قائلاً: لأن التسول هو المهنة الوحيدة التي تتيح لي أن أتحدث إلى سيدة جميلة مثلك بدون سابق معرفة. وأعرف بائع أقمشة متجولاً كانت بضاعته تلقى رواجاً كبيراً؛ إذ ما إن تفتح له ربة البيت الباب حتى يقول لها: مامتك فين يا عروسة؟

وللنساء فيما بينهن لغة خاصة يتعذر على الرجال فهمها، وهي لغة غير صريحة؛ لأن المرأة لا تحب الصراحة، فإذا التقت فيفي بسوسو مثلاً وقالت لها: محدش عاد بيشوفك ليه؟ فإن سوسو وحدها - دون الحضور من الرجال - هي التي تستطيع أن تحدد ماذا تقصد فيفي، فتلوين نبرة الصوت وطريقة إلقاء السؤال ونظرة العين وحركة الحاجب هي التي تحدد لسوسو ماذا تعني فيفي بالضبط: هل سؤالها بريء؟ هل تعني بسؤالها أنها تعرف أن سوسو غارقة لشوشتها في قصة حب حجبتها عن الناس؟ هل تعني بسؤالها أنها تعرف أن الكوافير حرق لسوسو شعرها فاضطرت للاحتجاب في البيت بسبب القرعة؟

ولا ينبغي أن نلوم المرأة على هذا كله، فالفن يُجَمِّل لنا الحياة، والمرأة
فن، ومن هذا الفن صنع العباقرة اللوحة والتمثال والقصيدة والسيمفونية،
وإذا حرصت المرأة على إخفاء سننها فيجب أن نساعدتها على ذلك، فهي تريد
دائمًا الاعتراف بوجودها الجميل في عيون الرجل ومشاعره، والحمد لله أنني
ساعدت كل امرأة التقيت بها بالثقة المطلقة فيما تذكره عن سننها، ولم ألتق أبدًا
في حياتي بامرأة فوق الخمسين إلا والدتي.



لغة المرأة

قد يتغير العاشق أحياناً لأنه يفهم لغة النساء من جانب، وحاسة الأنثى من جانب آخر، فالنساء لهن لغة دبلوماسية رفيعة المستوى، كأن تقول امرأة لأخرى بقصد سَمِّ بدنّها: «فستانك يجنن.. عمتي كانت عاملة نفس الموديل من خمس سنين»، وقد يُفاجأ الشاب بحبيبتة تهجره لتتزوج بآخر فيتهمها بالخيانة والغدر ويغيب عن إدراكه أن الفتاة قد أحبتة فعلاً لكنها بحاسة الأنثى تحب أكثر أن تكون أمّاً وربة بيت، وهي لا تفتح فتاها صراحة في ذلك، بل تقول له مثلاً بلغة الدبلوماسية النسائية: «والذي إنسان لطيف جداً لو جلست معه»، فلا يفهم أن هذه دعوة لمقابلة أبيها ويرد قائلاً: «أنا سمعت فعلاً أن والدك لطيف جداً»، وحاسة الأنثى هي التي تجعل مواقف الأنثى متناقضة، فالزوجة مثلاً تبدو مهمومة إذا عاد زوجها إلى البيت مكتئباً وهي تصبح أشد نكدًا إذا عاد سعيدًا.

فحاسة الأنثى حاسة بناءة، تمثل رادارًا يشعرها بالخطر من الأخرى أو الخطر على الأسرة عمومًا، وهي حاسة مشتركة بين جميع المخلوقات الإناث، فالأنثى هي التي تختار المكان المناسب لوضع البيض أو الولادة، وهي تراعي بحاستها أن يكون المكان قريبًا من موارد الغذاء وبعيدًا عن الأعداء وواقياً من تقلبات الطبيعة الحادة، بينما الذكر يكتفي في هذه الأثناء بالفرجة أو «المناكفة» فيها دون أن يدرك سبب حيرتها وبحثها عن المكان المناسب، ومن هنا تتجلى حكمة الأنثى أحياناً في الخلاص من الذكر في نفس ليلة الزفاف.

وفي بعض الطيور يصبح موقف الأنثى غير مفهوم عندما تفضل العريس الذي أتت الطيور على معظم ريشه في القتال الذي قام بين الذكور من أجلها،

لكنه اختيار حكيم من الأنثى؛ لأنه يصبح عاجزاً عن الطيران فلا يطارد الأخريات ويظل إلى جوارها يساعد في بناء العش، وهي نفس نظرية قصص ريش الرجل الشهيرة بقصص طيرك لا يلوغ بغيرك، والريش في الرجل هو محفظته، ولذلك يُقال هذا رجل مريش وهذا غير مريش.

وقد ينجم عدم الفهم لأن المرأة أحياناً تُصاب بالحوّل في الألفاظ فتقول نعم وهي تقصد لا والعكس صحيح، ومن هنا كان على الرجل أن يتجنب الأسئلة التي تؤدي إلى الردود الحولاء، فلا يسأل الشاب فتاته مثلاً: هل عرفتِ أحداً قبلي؟ فتقول: لا، أو يسأل الزوج زوجته: هل صحيح أنكِ اشتريتِ أكياس البلاستيك؟ فتقول: لا.



المرأة حياة

في ظل الزواج يتمتع الزوج والزوجة دائمًا بالحريات: الزوج يتمتع بحق الكلام والزعيق، والزوجة تتمتع بحق اتخاذ القرار، والزواج في رأيي هو مظهر الحب الباقي والدائم بين الرجل والمرأة، فالعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة أشبه بعملية إطلاق مركبة إلى الفضاء؛ إذ إن الصاروخ الذي يحمل المركبة إلى الفضاء ينفث في البداية ناراَ تزمجر، وتلك هي مرحلة الغرام الناري، ثم لا تلبث أن تحترق أجزاء الصاروخ مع صعود المركبة إلى «العلالي» فلا تبقى في النهاية إلا المركبة نفسها التي تدور بالاثنين العمر كله، فهذه المركبة هي الزواج، هي الحب الأبقى، هي العشرة، الارتباط العاطفي القوي، الحب العميق الهادئ البعيد عن النار والاحتراق (بذمتك هل هذا طعن في الزواج؟)، والمرأة تتميز عن الرجل بأنها تكره الرتابة والركود، فهي الحياة، وهي نبض الحياة، وهي تجدد الحياة.. راجع التغيرات المستمرة في موضة الملابس وتسريحة الشعر وشكل الحواجب والماسكارا.. إلخ. ثم راجع حب المرأة في تبديل وتغيير مكان الأثاث في البيت، من هنا تضيق المرأة بمركبة الفضاء التي تدور في فلك الزوجية الأبدية بشكل رتيب، فهي دائمًا تَوَاقَة إلى كسر الجمود والبحث عما يبعث النبض في الحياة الراكدة من حولها؛ لهذا فهي في مركبة الفضاء قد تقول لشريك العمر: «نفسى يا حبيبي أشوفك بترمي نفسك من مركبة الفضاء... يا ترى يجرى إيه؟»، نفس هذا الفضول إلى الجديد هو الذي يدفعها إلى أن تقول العبارة السابقة بشكل آخر: «متبقاش خايب وخلينا نعيش زي بقية الناس»، فيختلس الرجل، ويهوي من مركبة الفضاء إلى ليمان أبو زعبل (لا شك أن بدلة السجن

تجديد في منظر الزوج)، وهذا الفضول إلى الجديد والمثير وكسر الرتابة هو ميراث من الأم الأولى حواء التي قالت لأدم: «قوم يا راجل اقطف التفاحة.. يا ترى يجرى إليه؟»، وقطفها. وجرى ما جرى. وليس هذا ذنب المرأة، فلو كان الرجل مخلوقًا مسليًا محبًا للتجديد وتجدد الحياة، ولو كان الرجل مخلوقًا لطيف المعشر لا يبعث على الملل، لما اضطرت المرأة إلى هذا كله، ولما اضطرت قبل هذا كله ومنذ البداية إلى أن تؤمّن على مستقبلها ضد سخافة العيشة معه ببوليصة تعويض اسمها مؤخر الصداق.



بعيد بعيد أنا وأنت

الحب في بلادنا ليس من الحريات الشخصية، فالرجل عادة له ثلث رأي اختيار شريكة حياته، والوالدة لها الثلث الثاني، والوالد له الثلث الثالث، وإذا كان للرجل بعض الرأي في اختيار شريكة الحياة فلإن المرأة - عند القاعدة العريضة - لا رأي لها في اختيار شريك الحياة. الرأي لشنبات الأسرة فقط. ولهذا ينمو الحب من خلف ظهر المجتمع لأن المجتمع يرحب بالحب فقط في الأفلام والمسلسلات والأغاني، ويرفضه في واقع الحياة.

ومن أجل ذلك هناك خصومة دائمة بين المجتمع والعشاق، المجتمع لا همّ له إلا مطاردة العشاق ولومهم، والعشاق لا همّ لهم إلا مغافلة المجتمع ورفع شعار: بعيد بعيد أنا وأنت بعيد بعيد وحيننا.. بعيد عن الناس وكلام الناس ولوم الناس وقرف الناس.

ولعل الحب في الشرق هو الحب الوحيد في العالم الذي يلزمه شخص ثالث شغلته سم بدن الحبيبين ولومهما طول الوقت، ومن هنا انتشرت أغاني بتلوموني ليه. وليه الملام. وبالايمين في الهوى، وهذا الشخص الذي يتولى سم بدن الحبيبين اسمه في أغانينا العذول، واسمه في حواديت الشاطر حسن وست الحسن أمنا الغولة، واسمه في حواديت الأفلام المصرية الشرير، فلوم العاشق ومحاربتة وضربه إن أمكن هي طقوس تلازم قصة الحب في الشرق، حتى إذا تزوج العاشق حبيته تولى هو لوم نفسه بنفسه، وعض بنان الندم، وبنان الندم هو إصبع تنبت في اليد بعد الزواج بالذات.

قولبي أمبلك قول!

الحب كلام وأفعال، وهو يتوهج بالكلام ويمتحن بالأفعال، فإذا رسب الرجل في الأفعال نجح بالتعويض إذا كان فهلوي الأقوال، وكلمة الحب عند المرأة بالدنيا كلها، فالرجل يجذب المرأة وراءه من أذنها بمعسول الكلام، وينتهي الأمر عادة بأن تجذبه هي من رقبتة مسلسلاً إلى المأذون.

والمرأة لا تشبع من كلام الحب، وفيما يختص بالغزل فالمرأة ذات ذاكرة «تيفال» لا يلتصق بها أي غزل، يعني هي في حاجة إلى أن تُذكرها كل دقيقة بما قلته من أنك تحبها، وأن عينيها هي أجمل ما رأيت في دنياك، وأن وأن وأن، ولا بد أن تكرر هذا الهمس مرة خامسة وعاشرة وعشرين ومائة. ذاكرة تيفال، فالمرأة تعبد كلام الحب وتنساه أو تدعي نسيانه، وليلى لم تحب المجنون بقدر ما أحبت كلامه، والمرأة لا يخلو صوتها من رنة سعادة وهي تستدعي الشرطة لأنك قلت لها يا قمر، والمرأة لا تحب اللغة الفصحى إلا في رسالة غرام بين يديها نقلها الحبيب طبعاً نقل مسطرة من كتاب دليل المشتاق في رسائل العشاق، وكل حب ينسج خيوطه الأولى بالكلام: نظرة فابتسامة فسلام فكلام، وهو يدعم خيوطه الأولى بالمرحلة الكلامية الثانية التي تُعرف بأنها عود وعهود، والتي قيل فيها عهود لا تصدق ولا تنصان، عهود مع اللي مالersh أمان، فإذا تخطينا مرحلة الحب إلى الزواج نجد أن الأفعال لها الأولوية قبل الأقوال، فبعد شهر العسل يبدأ موسم الجفاف في الأقوال وهو يستمر إلى الأبد حيث يُصاب الزوج بعاهة مستديمة هي الخرس المنزلي الذي تُحتضر معه رومانسيات الحب

وتنتهي ويصبح الاثنان على أرض الواقع، والواقع عايز فلوس، والفلوس تعمل
خناقات، فإن حاول الزوج أن يكون فهلويًا بالكلام وحده مصمست الزوجة
الشفاه أسفًا وندمًا مرررر أمثال ستي: كتر الكلام خيبة، أسمع كلامك أصدقك
أشوف أمورك أستعجب، الفشر والنشر والعشا خبيزة!



الهوى أه منه الهوى

الحب يحدث تغييرًا مؤقتًا في سلوك الإنسان، فكلُّ من الطرفين يقدم أفضل ما عنده للتمثيل على الآخر: العصبي يصبح حليمًا، والبخيل كريماً، وقليل الأدب لسانه سُكَّرة، ولهذا تعتبر فترة الخطوبة فرصة طيبة لإخفاء البلاوي التي سيعاني منها الآخر.

ومن متغيرات السلوك مع الحب أن أشد الرجال وقارًا واثزانًا يُصاب بالخفة والطيش عندما يستبد به الهوى، ولا يتاح إلا للمرأة المعشوقة فقط رؤية الرجل العظيم الرزين وهو يتحول أمامها إلى شيء يفطس من الضحك، ولأن المرأة تفتقد روح السخرية فهي لا تضحك على حماقات الرجل أمامها، بل تعتبرها جزءًا متممًا لطقوس الحب التي ترضي كبرياء أنوثتها، وفي كل الأحوال يعتبر الجنون هو القاسم المشترك بين جميع العشاق، فالحب يدفع الإنسان إلى أن يأتي أفعالًا يمكن أن تستدعي انتباه أطباء الأمراض العقلية، خذ مثلاً هذا العاشق الذي يتحدث بلسانه عبد الوهاب في أغنيته الخالدة: «لما أنت ناوي تغيب على طول»، إذ يقول: «أشوف خيالك في الوحدة جه قدامي أكلمك وأسمع حسك وأشكي غرامي وأقوم أضمك مالقاشي غير أوهامي»، مثل هذه المعاناة في العشق لن يرضى عنها طبيب الأمراض العقلية، فلو رأى الطبيب هذا العاشق يكلم نفسه ويقوم ويقعد ويحضن الهوى لكتب على تذكرته: يُحوَّل إلى عنبر خمسة جنون هلاوس.

بل إن العاشق الذي يتخذونه مثلاً للحب المتفاني اسمه المجنون أو مجنون ليلي، وقصائد الشعراء تتحدث عن مصرع العقل أمام الجمال، والشاعر القديم

يمزج الجنون بالحب فيقول: جننا بليلى وهي جنت بغيرنا، وأخرى بنا مجنونة
لا نريدها، فالجنون يدخل في نسيج الحب لأن الحب إذا لم يقترن بالجنون فقد
أهم أركانه، وهذا الجنون هو الذي يدفع العاشق إلى نهايات مأساوية كالانتحار
والزواج.



خيانة الرجل

لا يوجد غناء نسائي وغناء رجالي، بل يوجد صوت جميل وأداء أخاذ، وهناك لوحة نتمنى اقتناءها سواء كان الذي رسمها رجل أو امرأة، ولا توجد موسيقى حريمي وموسيقى رجالي، كذلك لا يوجد أدب نسائي وأدب رجالي، بل توجد كتابة جيدة وكتابة غير جيدة، والكتابة فن، والمعروف أن الفن قديم، لكن الجديد هو الفنان، إذا كان لا يوجد - في رأيي - أدب رجالي وأدب نسائي، فقد يوجد في الحياة الزوجية أحياناً نوع متبادل من قلة الأدب الرجالي وقلة الأدب النسائي، والحكم على جودته لجمهور الجيران.

وقد تخوض امرأة قصة حب تزلزل حياتها ثم تقدمها إلى الناس كتاباً تقول فيه إن الرجل خائن، وهي تعتبر كتابها فتحاً في اكتشاف حقيقة الرجل، مع أنها سواء ألّفت كتابها أم لم تؤلفه، فإن خيانة الرجل ليست اختراعاً، ولا هي خبر صفحة أولى يدفع إلى الدهشة، بل هي خبر بايت من ألوف السنين.

وقد تجنح بعض الكتابات النسائية إلى تشويه صورة الرجل، لكننا نلتمس لهن العذر في ذلك، فالمرأة حديثة العهد بالقلم، فهي: «محدثه نعمة»، ومن الطبيعي أن تنطلق في كتابتها وتنتقم لقهر السنين، غير أن الأدب المنحاز لا ينتج فناً، فمارجريت ميتشل لم تكتب «ذهب مع الريح» لتبرز وجوه السفالة في الرجل، ولا فعلت ذلك شارلوت برونتي. إن الأدب لا يبقى إلا إذا كان أدباً إنسانياً وليس أدباً عنصرياً، بل إن الأدب العنصري امتد إلى بعض مخرجات السينما الجديداً اللاتي يحملن شعار الفن من أجل قضية المرأة، مع أن تعبير «قضية المرأة» لم يعد يعني الحصول على حقوقها، بل أصبح معنى «قضية المرأة» هو قضيتها أمام محكمة الجنايات متهمة بذبح الرجل.

الغيرة كضغط الدم!

الغيرة عند المرأة أشد حدة وأخطر أثرًا من غيرة الرجل، خصوصًا بعد انقراض الرجل الحِمَش في الغرب وتوصُّل المرأة هناك إلى استنباط أنواع أليفة مستأنسة من الرجال، كالرجل الخنفس، والرجل أبو حَلَق.

وكما أن الغيرة عند الرجل هي الشعور بالعدوان على كبريائه ورجولته، فإن الغيرة عند المرأة هي الشعور بسحب الاعتراف بأنوثتها والاعتراف بأنوثة امرأة أخرى تفوقت عليها، ولهذا تلجأ الحمقاوات إلى الخيانة بدافع أساسي هو اختبار أنوثتها عند الآخرين، فالغيرة تكشف عن شخصية المرأة. الواثقة من نفسها تخطط لاستعادة رجلها دون أن تظهر غيرتها، لكنها تفتعل أسبابًا أخرى للغضب لا علاقة لها بالغيرة، بينما المرأة غير المتوازنة الشخصية تدفعها غيرتها إلى حماقات يمكن قراءتها بالتفصيل في صفحة الحوادث.

والغيرة تمثل السبب الرئيسي للخلافات بين العشاق، بينما تمثل المادة السبب البارز عند المتزوجين، ولهذا تمتزج الغيرة بالعنصر الاقتصادي حيث تشعر الزوجة بالخطر لأن امرأة أخرى تهدد مصادر الدخل، وأمام هذه الغيرة الاقتصادية تلجأ الزوجة إلى تطبيق نظرية أمها: قصصتي طيرك لا يلوف بغيرك.

والغيرة كضغط الدم، لا الزيادة مطلوبة ولا الهبوط مستحب، والمرأة تعتبر نفسها ضحية لأنها مضطرة أن تعاشر من الأزل إلى الأبد مخلوقًا خائنًا بالفطرة، ذلك أن الرجال عند المرأة ثلاثة أنواع: رجل خان، ورجل يخون، ورجل في طريقه للخيانة.

مَنْ عَدُو مَنْ؟

الرجل ليس عدوًا للمرأة، بل المرأة هي التي تناصب الرجل العدا، والأدلة على ذلك:

أولاً - الأم، نقلًا عن الجدة، تظل تحذر ابنتها الصغيرة من بعبع اسمه: الرجل؛ لينتهي الأمر بحالة رعب وتوجس من هذا المخلوق المفترس، ويتضح للبنت بعد أن تنضج كامرأة أنه ليس مخلوقًا مفترسًا ولكنه عبيط.

ثانيًا - يظل الشاب يتودد إلى المرأة بكلمات الحب والغزل فلا يجد منها إلا الصد والجفاء وربما استدعاء شرطة الآداب، وما إن يخطب الرجل شريكة الحياة حتى تبدأ فترة هدنة بين الاثنين تنتهي مع شهر العسل.

ثالثًا - المرأة تفترض الغدر في الرجل، فتبالغ في مؤخر الصداق وتقبضه على دابر مليم إذا افترق عنها حيًا أو ميتًا، بينما لا يشترط الزوج أي شرط مالي في عقد الزواج ولا يحصل أهله على أي تعويض إذا تم - كالعادة - ذبحه بمعرفتها!

رابعًا - حتى في عز الهناء الزوجي تهتم المرأة اهتمامًا خاصًا بقانون الأحوال الشخصية، وهذا دليل على أنها تسعى إلى تأمين حياتها ضد العدو والاستيلاء على الشقة.

خامسًا - المرأة إذا تغيبت عن موعد عودتها إلى البيت اشتد قلق زوجها عليها لئلا يكون قد حدث لها مكروه، بينما إذا تأخر الرجل عن موعد عودته فهو خائن.

سادسًا - نحن الرجال لا نرفع أية شعارات عدائية تجاه الجنس الآخر الذي رفع شعار: يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال، ولم يصدر منا أبدًا أي شعار مماثل يقول: يا مآمن للنسوان يا مآمن للبدنجان.

من خلف ظهره

لا يريد رجل في الدنيا أن يصدق أن من أمتع هوايات المرأة في علاقتها بالرجل هي أن تُخرج له لسانها من خلف ظهره، وأن تعصي بعض أوامره مهما بلغت درجة غرامها به، إنه نوع من التنفيس ضد ديكتاتورية الرجل وقيود الرجل وفرمانات الرجل، ولهذا كانت ستي زمان تقيم حفلة نسائية يوماً من الأسبوع بالتناوب مع صديقاتها، وكانت ستي تجد متعة كبرى في أن تقلد زوبة الكلوباتية في هز البطن بعيداً عن عيون زوجها سي السيد أبو شنب برّيمة.

ثم إن النساء لا ينفردن بالكذب، بل إن الرجال أشد كذباً، فلولا اختراع الكذب مثلاً لعجز الرجال عن تفسير غيابهم خارج البيت، أما عن هيافة النساء في عشقهن للمديح فهن أيضاً لا يفتقرن في ذلك عن الرجال، فالسبيل إلى رضا رئيس العمل هو منافقته بأنه الأعظم والأذكى والأكثر عبقرية، بل نرى كم بلغت «هيافة» عليه القوم في كل العصور، فقد دفعوا ملايين الدنانير للشعراء المدّاحين لكي يقول كل منهم للوالي أنت الأمير وكلهم ركش.

وكل ما نستشهد به من أقوال عن المرأة مشكوك في صحته، فكل ما قيل عن النساء قاله الرجال، فالرجل يحب المرأة، وإذا سارت المسائل على ما يرام قال فيها خيراً، وإذا قرفت منه ومن أعماله اتهمها بعدم الإخلاص، وإذا عادت إليه غفر لها ما كان، وإذا أحبها من طرف واحد سمى حبها لغيره خيانة، وإذا بادلتها الحب تحول إلى ديكتاتور، وإذا تمردت على فرمان ديكتاتوري من خلف ظهره فهي مخادعة، وإذا تزوجت من آخر فهي قد غدرت به، وإذا تزوجت منه قال فيها ما قال مالك في الويسكي، ومعظم الأقوال الساخطة على المرأة قالها مفكرون فشلوا في قصص حبهم فانقلبوا عليها ساخطين، أو مفكرون نجحوا في قصص حبهم وتزوجوا فانقلبوا عليها أشد سخطاً.

الأم.. وعقدتها النفسية

ينقسم الرجال إلى نوعين: الرجالة الزفت والأقلية.

وسواء كان الرجل طيبًا أم زفتًا فهو في النهاية تربية ست، إنه يولد في حجر ست ويشب في حضن ست ويأتمر بأمر ست، ثم تتنازع السلطات النسائية في السيطرة عليه من الأم إلى الحبيبة إلى الخطيبة إلى الزوجة، حتى يصل بعد سنوات الزواج إلى درجة عالية من التربية، فمن لم يُربّه أبواه ربّته زوجته.

ومن بديهيات الطب النفسي أن علاقة الطفل بالأم في سنواته الخمس الأولى تكمن رواسبها في أعماقه الخفية إلى الأبد وتحدد علاقته المستقبلية بالمرأة: هل سيصبح زوجًا سعيدًا، أم زبونًا في محاكم الأحوال الشخصية، أم محبًا كله تفهم وحنان أم هاوي ساقطات.

فالطفل الذي استقر في أعماقه مثلًا أن أمه تهمله يتحول إلى رجل لا هم له إلا الانتقام، إنه يطارد كل امرأة حتى يسومها كل ألوان التعذيب، ثم ينبذها بحثًا عن غيرها، والطفل الذي لا ينجح في اجتياز المرحلة الأوديبية بسلام قد يتحول إلى واحد من هؤلاء:

- 1- رجل لا يعشق إلا المرأة المرتبطة برجلٍ آخر، فإذا تحررت من أجله بالطلاق فقدت سحرها، وهو مستعد في ذلك أن يخرب ألف بيت.
- 2- رجل يبحث دائمًا عن امرأة أقل منه بكثير في المستوى المادي والفكري، فالشغالة عنده هي الأحلى والأجمل.

3- رجل مجنون بالشك يقلب حياة زوجته إلى جحيم.

ونعود بعد هذا كله إلى سؤال واحد: مَنْ المسئول عن سوء تربية الرجل إن كان من النوع الزفت؟ وإذا كان الرجل الزفت مسئولية مشتركة تتحمل المرأة جانبًا منها، فلماذا يتحمل الرجل نتيجة أفعاله السوداء بالدخول وحده إلى الأكياس البلاستيك !



هواء والحية؟

اقتترنت حواء بالحية لأن إبليس تمثل في الحية وأغوى حواء بقطف التفاحة.. وحاول البعض أن يجعل من تشابه اللفظين مبررًا للشبه الموضوعي.. إن حواء سميت كذلك لأنها مصدر الحياة للجنس البشري، واعتبرت الحية في كثير من المجتمعات - كالهند وبلاد الإغريق والرومان - مصدرًا للخصوبة وتجدد الحياة، ولأن الحية تحتل مكانًا بارزًا في الأساطير والمعتقدات، فقد قال المتحاملون على المرأة إن التشابه اللفظي بين الحية وحواء لم يأت عبثًا، فإن حواء - كالحية - تحوي أسرارًا وشرًا غامضًا، وقالوا - هما اللي قالوا - إن حواء محوأة - بتشديد الواو - أي تتسم بصفات أفعوانية كالتسلل الانسيابي والوقية والمكر والخديعة ولديها الصبر الطويل على الإيقاع بالفريسة.

ويقول المتحاملون على المرأة إن هناك صداقة تاريخية بين حواء والحية، فنساء الإغريق والرومان كن يقتنين الأفاعي ويلاعبنها ويستبشرن خيرًا بها في الحمل والولادة، وهناك مجتمعات بدائية عبدت الحية باعتبارها مصدر الحياة والخصوبة، لكن هناك فروقًا جوهرية بين الحية وحواء تغافلوا عن ذكرها، فالحية تغير جلدها أو ثوبها الخارجي مرتين في السنة مع الربيع والخريف، غير أنها لا تغير طباعها خاصة من الخطوبة إلى الزواج، ومن الفروق أيضًا أن اسم الحاوي يأتي من الحية، فهو الذي يرببها، بينما حواء هي التي تربي الرجل خصوصًا بعد الزواج.

وقد عوقبت الحية على خطيئة الفردوس بشق لسانها الذي تكلم به إبليس إلى شطرين.. وهذا فارق جوهري عن لسان حواء الذي لم ينشطر بعد أن أغرت آدم بنفس الخطيئة، كذلك من الفروق الجوهرية أن حواء ليس لديها غدة تفرز سُمًا كالحية، لكنها بسبب عدم الاكتفاء الذاتي في السم تضطر إلى شرائه لوضعه في الكُفَّة والبسبوسة، ولعل من الفروق البارزة أن هناك ما يقرب من أربعة آلاف نوع من الأفاعي، ولكن تسعين في المائة منها - بعكس النساء - لا خطر منه إطلاقًا.



القرار عنده وعندھا

عندما تتخذ امرأة قرارًا وتوكل إليك تنفيذه فلا تفعل، بل انتظر لأنها سوف تغير رأيها، وقد تعود إلى الرأي الأول، أو إلى رأي ثالث ورابع، وذلك شيء ينبغي ألا تضيق به لأنه سمة بارزة في المرأة، وربما كان ميزة يفيد منها الرجل.

فكم من امرأة قررت ذبح زوجها ثم عدلت، أو قررت ذبحه ثم رأت أن تنبذ هذا العنف الدموي وتضع له السم في الكفتة، أو قررت أن تضع له السم في الكفتة ثم عدلت إيمانًا منها بالحكمة الصينية، اجلس على شاطئ النهر وانتظر جثة عدوك يحملها التيار.

يزيد الأمر تعقيدًا أن الرجل عادة (خصوصًا الزوج) لا يملك تعديلًا لقرار المرأة، فمن عجائب كوكب المرأة أنها تضيق بالرجل الذي لا يوافقها على كل شيء، وتضيق أكثر بالرجل الذي يوافقها على كل شيء.

والقرار الصادر عن العقل يكون له أسباب وحيثا، والقرار الصادر عن العاطفة قرار لا أسباب له، ولهذا تبدل فيه المرأة وتغير وفقًا لعواطفها، أو وفقًا للحظة السيكولوجية التي تعيشها، بل هي في علاقتها بالرجل تصدر أحكامًا متناقضة وفقًا للحالة الانفعالية، مثلًا إذا أحبتك فأنت كريم لا تهملك الفلوس، وإذا انقلبت عليك فأنت مبذر سفيه، وإذا كانت أسيرة غرامك فأنت شخصية داهمة ذات مهابة ونظرة عينيك أمر صارم، وإن أصابها الضجر فأنت طاغية ومستبد وظالم وح تروح من ربنا فين؟ وإذا عشقتك فأنت خفيف الظل وأنت المرح والأنس كله، وإذا انقلبت عليك فأنت لست خفيف الظل بل خفيف فقط،

أي بك خفة وتفاهة وقلّة احترام، وفي عز الغرام أنت في رأيها إنسان متحضر
ومتفتح وتقيم وزنًا لرأيها وتأخذ به، وإذا انحسر الغرام فأنت لا رأي لك وأنت
شُرَّابُه خُرج.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الحب لا يعترف بالسن

عندما يقتحم الحب حياة اثنين فهو لا يطلب البطاقة الشخصية كي يعرف كم عمره وكم عمرها ليبقى أو يرحل، ولا تتوهمي أنك التقيت به في الزمان الخطأ لمجرد أنه يصغرك بسنوات مثلاً، وقد يوجد في الحب الإنسان الخطأ لكن لا يوجد زمان خطأ وزمان صحيح؛ فالحب زهرة برّية جميلة تنبت بلا موعد وتتفتح بلا تاريخ، وعندما يأتي الحب لا ينبغي أن نفتش في هويته وبياناته وأرقامه، علينا فقط أن نكون في خدمته، ثم إن مفهوم السن تغير.. فمثلاً جدتي التي كانت تتوكأ على عصا وتضع نظارة سلك هي نفسها الآن جوان كولينز وصوفيا لورين وإليزابيث تايلور، وفي كل الأحوال كل سن لها سحرها: حيوية العشرينات وأنوثة الثلاثينات ونضوج الأربعينات، ودفء التجربة في الخمسينات، ووقار الجمال في الستينات، وإن كانت السيدات اللاتي يبلغن الستينات أشد ندرة من حيوان الباندا، فالسيدة الوحيدة التي أتيت لي أن أراها وعندها 60 سنة هي أمي.

ولا أعيب على امرأة أن تخفي سنها، فنحن الذين اخترعنا الزمن وقسناه بالسنة والشهر، ونحن الذين جعلنا السنة 12 شهراً، ولو كنا قد جعلنا السنة 6 شهور لأصبح الإنسان عمره 60 سنة بدلاً من 30، ولو كانت السنة أربعة شهور لكنت الآن - وأنت في الثانية والأربعين - بنت 14 سنة، وليس عيباً أيضاً أن تخفي عليه سنك، فالثالثة والثلاثون هي سن مناسبة جداً لامرأة في الثانية والأربعين.

أما خوفك من أن يخونك في مستقبل الأيام لأنه يصغرك سنّاً، فهذا أمر لا ينبغي أن يقلقك؛ لأن الرجل صغراً م كبير معتاد على الخيانة.

قاسم السماوي والعشاق

خصومة المجتمع للعشاق خفت كثيراً وإن كانت باقية، فالعاشق كان مكروهاً من الكبار والصغار، الكبار لأنهم يمثلون الحرس القديم، والصغار لأنهم يحسدونه على الفوز بامرأة تحبه في زمن اختل فيه العرض والطلب، فالشباب يبحث عن الحب والجماليات وراء الأسوار والحجاب، ومن يخفق قلبها لشاب خلف المشربية اسمها مقصوفة الرقبة؛ فالحب عار وشنار، ومجرد مرور العاشق أمام بيت المحبوبة مغامرة عبّر عنها عبد الوهاب في موقف غنائي: «مريت على جيش الحبايب وقفت لحظة هنية من غير عذول»، فكل عاشق له ألف عذول، وذلك الزمان كان اسمه العصر الحجري للحب، حيث كانوا يرمون العاشق بالطوب إذا سار بجوارها مع كورس من عيال الحارة يهتفون: سيب النعجة يا خروف.

ولم يكن هناك مجال إلا الكباريات، حيث يشعل ابن الذوات سيجارة للراقصة عزيزة بنجر بورقة بمائة جنيه، أما بنات الأسر فعزيزات المنال، وشيء طبيعي أن يحقد الكل على من يفوز بقلب واحدة منهن، فالمجتمع كله قاسم السماوي، والشباب فيه يردد جتنا نيلة في حظنا الهباب، بل إن العاشق عندما تتعثر قصة حبه ينقلب هو الآخر إلى قاسم السماوي: وليه غرامك كله هو ان وغيري يبقى متهنى؟

وقد نشأ الحب عندنا مقترناً بنظرة غير ودية تختلط بالحرص على العرض والشرف حتى أصبح الحب نفسه تراجيديا بينما هو في الدنيا كلها سعادة ومرح وهناء، ربما لأننا نموت في النكد وأجدادنا الفراعنة مثلاً أنفقوا الملايين على

الموت وطقوسه، والأفراح عندنا ببطاقة دعوة بينما دخول المأتم مجانًا، ومن
هو ايتنا للنكد كنا نصادر حق الشباب في أن يحلم ويحب ويختار مَنْ يحب،
وكان العريس في هذا المجتمع القراقوشي لا يرى عروسه إلا ليلة الزفاف وهو
وبخته عندما يرفع الطرحة، فإما أن يرى وجه سعاد حسني وإما أن تظهر له سحنة
إسحاق شامير.



رأسك يا هوليت

سمعت أسلوبًا جديدًا في الغزل يدل على مدى التطور الذي حدث في نظرة الرجل للمرأة، سمعت شابًا يقول لخطيبته عندما سألته هل تعجبه تسريحتها الجديدة؟ طبعًا تعجبني.. ولكن الذي يعجبني أكثر هو تسريحة رأسك من الداخل.. تسريحة عقلك.. تسريحة أفكارك! أن عقلك فاتن ومنسق ومعطر تمامًا مثل شعرك من الخارج!

وهذا الاتجاه يكشف عن تحول جديد في النظر إلى المرأة! فشبان اليوم لا يريدون البنت الدلوعة الهايفة الفارغة التي تكتفي بتزيين أنوثتها بالروج والبدرية والبان كيك والريميل وتضع فوق رأسها تسريحة صوفيا لورين، بينما رأسها من الداخل منفوش ومنكوش ويفتقر إلى الزينة والتجميل. إن شبان اليوم الأذكياء لا تعجبهم الفتاة التي تهين نفسها لتكون مجرد أداة استمتاع للرجل كما كان يحدث في عصر الحریم، وإنما تعجبهم البنت الجميلة التي تجمع بين رونق الأنوثة وبين التفكير الذكي الدسم الجاد الذي يُطمئن الشاب بأن شريكه حياته يمكن الاعتماد عليها ووقوفها إلى جواره في كفاحه مع الزمن على مر الأيام والليالي.

إن الفتاة ذات الأعماق هي الفتاة الرائجة اليوم.

أما تسريحة إيزابيث تايلور ومشية مارلين مونرو.. فسوف تصبح موضحة قديمة جدًا!!

اهترس من جوربك!

عن أول ما يلفت نظر المرأة في الرجل، فهذا محل خلاف بين النساء، إن المرأة مع النظرة الأولى إلى الرجل، تحاول اكتشاف ذوقه وأسلوب تفكيره من ملبسه، بعض النساء يرى أن ياقة القميص وربطة العنق فيها مقياس دقيق لهذا الاختبار، والبعض الثاني ينظر إلى أظافر الرجل هل هي نظيفة؟ مقصودة بعناية؟ مقصودة والسلام؟

والبعض الثالث يقرأ الرجل من جواربه، ولعل أغرب رأي قالته سيدة في استفتاء إن دراسة حذاء الرجل هو كشف ظاهري عن حالة مخه وأسلوب تفكيره، إذا كان الحذاء متربًا فحياته كلها متربة، وإذا كان الحذاء من النوع الكلاسيكي فهو محافظ لا يغير آراءه بسهولة، وإذا كان الحذاء برتقالي اللون فلا داعي للتعرف به إطلاقًا، وملابس الرجال عمومًا قد تكشف عن نزعات نرجسية أو ميول استعراضية، وقد تختلف النساء بين ربطة العنق والجوارب والأظافر، لكنهن يتفقن جميعًا على أن أهم ما يثير الفضول في ملابس الرجل هو جيبه..

عن الحديث الذي يجذب انتباه المرأة فإن الحديث الناجح من جانب الرجل له شروط عسيرة، ذلك أن المرأة بطبيعتها ليست فقط لا تجيد الإنصات، ولكنها أيضًا لا تطيقه، غير أن غريزة النم عندها تجبرها على الإنصات باهتمام إلى أخبار الأخريات، ولكي يكون حديثك شيقًا ينبغي أن يكون مُطعمًا بأخبار جديدة، فالمرأة لا تحب الموضوعات الإنشائية أو الحديث الإنشائي إلا إذا كان مدحًا في جمالها.

أما عن الرجل الذي يجتذب المرأة بسهولة، فهناك نوعان من الرجال يصلان إلى قلب المرأة بسرعة: الرجل الذي له رصيد في البنك، والرجل المتحدث اللبق الذكي، بشرط أن يكون له رصيد في البنك.

نظارة الحب!

عندما يداهمك الحب فأنت لن تفرّق بين الدكتوراه الجامعية وراسبة الإعدادية، وبين الجميلة وغير الجميلة، فالحب يخفّض قوة الإبصار إلى ستة على ستين، وقوة البصيرة إلى واحد على عشرة، وبذلك يصبح كل ما يصدر عن الحبيبة من جنون هو جميل وأخاذ وباهر ومدهش، وكل شيء في ملامحها ورسمها فتنة تخبل العقل، ولعلك تعرف حكاية الشاب الذي أحب فتاة أنفها مسطح تمامًا فكان يتباهى بأنها ملاك هبط من السماء على أنفه.

والأنوثة ثوب نسائي موحد ترتديه كافة نساء الأرض، وهو ثوب يجتذب الرجل ويجعله منقادًا خلف المرأة سواء كانت تلبس تاج ملكة أو مريلة شغالة، وقانون الانقياد خلف الأنثى لا يتجزأ، ابتداءً من سَمَك البساريا في البحر إلى ذكر الفراش الذي يطير نحو الفراشة وهي على بعد كيلو مترات منه مسترشدًا بعبيرها الأنثوي إلى ذكر العقرب الذي يسعى خلف أنثاه دون أن يعرف هل هي طيبة أم شريرة، عاقلة أم مجنونة، ودون أن يتوقع طبعًا ما يحدث لكل عقرب في ليلة الزفاف؛ إذ إن عروس العقرب من أبعد الإناث نظرًا، فهي تفضل أن تكون أرملة، تلدغه وتستريح من قرفه من الليلة الأولى.

والمرأة لا تنفذ إلى قلب الرجل من خلال العقل أو الثقافة وإلا لما أحب معظم عباقرة الفكر الإنساني نساءً متواضعات التفكير، ورغم ذلك كانت العبارة الساذجة التي تخرج من فم الحبيبة البسيطة تتحول في وهم العاشق العبقري إلى كلمات يتأملها ويحللها ويضفي عليها من فكره ويستشف منها وجه الحكمة والجمال، كذلك نجد أن معظم النساء اللاتي ساهمن في تشكيل التاريخ

لا علاقة لهن بالشهادات أو الثقافة، ابتداءً من شجرة الدر جارية نجم الدين أيوب، إلى إيفا براون عشيقة هتلر التي كانت عاملة باستوديو مصر، إلى إيفا بيرون فتاة الكومبارس التي حكمت الأرجنتين، وفي كافة العصور - خصوصًا العصر العثماني - كان حريم السلطان من المحظيات والخليلات والجواري يلعبن دورًا مهمًا في تسيير دفة السياسة وفي الانقلابات الصامتة التي تتم بدس السم؛ لأن الأكياس البلاستيك لم تكن قد ظهرت.



الزواج هدفها دائماً

لا يمكن إعفاء الرجل من فشل الحياة الزوجية، لكن الجانب الأكبر من المسؤولية يقع على المرأة، فالمرأة هي صانعة العش، والاستقرار والأسرة، وغير صحيح ما رددوه من كلمات بأن المرأة في الحب الأول تحب الرجل ثم بعد ذلك تحب الحب نفسه، المرأة تحب لكي تتزوج وتتظاهر بالحب لكي تتزوج، وهي إذا لم تصادف مَنْ تحبه تزوجت مَنْ تجده، وهي إذا اكتشفت تسويقاً ومماثلة في الزواج من حبيب القلب ضحت بقلبها في سبيل استقرارها؛ لهذا فإن لهفة المرأة للحصول على زوج يجعلها تقطع الطريق بسرعة إلى الرجل غير المناسب.

وهناك خطأ شائع بأن المرأة رومانسية في المقام الأول والحقيقة أنها عملية جداً، وسلوكها العملي - تجاه الرجل - مدعوم بدهاء أنثوي، ودائماً مهمتها مع الرجل سيئة؛ لأن الرجل خُلق عبيطاً طول الوقت، وهي قادرة على أن تصنع منه عبيطاً طول الوقت، وفي حالة فشل الحياة الزوجية لا يمكن أن نعفي الطرف الذكي ونلقي اللوم على العبيط.

ويدخل في إفسال الحياة الزوجية أن المرأة في سبيل الحصول على الاستقرار تتنازل عن أشياء كثيرة، فإذا كان الرجل الذي التقت به انطوائياً استجابت لانعزاله عن المجتمع، وإذا كان اجتماعياً تظاهرت بأنها لا تغار عليه، وإذا كان عصبياً بدت شديدة الهدوء، ثم هي لا تلبث أن تتراجع عن كل هذه التنازلات فترغمه على التخلي عن عصبيته ويصبح شديد الهدوء بعد ذبحه.

المهنة!

إن مهنة الرجل قد تنعكس على علاقته الإنسانية، كالحب والزواج، وقد تكون بلا أثر يذكر، المرأة مثلاً قد تترتاح إلى الصحفي لأن مهنة البحث عن الأخبار توافق تمامًا نزعة المرأة إلى النسيمة، فما من امرأة لا تحب النوم وما من امرأة تعود من المصيف إلا ولسانها من النوم أسمر.

وقد يكون الزواج من محامٍ متعبًا إذا عرفنا أن المرأة تمثل في البيت سلطة اتهام مستمرة، وبزواجها من محامٍ سوف يتعذر عليها كثيرًا أن توقع بزواج احتراف الدفاع والمرافعة، وربما يبدو المحاسب القانوني زوجًا غير مرغوب فيه لانضباطه الحسابي بحكم المهنة وإسرافها المالي بحكم العادة، لكن الواقع يثبت أن المحاسب زوج سخي اليد، والظاهر أنه ينقلب بعد الزواج من محاسب قانوني إلى محاسب على عمره، والرجل في السلطة - كالوزير مثلاً - ربما يكون متعبًا لأنه اعتاد أن يصدر الأوامر والتوجيهات والقرارات، لكن الذي لا شك فيه أن الحياة مع الوزير يمكن أن تكون مريحة جدًا لأنه يقول باستمرار كلامًا مريحًا ووعودًا طيبة (تصريحات)، وثمة اعتقاد بأن الطبيب الذي يمسك بالمشرط يقطع ويمزق ويوصل اللحم الإنساني هو رجل مخيف، ينطوي الزواج منه على مخاطر كبيرة أهمها تعبئة الزوجة في أكياس بلاستيك، لكن الواقع المدهش أثبت أن الأطباء - بعيدًا عن السماع والمشرط - رومانسيون جدًا، عاطفيون جدًا، خياليون جدًا، يظهر معهم دائمًا الشعراء والكتاب والموسيقيون والمصورون، وبالعكس تتصور المرأة أن الحياة مع كاتب هي أيام متصلة من الكلام العسل الذي تشتهي كل امرأة سماعه، وهي لا تعرف أن عبارة الحب البراقة التي يكتبها الكاتب تكلفه انحناءه على المكتب وكتابة وشطب وتمزيق

ورق، وكذا فنجان قهوة وكذا سيجارة، وأن الكاتب يجلس دائماً شارد الفكر
يمضغ أفكاره ولا يتكلم، وقد رأت أم كلثوم توفيق الحكيم لأول مرة في مكتب
مصطفى أمين، وراعتها أنه كان صامتاً شاردًا، ولم تصدق أنه توفيق الحكيم
صاحب الفكر اللماح والأسلوب الشائق والحوار الجذاب على الورق، فسألته
بدهشة: «لما انت توفيق الحكيم أمال مين اللي بيكتبك؟؟».

وعلى أي حال المهنة لها أحياناً أثرها في التصرفات العاطفية بشكلٍ أو بآخر،
كالباحث العلمي مثلاً الذي أراد أن يعرف تأثير القبلة على عروسه فجاء بفأرة من
فتران التجارب وربطها بالأجهزة ثم قبّل الفأرة وراح يدون النتائج، وكالعروس
التي كادت تفتس من قبلة عريسها، واتضح أنه لم ينسَ حرفته وهو يقبلها؛ إذ
كان ينفخ الكُور في النادي.



قدرة المرأة

لا يوجد رجل أعزب بمزاجه، فمن النادر أن يفلت رجل من امرأة قررت اقتياده إلى بيت الزوجية، وهذا يدعونا إلى أن نصحح خطأ شائعاً، فلا نقول إن الأعزب هو الرجل الذي فرّ من النساء، بل هو الرجل الذي فرت منه النساء بسبب آفة نفسية أو سلوكية أو فلوسية، فالمرأة يتعذر عليها التكيف مع شواذ الطباع وذوي العاهات النفسية، لكنها ترحب بنوع واحد من العاهات العقلية عند الرجل، وهو العبط؛ فالرجال أمام النساء مصابون بهذا الداء المستحب من النساء!

ويزداد عدد المنتحرين من غير المتزوجين على المنتحرين من المتزوجين، لكن الأعزب لا ينتحر بسبب العزوبية في حد ذاتها، بل لأنه يعاني في الأصل اضطراباً نفسياً أو عقلياً تفر بسببه النساء واحدة بعد أخرى، ولكل قاعدة استثناء بالطبع، فهناك الأعزب السوي الذي لا يعاني أي اضطراب نفسي أو عقلي، لكنه خاض حُبّاً زلزل كيانه واعتبر المرأة التي أحبها ركناً جوهرياً في سعادته الشخصية لا تطيب له الحياة غيرها فأثر الانتحار، ولو طال به العمر وتزوجها لأثر الانتحار أيضاً، ثم إن الأعزب اختار برضاه أو بغير رضاه حياة الوحدة والانطوائية وفضل أن يكون حرّاً بلا قيود، وفرط الحرية يجعل الإنسان أحياناً عبداً لهذه الحرية إلى حد الضياع والتمزق والانحلال، وكل هذا يضيف أزمات جديدة إلى أزمته الكبرى التي قد تقوده إلى أزمته الانتحارية.

أضف إلى ذلك أن المتزوج رغم ما يكون لديه من أسباب وجيهة للانتحار فهو يفكر في الانتحار ألف مرة، ثم يعدل في المرة الألف خوفاً على مصير أولاده، فالأسرة عنده تمثل مانعاً قوياً يقف ضد تنفيذ رغبته في الموت، وكثيراً ما نرى هنا فائدة الزوجة في التعاون الزوجي؛ إذ تتولى هي تحقيق رغبته بتعبته في أكياس.

حتى روميل ثعلب الصحراء

الفلوس هي السبب الأول للخلافات الزوجية، والمدهش أن الخلافات تبدأ عادة باتفاق الزوج والزوجة على رأي واحد، فهو يعتقد أنها مُبذرة وهي تعتقد أنه كذلك.

لا تناقش زوجتك أبدًا، أو غير زوجتك، بل استمع إلى وجهة نظرها في هدوء، فالرأي الذي سوف يتم تنفيذه عادة هو رأي أمها.

أعطِ الأمان لزوجتك؛ فالزوجة مهددة دائمًا بكلمة الطلاق التي ينطقها الزوج ببساطة، والزوجة معذورة في مخاوفها، فهي تعرف أن الرجل عبيط وسهل الوقوع في الشرك النسائية، فاجتهد وتجنب كل ما يثير شكوكها، ولا تدخل البيت مكتئب الوجه حتى لا تعتقد زوجتك أنك مهموم للقائها، كذلك لا تدخل البيت وأنت سعيد حتى لا تعتقد زوجتك أنك راجع من رانديفو.

إن الزوج مخلوق غير متحدث وغير مُسلٍّ ومزعج ومتسلط ولا يُطاق، فمن الحكمة أن يتغاضى الزوج عن أي كلمة تبرطم بها زوجته من بعيد وتصل إلى سمعه فهذا تنفيس لما تشعر به الزوجة، وقيل في ذلك حكمة مأثورة: التنفيس خير من أن توضع في الكيس.

فالقائد الألماني روميل الذي كان من أشهر قواد الحرب العالمية الثانية واشتهر بلقب ثعلب الصحراء، استطاع أن يخفي كل تحركاته عن جيوش الحلفاء، ولكنه فشل في أن يخفي دخله عن مدام روميل.

دموعها!

لا علاقة للمرأة بدموع التماسيح، فالتمساح تنهمر دموعه عندما يوقع بفريسته، بينما المرأة تحرص على جفاف وجمال عينيها عندما توقع بفريستها، والدموع جزء لا يتجزأ من حياة المرأة اليومية.. لكنها مواقف لا تنسى في حياة الرجل، فالمرأة تبكي في كل المناسبات المتناقضة: تُبكيها الفرحة الشديدة (كسب قضية نفقة)، كما يبكيها الحزن الشديد (عودته إلى البيت سعيداً في المساء)، ولا شك أن الدموع سلاح من أسلحة الأنوثة لاجتذاب الرجل، وهي قد تكون سلاحاً أساسياً أو سلاحاً معاوناً، فالمرأة الباهرة الجمال من النادر أن تبكي، بينما المرأة العادية تبكي غالباً، أما غير الجميلة فتبكي على الدوام. والمرأة تبكي قبل زواجها لأن ابن الحلال لم يظهر، وهي تبكي بعد زواجها لأنه طلع ابن حرام، والرجل قبل زواجه لا يبكي أبداً، فإذا استبد به حب قاهر.. فقد تظهر دموعه، أما إذا تزوج، فهو يبكي معها لأن الزواج تعاون.

وليس صحيحاً أن المرأة نكدية يستهويها النواح، الصحيح أن المرأة تكمن في أعماقها عواطف الشاعر وخيالاته، ولهذا فهي تميل إلى الحزن والشجن، إذا شاركت في مناسبة سعيدة.. اكتفت بالنميمة عن أصحاب المناسبة، أما إذا كانت المناسبة مؤسفة فهي تسرع مواسية تسبقها دموعها، ودموع المرأة - كدموع الرجل - هي كيميائياً كلوريد صوديوم أو ماء مالح، ولا شك أن العلم سوف يتوصل قريباً إلى تحليل كيميائي لدموع المرأة في المناسبات المختلفة عن طريق لصق ورقة كيميائية على خدها تبين إذا ما كانت درجة الملوحة مركزة أو مخففة أم أنها تبكي مياهاً عذبة، فالمرأة إذا بكت كأم احمرت عيناها، وإذا بكت كحبيبة أصبحت عيناها في منتهى التألق والصفاء، والفرق يكمن في التكوين الكيميائي للدموع، ففي الحب والزواج عموماً تعتبر دموع المرأة هي اللحن المميز الذي يسبق برنامج ما تطلبه المرأة.

الطرف القوي والأقوى

الحب شركة بين اثنين تحقق أرباحًا نفسية؛ لأن كل ما في الحب جميل ابتداءً من التنهدات إلى الآهات إلى الصرخات، وليس بالضرورة أن يكون الرجل هو الشريك الأقوى، لكن الطرف الذي يبادل الآخر حبًا أقل هو غالبًا الطرف الأقوى؛ لذلك يسعى العشاق إلى التظاهر به «التقل»، وقالت الأمثال الشعبية في هذا الصدد «التقل صنعة»، فالحب حرب ظريفة، تكتيك ومناورات وخطط لجعل الطرف الآخر يتقلب على جمر النار، وتلك طبيعة الحب، فهو بروفة حرب من نوع خاص حتى يتدرب الاثنان على الحرب الحقيقية بعد الزواج.. وليس مهما أن يقع رجل في حبك.. المهم كيف تحتفظين به واقعا في حبك.



نهاية الحب!

لا أظن أن هناك حبًا يظل على قوته وفتوته، فالحب مراحل، أو هو كأوتار الكمان، كل مرحلة تعطي نغمة مختلفة، وفي النغمة العالية يعتبر كل طرف أن الآخر ركن جوهري في حياته، لا حياة بغيره، ولا بديل له، وهو غير كل البشر، وفقدانه هو نهاية العالم وخراب الدنيا، والذين مروا بهذه المرحلة يدهشون بشدة كيف كانوا كذلك؟؟ وتتابهما هذه الدهشة عادة وهما يقفان أمام محكمة الأحوال الشخصية.

فالحب يحتاج إلى اثنين، والخلاف أيضًا لا بد له من اثنين، وكل اثنين لا ينضجان معًا بنفس الدرجة نفسيًا وعقليًا وعاطفيًا، وما كان يبهر أحدهما في الآخر يصبح شيئًا مألوفًا لا يثير، ولعل أكثر ما يحول الحب إلى مسار النهاية أن المرأة العاشقة تقع في غلطة تكررها منذ الأزل فتعتقد أن حبيبها مخلص.

والحب لا يذهب دفعة واحدة، إنه يعبر أبواب النهاية بابًا بعد باب، وهو يبذل الكثير للدفاع عن بقائه، لكنه لا يبقى؛ فالتغيير هو سنة الحياة في الظروف والزمان والمكان، وفي حياة كل امرأة ذكرى حب رجل هامت به يومًا وذكرى حب رجل هو زوجها الذي تحيا معه، فكل الرومانسيات تنتهي إلى ذكرى، أما الحب العظيم الخالد الذي يحمل كل أسباب القوة والخلود والبقاء فيوجد في الكتب.

المصابون بالهول!

نحن مصابون بالهول في النظرة الاجتماعية إلى الحب، نحن نستنكر الحب في واقع حياتنا، لكننا نرحب به في الكتب والإذاعة والتلفزيون والسينما، الإذاعة ملأى بعشاق يصرخون بأهات الحب ليلاً ونهاراً، التلفزيون فيه حكايات غرامية ومسلسلات، وفي السينما رجل وامرأة في حالة حب يحفل دائماً بالأهوال وبعد الأهوال يأتي الزواج (في واقع الحياة بعيداً عن السينما لا يأتي الزواج بعد الأهوال وإنما تأتي الأهوال بعد الزواج).

والكبار في واقع الحياة اعتادوا أن يسموا الابن العاشق الواد المفعوص، أما البنت فاسمها مقصوفة الرقبة، والكبار لا يؤمنون بالحب لأن التجربة علمتهم أن الحب هو مجرد إحساس كاذب يتوهم فيه كل طرف أنه التقى بإنسان يختلف تماماً عن بقية البشر، ومن هنا يعتقد الكبير أن الصغير أساء الاختيار فيسعى إلى إنقاذه من هذا الوهم بالإكراه بينما في السينما نرى شرير الفيلم يحارب الحب فيتعاطف الكبار مع الحبيين، ولعلنا نتميز بأن الحب عندنا يقترن باللوم الدائم الذي يوجه إلى العشاق، ابتداءً من أمير الشعراء الذي يقول: يالائمي في هواه والهوى قدر.. إلى ذلك العاشق الذي يخرج لسانه قائلاً: يا عواذل فلفلوا، ففي واقع الحياة - تماماً كما في الأغاني - فريق يتولى لوم الفتى بترديد التهم التقليدية المنسوبة إلى فتاته، كما أن هناك فريقاً يتولى لوم الفتاة لأنها تحب انتهازيًا، أو سافلاً، أو جاهلاً لم يكمل تعليمه الإلزامي ويؤلف مسلسلات.

ولذلك يؤثر العشاق الاختفاء عن الناس وألسنة الناس واللقاء بعيداً عن العيون، حتى إذا شعر كل منهما بالوحدة وهما معاً وراودهما الحنين إلى الاختلاط بالناس، فإن معنى ذلك أنهما قد أصبحا زوجين.

وتأتي النهاية

السيناريو واحد في كل قصة حب، فكل حب يبدأ بنظرة عين وينتهي بالفراق: الفراق بالطلاق، والفراق بالهجر الاختياري، والفراق بالهجر الإجباري عند عمر مكرم.

وبرغم اختلاف النهايات في كل قصة حب على مسرح الحياة، إلا أن السينما المصرية تفضل أن تنتهي القصة بزواج البطل من البطلة تحت اعتقاد خاطئ للسينمائيين بأن هذه نهاية سعيدة.

فالسينمائيون عندنا لا يعرفون أن من أسخف أنواع الفراق في قصص الحب هو الفراق والزواج.

حتى الجمل الحوارية نراها في كل قصة حب.. فهذه عينة مما يقوله هو: أول مرة أقول كلمة أحبك لواحدة - صدقيني اللي مقعدني معاها الولاد - ح نتجوز يا حياتي بس اديني فرصة أدبر أموري.. ثم هذه عينة مما تقوله هي: ياريت أعرف آخرة حبناه إيه - إنت أول واحد يلمسني - فيه واحد اتقدملي والظاهر بابا مصمم عليه.

وفي كل قصة حب يتصور الاثنان أنها قصة الحب الخالد الذي لم يكن مثله حبًا ولن يكون، ويرفع كل منهما شعار حبك انت شكل تاني، ثم يتبين أنه لا جديد في كل قصة حب: رجل وامرأة يلتقيان على موجة عاطفية موحدة إرسالاً واستقبالاً ولأمر ما يتعذر الاستقبال والإرسال عند الاثنيين، فتكتشف أنه مثل كل الرجال ويكتشف أنها مثل كل النساء، ثم يكتشف الطرفان سبب الخلاف الأبدي

بين الرجل والمرأة هو أن الرجال يعشقون النساء والنساء يعشقن الرجال، الكل
عينه زايغة!

وفي كل قصة حب نفس السيناريو: كل تصرفات الرجل هي ردود أفعال
لتصرفات المرأة، فهي التي تعطي الضوء الأخضر ليتقدم، وهي التي تعطي
الضوء الأحمر ليتوقف، وهي التي تختار النهاية وأحياناً تضع النهاية حاسمة
مستعينة بساطور.



تبادل التنازلات

إن الحب الناضج لا بد أن يعزز القبول العقلي، والحد الأدنى المطلوب لنمو هذه العاطفة هو ألا تصطدم بالرفض من جانب العقل، وربما تكون في شخصية الإنسان الذي تحبه جوانب سلبية لكننا هنا نقبلها من منطلق أنه لا يوجد إنسان كامل وليس من منطلق أن الحب أعمى بلا عقل، أما إذا استمرت العاطفة مفتقرة إلى إقرار العقل لها فلا يمكن الارتفاع بها إلى مستوى الحب الناضج، لكن يمكن اعتبارها نزوة أو رغبة جامحة تتسم بالطيش.

كل إنسان يحب بشروط حبيبه هو لا بشروطه، ومن هنا تأتي التنازلات وتبادل التضحيات بين اثنين لا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر؛ فالحب عاطفة لا إرادية تجتاح حياة الإنسان على غير استئذان، وأحياناً على غير رغبة من العقل، وهزيمة العقل والمنطق أمام الحب لها وقائع تملأ مجلدات، وأعظم قصص الحب هي التي يضرب لها الناس كفاً بكفٍّ وهم يفكرون فيها بالعقل لا بعواطف المحبين، إنهم مثلاً يُذهلون لأن ملك بريطانيا ترك العرش الذي يحكم العالم من أجل امرأة أحبها، مجنون في نظرهم، مخبول، تماماً مثل مارك أنطوني إمبراطور العالم القديم الذي ركل الإمبراطورية ليقى بجوار المرأة التي أحبها، مجنون رسمي بكل المقاييس، وأكبر قصة حب في التراث العربي اسمها ليلي والمجنون، وحماقات العشاق الجنونية تتحول عندهم مع الزمن إلى ذكريات غالية، وليس أدل على جنون الحب من أن يدفع الإنسان إلى التساؤل بعد أن يفيق: كيف ولماذا تزوجت؟؟

الأهبل!

الرجل تجتذبه الغانية فعلاً، لا لتفوق الغانية على باقي النساء، ولكن لأسباب متعلقة بأصل خلقة الرجل، ففي منافسة على رجل بين امرأة مثقفة وغانية، الغانية تكسب، وفي المنافسة بين امرأة عاقلة وغانية، الغانية تكسب، وفي المنافسة بين امرأة غنية وغانية، الغانية تكسب، وفي أحسن الأحوال يتزوج الغنية ويخونها مع الغانية.

ومؤهلات الغانية تكمن في قدرتها على الاتخاذ من مفاتها فخاخاً منصوبة للرجل، ولذلك اشتهرت محظيات البلاط الفرنسي أكثر مما اشتهرت الملكات، بينما كان سلاطين الشرق يتخذون من الجوارى مطربات وراقصات وزوجات أيضاً.

ولنقل بصراحة: إن الرجل يريد أن يرى «الجارية» في المرأة التي يحبها سواء كانت هذه المرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب أو كانت دكتوراه في محاورات أفلاطون، والمرأة التي تفلح في إظهار «الجارية» التي بداخلها هي التي تنجح في الاحتفاظ بالرجل وحمائته من أي جاريه أخرى، فالرجل مخلوق بعاهة مستديمة أمام الأنثى الجميلة هي: الهبل.

وفي حرب التحرر النسائي، تسبب انتصار المرأة في إيجاد فجوة جديدة بينها وبين الرجل، فحتى إذا قبل الرجل المساواة ظاهرياً فهو يرفضها بحكم تكوينه، ذلك أن الرجل في حقيقته عنصري متعصب ويؤمن بأنه الجنس المتفوق، وهو يسعى إلى تأكيد هذا التفوق في كل الظروف، وهو أحياناً يرفع علم التفوق تحت أنفه على شكل شوارب ضخمة ناسياً أن الشوارب تنبت أيضاً في الأرناب.

ومن ناحية أخرى اختلط الأمر على المرأة العصرية فتكاد لا تفرق بين
خضوعها الأنثوي المستحب للرجل وبين حقوقها في المساواة، فراح الرجل
يتطلع إلى كل ما تقوله له، والذي يملك الفلوس تسعده الغانية بكلمة، والذي
لا يملك الفلوس تسعده الشغالة بهذه الكلمة، ولهذا قالت شغالة في إسبرطة
القديمة: عندما يوجد الزواج بلا حب، يوجد الحب مع سيدي البيه.



يفضلونها هبلة!

الرجل يريد لها جميلة عمومًا، ولعوبًا على وجه الخصوص، فكل تاريخ العظماء الغرامي يختلط أغلبه بتاريخ الغواني؛ لأن الرجل - مهما علا - تصل غدة البلاهة عنده إلى أعلى معدلات نشاطها أمام المرأة اللعوب، فإذا عاملته معاملة الغانية ساورته شكوك الخيانة، وإذا لم تكن لعوبًا فهي مصابة بالبرود العاطفي، فإذا تغلب على شكوكه وقبلها لعوبًا أيام الغرام، فهو يريد لها زوجة مستورة الجسم لا ميني ولا ميكرو ولا بهرجة، فإذا استجابت لرغبته والتزمت الحدود زاغت عينه إلى كل لعوب مبررًا موقفه بأنه متجاوز غفير.

وهو يريد امرأته «هبلة» تستمع إلى أكاذيب التفوق الرجولي التي يرويها في انبهار شديد، وهي أكاذيب تمثل نزعة حادة إلى «المعر» سعيًا لإثبات قوته وذكائه، وهو عمومًا يريد المرأة الجارية المطيعة التي تصدع بأوامره بلا تفكير ولا مناقشة، فإذا تحقق من أنها الجارية التي يريد لها، شك في أن لها مخا تفكر به، وإذا كانت لها عقلية لامعة وأفكارًا جديدة شك في أن لها قلبًا وعاطفة، واعتقد أنها يمكن باستقلال شخصيتها أن تستغني عنه، فإذا ثبت أن لها قلبًا وعاطفة مع فكر لامع، ضاق بها لأنها لا تعرف الطهو ولا تتقن صنع دقية بامية مثل الحاجة زينب أمه، ومن أجل هذه المتناقضات التي تجتمع في الرجل، نسمع بين حين وآخر أن رجلًا قد دخل في الكيس البلاستيك.

أنت أول واحد؟

إن المرأة لا تقول ولكنها تفعل، فكل ردود الرجل هي ردود أفعال للمرأة، هي التي ترسم الخطة للإيقاع به وتوحي إليه بأنه هو الذي أوقع بها، وكما يقول الممثل الفرنسي: «اجري ورايا عشان أمسكك»، فهي تعطي له الضوء الأخضر بابتسامة أو نظرة عين، ورد الفعل عنده: لعاب يسيل، وتشجعه، ورد الفعل يجري وراءها، وتأذن له باللقاء فيقول، ويقول، ويقول، وتغضب منه وتخاصم، ورد الفعل استرحام واستعطاف و«يا فايتني ف ليل تعذبي»، ثم يأتي تصرفها الذي تكتكت له طويلاً فيكون رد الفعل عنده: تليفون للمأذون.

والملاحظ أن معظم العبارات المحفوظة التي ترددها المرأة مُسَخَّرَةٌ لخدمة هدفها الأوحده وهو الزواج، ومن أشهر هذه العبارات: أنت أول واحد أعرفه.. دي أول مرة أخرج فيها مع حد.. أنت أول واحد يلمسني.. فيه واحد متقدم والظاهر بابا مصمم عليه.. عايزة أعرف حبناده آخرته إيه.. قلتها لكام واحدة الكلمة دي.. بتحبني أد إيه؟.. يا ريتني أعرف إيه جواك؟ (وهي غالباً تعرف جواب هذا السؤال فيما بعد عندما تعبئه في الكيس).

أما في الزواج، فالمرأة تصبح صاحبة القرار، أو صاحبة السلطة، وكل الجمل التي ترددها تصبح تابعة من النظام القمعي الذي تفرضه على الزوج مثل: إيه اللي أخرك لحد دلوقت؟.. متقمع ومتشيك رايح على فين؟.. ريحتك بارفان.. كنت فين؟.. بابكي ليه؟ ح يكون مين السبب يعني غير أمك!

تطبيع العلاقة بينها وبينه

المرأة الشرقية ممنوعة منذ صباها من الحديث مع أي شاب وإلا أصبحت مقصوفة الرقبة، يعني الأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة هو أن تكون مقطوعة، الاستثناء هو أن تكون موصولة، فالرجل يستطيع أن يحيي رجلاً لا يعرفه في مقعد القطار فيرد تحيته، لكن المرأة لن ترد التحية أو تردها زغرة صامتة، وأجهزة الاستقبال عند المرأة تتلقى كلمات الرجل الذي لا تعرفه بتحفظ وتوجس، إذا قال لها: أنت جميلة.. قالت: أنت قليل الأدب، وإذا قال لها: يا قمر.. قالت: يا بوليس، وإذا عبر عن إعجابه رفعت حاجبًا وأنزلت آخر ورسمت تعبيرًا شهيرًا على وجهها معناه: سم يلهفك، فإذا ابتسمت المرأة لرجل لا تعرفه.. فهذه بداية علاقة طيبة، وإذا ردت تحيته فهذه بداية الوصال، وإذا تزوجته فهذه بداية القطيعة.

فتطبيع العلاقة بين الرجل والمرأة أمر في حكم المستحيل، وإذا بدأنا بأيام الحب والغرام وجدنا العلاقة غير طبيعية؛ لأن تصرفات الطرفين تمتزج فيها التنهيدات بالنظرات باللمسات بالأهات، ثم يخبو الغرام بعد شهر ويبدأ الشد والجذب، وهي علاقة غير طبيعية أيضًا لأن الأصل في العلاقة الطيبة هو الود وليس الشد والجذب، وبعد عشرين سنة زواج يتعذر تطبيع العلاقات بين الزوجين، فإن عشرين سنة كافية لكي تغرّ صدر الزوجة من شخص مزعج غير مسل، إذا تكلم شخط، وإذا تحدث ثار، وهو في أحسن حالاته أخرس بجم، ولا عجب بعد هذا كله أن تطلق عليه الزوجة بين صديقاتها أسماء مثل: الكبة، والهباب، واللي ما يتسمى.

كلهم من خامة واحدة!

تعتقد النساء أن الرجال مصنوعون من خامة واحدة، وهذا صحيح إلى حد كبير، رغم أن هناك قلة ضئيلة جدًا من الرجال تشذ عن الأغلبية فتبلغ عندهم نسبة البلاهة أمام المرأة ثمانين في المائة بدلاً من مائة في المائة.

والرجال ينقسمون إلى ثلاث فئات: الأعزب والأرمل والمتزوج، الأعزب يشير فضول المرأة كمدخل إلى الحب، بينما الأرمل يشير شفقتها، أما المتزوج فربما يشير تحديها لزوجته، أما الذي يشير اهتمامها البالغ في هؤلاء الثلاثة فهو المليونير.

والمرأة إذا أحببت وفشلت في حبها الأول أفسدت حياتها بالبحث عبثًا عن رجل له مواصفات الحبيب الأول، ولأن كل الرجال هم بضاعة جاهزة لهم مواصفات واحدة، فمن الصعب على امرأة أن تجد رجلًا «تفصيل»، له صفات خاصة ومثاليات محددة شكلاً وموضوعًا، ومثل هذا الرجل لا يوجد إلا في قصص الخيال العلمي.

والزواج يحتاج من جانب المرأة إلى تفهم لطبيعة الرجل، والرجل خلق وقد أسندت إليه مهمة المبادرة والاقتراب من المرأة لتأسيس العلاقة الأسرية، والرجل لا يستطيع أن يتخلص بسهولة من طبيعته كمطارد للمرأة، ولهذا قد يقع كفريسة للأخريات حتى بعد زواجه، ولهذا أيضًا يمكن القول بأن نزوات الرجل أقوى من إخلاصه، الأمر الذي يحتاج من الزوجة إلى الصبر والترويض الهادئ دون أن يبلغ بها اليأس إلى ترديد المثل الشعبي البليغ: «جوه وبره فرشت لك وانت مايل وإيه يعدلك»، وهذه الآفة في الرجل هي السبب في أن الزوجات لا يفكرن بشكل واحد إلا إذا تحدثن عن أزواجهن!

الزوج الخائن

الأزواج الخائنون - في رأيي - يخضعون لنفس تقسيم المجرمين الذي وضعه لامبروزو، فهناك زوج خائن بالطبيعة، وزوج خائن بالعادة، وزوج خائن بالصدفة، والأزواج بعد ذلك ينقسمون إلى قسمين: زوج خائن بالصدفة والأغلبية.

والزوج الخائن بالصدفة هو الذي سعت إليه الخيانة بغير جهد منه أو تدبير، والزوج الخائن بالعادة هو الذي يمارس الخيانة بعد السابقة الأولى التي جاءت بالصدفة، وهذا النوع من الأزواج يمكن إصلاحه بشيء من الصبر وضبط النفس والغفران، أما الزوج الخائن بالطبيعة فالمشكلة أن مظهره لا يدل على ذلك أبدًا، وهو عادة يتسم بالأدب واللطف والكياسة وحسن معاملة كل امرأة حتى ولو كانت زوجته!

فهل للزوج الخائن سمات أو ملامح يسهل معها معرفة أنه خائن؟ وهل صحيح ما يُقال إن الرجل ذا الحواجب الكثيفة عديم الإخلاص؟ نعم. إن الرجل ذا الحواجب الكثيفة خائن، والرجل ذا الحواجب الخفيفة أيضًا، وقد قيل كذلك إن الذقن المدبب في الرجل ينم عن جنوح للخيانة، كما اكتشفوا نفس الجنوح للخيانة في صاحب الذقن غير المدبب.

ومن سوء حظ الزوجات أن علم الفِرَاسَة أو «الفيزيو جنومي» لم يحدد ملامح أو صفات الرجل الخائن، لكن الزوجة يمكن أن تقول لزوجها: لقد اكتشفوا أن بوق أذن الرجل إذا كان خشن الملمس دلّ ذلك على خيانتة، وهنا سوف تمتد يده إلى أذنه بحركة لا شعورية، وهنا أيضًا يمكن للزوجة أن تتخذ الإجراء الأول، وهو شراء الكيس البلاستيك.

ماذا يرضيه في ملابسها؟

تضيق المرأة بالرجل الذي يحلم كثيرًا ولا يفعل شيئًا، الرجل الذي يحلم طول الوقت سيكون ترتيبه في مرحلة الغرام الأول مع مرتبة الشرف، أما في الزواج فترتيبه الأخير مع شدة القرف.

وتضيق المرأة بالرجل الذي يقيم في البيت ولا يغادره أبدًا، إنه كابوس يكتم على أنفاسها؛ لأنه مهما زالت الكلفة بين الاثنين فهي تحب أن يكون لها شيء من الخصوصية، تريد أن تتحرر من رقابته إذا زارتها صديقة، تريد أحاديث النميمة مع الجيران أو في التليفون، ثم إن الزوج يجب أن يخرج من البيت حتى يعطي لها الفرصة لتعلن رأيها القطران فيه. والمرأة تضيق بالرجل الذي لا يُبدي تساهلاً في ملابسها: الصدر مفتوح أكثر من اللازم.. ذيل الفستان قصير.. بلاش فتحة ذيل الجوب، والرجل الشرقي يرى أنه على حق في كل ذلك حتى لا تذهب زوجته مع موجات الموضة إلى آخر مدى، فإن مصممي الأزياء في العالم يتصارعون وراء رغبة المرأة في استعراض مفاتنها التي هي فخاخ لصيد الرجل، والمرأة في الغرب ترى مثلاً أن البكيني هو الحل العادل والشريف بين رغبة المرأة في العري ورغبة رجلها في سترها، والمرأة تضيق بالرجل الضعيف لأنها تبحث عن الأمان والحماية، وهي قد تحب الرجل الذي تسيطر عليه، فهي من أول خيوط العلاقة بينها وبين الرجل تدخل معه معركة السيطرة، لكنها تتمنى في أعماقها أن ينتصر الرجل عليها بجدارة؛ فالمرأة بداخلها ملكة وجارية، الملكة تريد السيطرة والجارية تريد الاستسلام، وقد تثور الملكة يومًا على ضعف الجارية فتأتي نهاية الرجل داخل كيس بلاستيك.

حديثها

لا توجد امرأة تافهة وأخرى محدثة ممتازة، بل توجد امرأة تعشقها فتجد في حديثها متعة الدنيا، وأخرى تحدثك فتكتشف أن المرأة لا تحتاج إلى أي موضوع لتحدث ثلاث ساعات متصلة.

والرجل لا يريد حديث دكتوراه من هارفارد أو أستاذة من السوربون، فإن «ريّان يا فجل» تقولها حبيبة القلب أروع كثيرًا عند العاشق من أي كلام له معنى، وحتى عظماء التاريخ من الزعماء والمفكرين ارتبطوا بنساء عاديّات، وأغلبهم كان قدره مع غانية متواضعة التفكير، والغانية - لغةً - هي مَنْ غنيت بحسنها وجمالها وليس بعقلها أو ثقافتها، ومعظم الرجال تستهويهم الغواني، ومهما خلا حديث المرأة من مضمون أو معنى فسوف يبقى دائمًا لحديث المرأة سحره الخاص، ويقول بلوتارك إن جمال كليوباترا لم يكن في حد ذاته رائعًا، ولكن أنوثة صوتها كانت من أبرز معالم جاذبيتها الداهمة، ويبقى حديث المرأة عذبًا ما بقي فيه دفء الأنوثة، ويبقى جذابًا وباهرًا ما بقي الحب، لكن تغيراتٍ قد تطرأ على حديث المرأة نتيجة للحياة تحت سقف واحد فيكتشف الرجل أن حديثها صار ردحًا.

ويختلف رد الفعل عند الرجل تجاه حديث المرأة باختلاف موقعها منه: إذا كانت الأم هي التي تتحدث فالإنصات واجب، وإذا كانت الحبيبة هي المتحدثة فالدنيا وما فيها، وإذا كانت الزوجة هي التي تتحدث فعلى الرجل أن ينصت باهتمامٍ استعدادًا للدفاع عن نفسه.

هي التي تختار له

اختيار شريك الحياة ليس مشكلة إذا كان الرجل وحده هو الذي يختار، كذلك لا يكفي أن يضع الإنسان - رجلاً أو امرأة - عينه على إنسان معين ينوي الزواج به لأنه على علاقة طيبة معه من بعيد لبعيد؛ إذ يمكن للرجل - أو المرأة - أن يحتفظ دائماً بعلاقة طيبة مع الطرف الثاني إذا تجنب كل منهما أن يحب الآخر أو يتزوجه.

واختيار شريك الحياة يخضع لمؤثرات مختلفة، فالإنسان عادة له نصف رأي في المحبوب وللأهل النصف الثاني، وفي نظر الأهل تختلف العروسة بنت الناس عن العروسة بنت أوناسيس، كذلك يختلف عندهم العريس ذو الدكتوراه عن العريس ذي المرسيدس؛ إذ يعتبرون الأول مواطناً من الدرجة الثانية.

ثم إنهم خدعوك فقالوا إن الرجل يختار شريكة حياته، الحقيقة أن الرجل دائماً يقع عليه الاختيار شريكاً للحياة، ولعله من غرائب كوكب البشر؛ لأن المرأة في حبها تغرق في الرومانسية لشوشتها بينما يكون الرجل متوازناً، وما إن تحين اللحظة الحاسمة لاختيار شريك الحياة حتى تتوارى الرومانسية وتنشط الغدد الاقتصادية والحسابية عند المرأة لتعمل بكفاءة عالية قد يجد معها المحبوب نفسه وقد أصبح محبوباً سابقاً، فاختيار الشريك هو اختيار اقتصادي في المقام الأول، حتى في قصص الحب التاريخية نجد ليلي مثلاً تموت صبابة في قيس لكنها تتزوج من ورد لأن «قيس» كان «صايح» بلا دخل، ومسز سمبسون أحبت إدوارد المليونير قبل أن يكون إدوارد الملك، وعلى أي حال فإن تاريخ المرأة يؤكد أنها تضع الحب في المقام الأول إذا كان الرجل غنياً.

احترس من الكلام العسل

المرأة تفضل كثيرًا الرجل المجرب اللعوب، ولأن الرجل يعرف ذلك فهو لا يكف عن التباهي برواية قصص وحكايات نسائية لم تحدث أبدًا.

والمرأة تحب الرجل المغامر وهي تسعى إلى أن توقع به أو على الأصح أن تتركه يوقع بها، وهذا يحدث باستمرار ويقال في ذلك: «ما يقع إلا الشاطر»؛ فالمغامرون دائمًا يقدمون على الزواج، وهو - كما هو معروف - يحتاج إلى روح المغامرة.

والرجل الذي يفتقد التجربة لا يشبع غرور المرأة، فالمرأة تسعد بالإيقاع بالرجل، لكنها تسعد أكثر بالانتصار على المرأة التي تنافسها فيه، وهي قد تجتهد في الاستيلاء على رجل لا تحبه لمجرد أن تسم بدن امرأة أخرى وتثبت لها أنها الأجل والأشد جاذبية والأكثر أنوثة، فالحقيقة أن هناك شخصًا يتغلب دائمًا على المرأة: امرأة أخرى.

والمرأة قد تلفظ الرجل الذي يحبها بإخلاص، وتؤثر على الرجل الذي يسعدها بما تريد سماعه عن جمالها، ولذلك فإن الكذابين والنصابين لهم حظوة كبيرة عند النساء، وعندما تكون المرأة ناضجة مثلًا فالرجل الساذج يقسم بعينها، أما الرجل المجرب فيقسم بشبابها، فسن الثلاثين هي السن التي تتباهى بها المرأة الناضجة خصوصًا عندما تكون في الأربعين.

وسر شقاء المرأة في حياتها العاطفية عمومًا أنها تنجذب إلى أصحاب الكلمة المعسولة من الأفاقين والنصابين، ودون جوان مثلًا هو رمز للرجل الذي يغزو قلب المرأة، وهو شخصية أسطورية لرجل سافل يغرر بالنساء، فقد

ظهرت هذه الشخصية في أعمال برنارد شو، ومولير، وبلزاك، وبايرون، كما كان هذا «الدون» بطلاً لأوبرا موزار «دون جيوفاني»، كذلك كان كازانوفا من أخط الرجال أخلاقاً، كان جاسوساً، ومقامراً، ونصاباً دولياً، ومتعشاً من النساء، ومعبود النساء أيضاً!

فالمراة لا تسعد كثيراً بالرجل الذي لا يثير تحدياتها تجاه الآخرين، إن الزوجة مثلاً تتوق إلى معرفة أين يذهب زوجها خارج البيت، وعندما تعرف على وجه اليقين أنه يقضي وقتاً بريئاً فهي تقول عنه إنه «زي القرش الماسح» لا أحد يرضى به.



الزعيمة وعقدة الرجل

المرأة الجميلة ليست في حاجة إلى مناقشة بيزنطية تخوضها مع الرجل باسم حقوق المرأة، الجمال في حد ذاته أقوى منطق، والمرأة الجميلة تحصل على كل ما تريد من تنازلات بابتسامة ونظرة عين، بعكس الزعيمة النسائية التي تلجأ إلى النقاش والصراخ والفسفسطة؛ لأنها غالبًا وخشّة، فهناك شبه إجماع من علماء النفس على أن زعيمات التحرر النسائي يعانين عقدة الرجل، فكل منهن كانت تتمنى أن تولد رجلًا؛ لأنها ترى في الأنوثة مهانة، وإذا قررت الزواج اختارت رجلًا ضعيفًا لتصبح هي زوجة بشنب.

وبسبب هذه العقدة تعمل زعيمات التحرر في العالم على إفساد العلاقة بين الجميلات وبين الرجل، فأفسدن أنوثة المرأة بالاسترجال والعنف، وساد العالم نموذج الفتاة التي تلبس البنطلون الجينز والحذاء الكاوتش المعفن وفي السهرة قميصًا ببايون على بنطلون، واتسمت معاملاتها مع الرجل بالتحدي، حتى أن صيحة نسائية جديدة بدأت ترتفع وتحمل شعار: «يف لا ديفيرانس»، أي يحيا عدم المساواة بين الجنسين، حيث يعامل الرجل المرأة كملكة، وأميرة، وهانم دلوعة، وحيث الفرصة أكبر أمام المرأة للضحك عليه، لكن زعيمات التحرر يقاومن هذا الشعار ويؤكدن أن الجنس البشري ينقسم إلى قسمين: النساء.. والأشرار!

ولأن الرجال أشرار فزعيمات النساء يحذرن من الرجال بقولهن: إذا غازلت رجلاً خاف من جرأتك، وإذا لم تعيريه اهتمامًا انصرف عنك، وإذا ارتديت ثيابًا تكشف عن جمالك تردد في الخروج معك، وإذا ارتديت ثيابًا محتشمة ظل طوال

الوقت يحملق في صاحبات الفساتين العارضة، وإذا كنتِ من النوع المحافظ شك
في عقلك، وإذا كنتِ متحررة شك في عواطفك، وإذا كنتِ جادة اشتاق إلى امرأة
لعوب، وإذا كنتِ لعوبًا اشتعل غيرة، وإذا رفضتِ الزواج منه هدد بالانتحار، وإذا
تزوجتِ هدد بالانتحار، وإذا أسعدتِه فلا حمد منه ولا جميلة، وإذا لم تسعديه
شكا لطوب الأرض، والخلاصة أن الرجل مخلوق لا يُعاشر، مجنون مغرور
مختل.



هل انتهى حبك لها؟

إذا كنت لا تعرف هل شفيت من حبها أم لا، فإليك هذه الأعراض التي تتاب الإنسان في الحب، وعند انحسار الحب:

1- في الحب: يعتقد كل واحد أن ربنا أكرمه وعثر على الإنسان الذي ينفرد عن باقي البشر في كماله.

في انحسار الحب: يعتقد أن ربنا أكرمه واكتشف حقيقة الطرف الآخر الذي ينفرد عن باقي البشر في ندالته.

2- في الحب: الشعور بالندم لأنه لم يقابل الطرف الآخر من زمن طويل.
في انحسار الحب: الشعور بالندم فقط.

3- في الحب: يعتقد أنها أغلى ما في الدنيا.

في انحسار الحب: يعتقد أن أغلى ما فيها خاتم الشبكة الذي أهدها لها.

4- في الحب: يتحدث كل طرف مشيدًا بالطرف الآخر.

في انحسار الحب: يتحدث كل طرف مشيدًا بنفسه.

5- في الحب: يرى أنها أجمل امرأة في الدنيا.

في انحسار الحب: يحيره كثيرًا أين كانت تخفي هذا الأنف الضخم.

6- في الحب: ينتظر اللقاء على أحر من الجمر.

في انحسار الحب: ينتظر نهاية اللقاء على أحر من الجمر ليذهب إلى الأخرى.

7- في الحب: الرجل الذي يطاردها يثير غيرته.

في انحسار الحب: الرجل الذي يطاردها يثير شففته.

8- في الحب: يرى كل طرف أن عيوب الآخر جميلة جمال مزاياه.

في انحسار الحب: يضطر - أمام عيوب الآخر - إلى تقديم بلاغ بالسرقة.

9- في الحب: يمسح شعرها بحنان ويكتشف ملمس الحرير.

في انحسار الحب: يمسح شعرها ويكتشف أنه باروكة.

10- في الحب: يردد كل طرف للآخر: أنا شاريك.

في انحسار الحب: يكتشف أنه اشترى الترمي.



وَعُودُ الرَّهْوَى

وَعُودُ الْحُبِّ هِيَ الْحُبُّ نَفْسَهُ، فَهِيَ خِيوطُ أُسَاسِيَّةٍ فِي نَسِجِهِ، وَمِنْ أَوْهَامِهِ الْجَمِيلَةِ تَنْسِجُ الْأَوْهَامَ، وَوَعُودُ الْحُبِّ بَعْضُهَا رُومَانَسِيٌّ وَمَعْظَمُهَا مَادِيٌّ؛ فَالْمَرْأَةُ تَحُبُّ الْفُلُوسَ وَالْجُوهَرَ وَالْمَلَابِسَ وَالْحَيَاةَ الْبَاهِرَةَ، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْغَانِيَةَ تَفْضَلُ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ: الْخَنْزِيرَةَ الْمَرْسِيدَسَ فِي الْجِرَاجِ، وَالْمِنِكَ حَوْلَ أَكْتَاغِهَا، وَالثَّعْبَانَ الذَّهَبِيَّ حَوْلَ مَعْصَمِهَا، وَالْحَمَارَ الَّذِي يَتَكْفَلُ بِكُلِّ هَذِهِ النِّفَقَاتِ.

وَمَنْ سَحَرَ الْحُبُّ أَنَّهُ يَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ قَابِلًا لِلتَّصْدِيقِ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ لَا يَعْرِفُ الْمُسْتَحِيلَ، وَنَظَرًا لِأَنَّ الرَّجُلَ يَبْحَثُ عَنِ كَافَةِ السَّبِيلِ لِجَلْبِ رِضَى أَنْثَاهُ فَهُوَ فِي سَكْرَةِ الْحُبِّ يَبْذُلُ الْوَعُودَ الْمَادِيَّةَ، وَإِذَا قَالَ لَهَا: «اصْبِرِي يَا حَيَاتِي وَأَنَا أَجْبِيلُكَ مَالِ قَارُونَ»، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْقُقَ هَذَا الْوَعْدَ مَعَ الْوُقُوفِ أَمَامَ رَئِيسِ نِيَابَةِ الْمَخْدِرَاتِ.

وَوَعُودُ الْحُبِّ نَادِرَةٌ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهَا تَكْتَلِفُ الرَّجُلَ كَثِيرًا، وَأَحْيَانًا تَكْتَلِفُهُ عَمْرَهُ كَالزَّوْاجِ، وَعِنْدَمَا قَالَ مَلِكُ بَرِيطَانِيَا لِمَسْزِ سَمْبَسُونِ: سَوْفَ أَتَنَازَلُ عَنِ الْعَرْشِ لِأَتَزَوِّجَكَ، كَانَ تَحْقِيقُ وَعْدِهِ بِالتَّأَكِيدِ شَيْئًا مِثْرًا لِسَعَادَتِهَا، وَكَانَ بِالتَّأَكِيدِ أَيْضًا شَيْئًا مِثْرًا لِعُضْبِهَا عِنْدَمَا كَانَ يَرُدُّ فِي الْبَيْتِ: أَنَا تَنَازَلْتُ عَنِ الْعَرْشِ مِنْ أَجْلِكَ (فِي خَنَاقَاتِ الزَّوْاجِ).

وَيَجْدُرُ بِالْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ أَنْ تَتَلَقَّى الْوَعْدَ الْجَمِيلَ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّحْفِظِ، بِاعْتِبَارِهِ مَجْرَدُ هِذْيَانٍ فِي سَكْرَةِ الْغَرَامِ، فَإِذَا قَالَ عَاشِقٌ لِحَبِيبَتِهِ: أَبْنِي لَكَ قَصْرَ عَالِيٍّ وَاخْطَفْ نَجْمَ اللَّيَالِي، فَمَنْ السِّدَّاجَةُ أَنْ تَسْأَلَهُ هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ كَانَ قَدْ تَعَاقَدَ مَعَ

المهندس الذي سيبني القصر العالي، أو تستفسر منه عن الخطوات التي اتخذها
مع وكالات الفضاء ليخطف نجم الليالي.

وفي وعود الحب تنتشر هدايا العيون: «خُذ عني واعطف عليا»، و«خذي
عيني مني وقابليني»، فلا شك أنها سوف تكون في منتهى التخلف العقلي إذا
تصورت أنه سينصرف من الرانديفو بعين واحدة.



الاستقرار

لماذا يُقال عن الزواج إنه استقرار؟

لأن كلاً من الطرفين يستقر نفسيًا بعد اختيار شريك الحياة بشكل نهائي، ويبدأ كلُّ منهما مرحلة التفكير بهدوء ليحصي أخطاء هذا الاختيار.

ولأن كلاً منهما يستقر على رأي، وهو أن يؤهل نفسه لمعاشرة إنسان من الصعب التكيف معه بسهولة لاكتشاف حقائق جديدة كانت خافية أيام الغرام والتنهيدات، فيروض كلُّ منهما نفسه للتعايش مع الآخر راضيًا بتقديم بعض التنازلات، ثم قد لا يلتقيان في كل النقاط وقد لا يلتقيان إلا في نقطة الشرطة.

ولأن الرجل ينزع غالبًا إلى الحكمة والتعقل، فإن الأمر ينتهي به عادة إلى تقديم كل التنازلات مؤمنًا بالحكمة الماثورة: «جارهم ما دمت في جوارهم، وارضهم ما دمت في أرضهم، ودارهم ما دمت في دارهم» (لأن الشقة من حق الزوجة).

الفعل «قر» تعتبر مشتقاته قوية الصلة بالزواج، ومنها «استقر» الرجل استقرارًا، أي انتهى به المطاف لاهثًا في مقر الزوجية بعد أن ظل يطاردها حتى أوقعت به، وزمان كانت صورة الزفاف تظهر فيها العروس واقفة والعريس جالسًا تعبيرًا عن أنه «سي السيد» التي تقف هي له احترامًا في حضوره، وقد تغير هذا المفهوم تمامًا فأصبحت صورة الزفاف الحديثة تمثلهما وهما جالسان معًا في الكوشة تعبيرًا عن أنه جلس ليسترخ بعد الجري وراءها، بينما هي جالسة تستجمع أنفاسها لتجري وراءه في البيت.

الفعل «قر» اشتق منه أيضًا قرقر، يقرقر، قرقرة، والقرقرة تحدث عندما يواجه الزوج موقفًا عسيرًا أمام الزوجة، والقرقرة لغة هي صوت البطن عند حدوث الخوف.

ومن الفعل قر يُقال في شهر العسل: فلان قر عينًا بعروسه، وفلانة قرت عينًا بعريسها، فكل منهما قرير العين، أي بارد العين؛ لأن العرب كانوا يقولون إن للحزن دمة حارة ودمة باردة، وبعد ذلك لا يُقال إن كلاً منهما قرَّ عينًا بالآخر، بل يُقال طلعت عينه والله أعلم.



حتى برنارد شو!

الملل مرحلة يصل إليها الطرفان عندما يخبو لهيب الغرام وتتبدد متعة الفضول ويتم اكتشاف كل منهما للآخر، فلا هي مندهشة ولا هو مبهور ولا حول ولا قوة إلا بالله، والملل أحد شعورين يتتابان الإنسان المتزوج، فهو إما أن يشعر بالملل أو يشعر بالرغبة في الخناق، والطرف الذي يختار الخناق يحسن الاختيار لأنه بذلك يبدد ملل الطرفين، ففي الخناق الإثارة والجديد (خصوصًا الألفاظ المتبادلة).

والمثل سببه أنا وأنت وهو وكل رجل، فالرجل ممل لأنه روتيني بفطرته بعكس المرأة المحبة دائمًا للتجديد والتجديد (راجع موضوعاتها وحواجبها)، والرجل دائمًا في بيت زوجية أخرس. عاهة زوجية، وإذا تكلم فلا جديد.. فهو لا يتقن النم ورواية التفاصيل المثيرة، وحديثه لا يخرج عن لعن مديره الحمار أو التباهي ببطولات لم تحدث، حتى الرجل ذو الحديث الساحر برنارد شو كانت زوجته السيدة شارلوت تسمعه يحدث الآخرين بحكايات سمعتها مئات المرات، فكانت تتظاهر - كما قالت - بالانهماك في شغل الصوف حتى تقاوم رغبة عنيفة في سد فمه وخنقه، ومهما كان الأمر، كان الملل - على سخافته - نوعًا من الترف النفسي، ذلك أن الإنسان لا يشعر أبدًا بالملل إذا انهمك في العمل أو واجه مشكلة حادة، فكل مسلسلات المحن والمصائب التي يمر بها الإنسان طاردة للملل ما عدا مسلسل الزواج.

ولأن الرجل روتيني بطبعه فإن المرأة أكثر إحساسًا بوطأة الملل، ويمكن كسر الملل من حين لآخر بإحداث الدهشة البالغة عند الزوجة لدرجة أنها تعتقد أن

زوجها قد جُن في رأسه (مثال ذلك أن يقول لها أحبك) لكن الممل على أي حال لا يخلو من فوائد، فهو مفيد جداً من الناحية الصحية؛ إذ يجعل الإنسان ينفخ بشدة، وهذا النفخ يساعد على تفريغ وتنظيف الرئتين من ثاني أكسيد الكربون.



عالم من الذئاب!

الرجل ليس على الصورة التي تتوهمها كل امرأة بلا تجارب، لقد حدثت - منذ أجيال بعيدة - تغذية سيئة لمشاعر المرأة العربية تجاه الرجل؛ إذ دأبت الأم على تطعيم ابنتها الصغيرة بدروس توعية محورها أن الرجل يشكل خطرًا داهمًا على شرفها وسمعتها ومستقبلها، والأم تعطي في مواعظها أحكامًا مطلقة على الرجال، فليس فيهم طيبون، كلهم ذئاب، وهكذا تولد العلاقة السيئة بين الرجل والمرأة قبل أن تبدأ، والغريب أن البنت الصغيرة التي تتلقى هذه الصورة القائمة لا يسمح لها سنها بقوة الملاحظة فتقارن بين ما تقوله أمها وبين ما أصبح عليه والدها من وداعة واستئناس وملاحم مذعورة بلا سبب.

والنتيجة في النهاية انعدام الثقة تجاه الرجل والشعور بالخطر الدائم في مواجهته مع التوتر المستمر والاعتقاد الدائم بأنها موضع مؤامراته، ولذلك يمكن أن يُقال إن المرأة الشرقية مصابة بالبارانويا في علاقتها بالرجل، والبارانويا هي جنون الارتياب والشعور الوهمي بالاضطهاد، ونظرة إلى أي مجتمع أو حفل يضم رجالًا ونساءً، نجد النساء - بسلوك لا شعوري - يجلسن إلى جوار بعضهن بعضًا، وكأنما يحتشدن في مواجهة عدو مشترك، الذي هو «الكبة»، والكبة هو الاسم الحركي للرجل عند المرأة عمومًا والزوجة خصوصًا، وهي كلمة كانت تطلق زمان على الطاعون!

وما دامت مواعظ الأم الشرقية للبنت قائمة، فسوف يظل الرجل - في نظر كل بنت - لغمًا في طريقها يمكن أن يدمر حياتها، وهي عندما يكتمل نضجها

تتصرف مع هذا اللغم كخبير مفرقات، تدور حوله وتقترب منه بحذر وتحاول
أن تلتمس سبل الأمان إليه، لكن الخوف دائماً يغلبها، وقد ينتهي خوفها المستمر
من هذا اللغم إلى نسفه والتخلص منه، وكم من ألغام عبأتها الأيدي الناعمة في
أكياس بلاستيك!



المرأة رئيسة

إن الذين يزعمون أن المرأة لا تصلح لإدارة عمل بحزم لأنها تعجز عن التجرد من عواطفها وضعفها هم قوم سذج؛ فالمرأة تستطيع أن تكون رئيسة إدارة جادة ومنصفة وتزن الأمور بمقياس دقيق وتتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب وفي نفس الوقت بشوشة الوجه لا تشخط ولا تنظر، فالعمل تحت رئاسة المرأة يحمل كل هذه الميزات، والرجل طول عمره يعمل تحت رئاسة المرأة، فهو تحت رئاستها طفلاً رضيعاً في حجر الأم، وتلميذاً في الروضة في حمى «الأبلة»، ومراهقاً مبهوراً ببنت الجيران، وشاباً يريد دخول الدنيا، وزوجاً دخل الآخرة، ولا عجب في أن تحسن المرأة إدارة عمل؛ فهي بحكم استعدادها كربة بيت نراها موهوبة بالفطرة في فن الإدارة، كما أنها أكثر مقدرة من الرجل في علاج المشاكل خصوصاً الاقتصادية، وإذا قيل إن المرأة مبذرة فهذا غير صحيح، فقد ثبت أن المرأة تحرص على المال الذي تكسبه من عملها، لكنها تبذر وتبعثر في أموال الزوج، لا لمجرد الرغبة في التبذير، ولكن لاعتبارات متعلقة بأمنها الشخصي وطبقاً لقواعد الأمن والسلامة الموروثة عن جدتها، مثل: قصص طيرك لا يلف بغيرك، ويا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال، وبالنسبة للمعاملة مع الآخرين فالمرأة أقدر على التفاهم بالسياسة والحيلة والقدرة على المناورة والإقناع (راجع قصة قطف التفاحة في الجنة)، ثم إن وجه المرأة - رئيسة أو غير رئيسة - بشوش دائماً، فما الذي يجعل رئيستك تطالعك بوجه متوتر الملامح ما دمت لست زوجها؟ وفيما عدا عاطفة الأمومة، فإن المرأة تستطيع بسهولة أن تتجرد من عواطفها، وأن تأتي أعمالاً يعجز الرجل عن إتيانها، كالسيدة تاتشر والسيداتان ريا وسكينة، وبالمناسبة يتصور الكثيرون

أن السيدة تاتشر هي اختراع جديد من النساء، أبدًا.. فالتاريخ مليء بالسيدات الحديديات، ذلك أن كل امرأة تتوافر لها ظروف السلطة والقيادة نراها لا تجنح إلى ممارسة القوة وأحيانًا القمع لتغطية إحساسها بالضعف من ناحية التركيب الجسماني ودفعًا لاعتقاد الآخرين بأنها مخلوقة هشة، وقد ثبت أن عقلية المرأة تتميز بعمق الإدراك، يساندها في ذلك جهاز عصبي أقوى وأشد متانة من جهاز الرجل، والطريقة التي تفكر بها سيدة مثل أجاثا كريستي في كيفية ارتكاب الجريمة وإلقاء الغموض والظلال على الشخص، تكشف عما تتمتع به عقلية المرأة من القدرة على التخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم. والخلاصة أن الرجل لم يعد السوبرمان المنفرد بالعقل الذي يحسن فن التفكير، بل إن هناك مؤشرات مؤسفة يحملها العصر وتدل على تردي مخ الرجل والإتيان بأعمال عقلية شائنة مثل المسلسلات وتمثيلات السهرة.



في أدب المناقشات

يجب أن تكون متسامحًا مع زوجتك، فمما يعقد الأمور كثيرًا تمسك الزوج بكرامته.

إذا كان لا بد من التفاهم حول موضوعات أسرية مهمة فليكن ذلك بينك وبينها في غرفة مغلقة حتى لا تضيع هيبتك أمام الأولاد.

ابتعد عن المناقشات الودية، فكل المناقشات بعد الزواج تعتبر - من وجهة نظر الزوجة - عدائية.

في مناقشة الخلافات الزوج المهذب لا ينطق العيب أبدًا، أما الزوج العاقل فلا ينطق إطلاقًا.

امتدح مهارتها في طهو الطعام؛ فأنت تعلم أنها اشترته جاهزًا من السوق.
الوردة التي كنت تحملها إليها من وقت لآخر أيام الحب تفقد رومانسيتها بعد الزواج، وسوف يسعدك كثيرًا أن تقدم لها بدلًا من الوردة ورقة بنكنوت.
احترس من أن تقع في مصيدة التناقض خلال أحاديثك معها، فاحتفظ في عملك بمفكرة صغيرة تدون فيها أكاذيبك عليها أولاً بأول.
انتهاز فرصة غيابها في الخارج هي والأولاد لكي تأخذ راحتك في البكاء.

فهرس

5	إهداء.....
7	مقدمة: صحيفة سوابق الحب.....
8	الغيرة.....
10	وفسد الحب!.....
12	.. والخجل.....
13	سي السيد.....
14	الحرب.....
16	... الأخریات؟.....
18	أبو لمعة.....
19	وللحب أعراض.....
20	الرومانسية.....
22	وفر نصيحتك.....
24	الاسترجال.....
26	الغواني.....

27 الترويض
29 اغتيال الحب
30 اللغز
31 إذن أنت زوج
32 المفاتن
34 الملل
36 الجنون
38 دموعه ودموعها
39 وعكة الحب
40 شروط الحب
41 ماذا جرى له؟
42 هي وهو وعلم الحساب
44 الملكة والجارية
45 المرأة والذئب
46 ماذا جرى لغيرة الرجل؟
47 هل هي لغز؟
48 هل تحب رئيسك؟
50 اعرف موقعك عندها

- 51 قلب المرأة؟
- 52 ليتني كنت فأراً
- 53 كم يكفيها في الشهر؟
- 54 هل الحب دموع؟
- 56 الخصوصية
- 57 المرأة والخيانة
- 59 أوهام الهوى
- 60 كيف يأتي الملل؟
- 61 المهر الغالي
- 63 السلطة لمن؟
- 65 أكذوبة مشهورة
- 66 حرب الرئيسات
- 67 هناك فرق
- 68 المرأة أقوى دائماً
- 69 قبر الحب
- 70 هل الكذب ضرورة؟
- 71 العرض والطلب
- 72 بروتوكول للرومانسية!

74 الحب العذري
75 فلوسك
77 إلا الخطوبة
78 يفضلنه خائنا
79 الحب والخبز
80 الحبيب النموذجي
82 وفاة الحب!
83 النجاة من الأم
84 المرأة: ملكة الحب!
85 كيدهن عظيم
86 متهم حتى تثبت براءته
87 العش والفندق
88 الحب قوة قاهرة
89 يا مآمنة للرجال
90 المسترجلة
91 المرأة والهدف
92 هل هو خبيث الرجل؟
94 الاغتصاب الشرعي

96 شركة لها شروط
98 أقنعة الحب
99 أنت في حالة زواج
100 مخه تخين
101 أعداء المرأة
102 وللحب مراحل
103 ملكة العشق
105 أحبك!
107 عاصمة الرجل
109 في التشريح؟
111 سندريلا.. والزوجة
113 ضرب الأزواج
114 المرأة مفتاح العلاقة
115 المرأة تختار بحكمة
116 في المناقشات معها
117 حرب الأمثال
119 العشق إدمان!
121 متهم إلى الأبد!

122	ابحث عن نفسك بين أصابعها
123	الحب يعطل عقلك
124	الثقة المفقودة
125	رادار المرأة!
126	الأمومة والرومانسية
127	ماذا يعجبك في الرجل؟
129	علاقة متوترة دائماً
130	عصر العناكب!
132	قمة ضعفها = قمة قوتها
133	الحبيبة رقم «1»!
134	معركة للسيطرة
135	كلمة السر: الحنان
136	الدروس السابقة!
137	أريد حلًا!
138	الرجل صرصار
139	أعياد في أعياد
141	الدكتوراه تساوي تفيدة بنجر
143	أساتذة معاملتها

144 الحب واللا حب!
146 مواطن درجة ثالثة
147 تحت سقف واحد
148 الرجل والفسطان
150 ويزعمون!
152 التفكير الخنفشاري!
154 متى تسلم قلبها؟
155 التنازلات
157 قدرة الحب
158 والصبر على المتاعب
159 ليلة الزفاف
160 اللجوء إلى حضنها
161 نهاية عهد الهمس
162 العواذل!
163 وهناك فرق!
164 اختبري حبك
165 ملاك رغم أنفه
166 أجمل الأكاذيب

167والغيرة أنواع
168بكيدهن عليم
169كلمني شكرًا!
170الحب وعمره
171دموع الحب
173ولغة الحواجب!
175في بورصة الحب
177التفرغ للحب
178يا لبطولته!
179الشريك المخالف
181خطيبته معفرة بالتراب!
183حرب الكلمات المأثورة
185المرأة فن
187لغة المرأة
189المرأة حياة
191بعيد بعيد أنا وأنت
192قولِّي أحبك قول!
194الهوى آه منه الهوى

196	خيانة الرجل
197	الغيرة كضغط الدم!
198	مَنْ عدو مَنْ؟
199	من خلف ظهره
200	الأم.. وعقدها النفسية
202	حواء والحية؟
204	القرار عنده وعندها
206	الحب لا يعترف بالسن
207	قاسم السماوي والعشاق
209	رأسك يا جوليت
210	احترس من جوربك!
211	نظارة الحب!
213	الزواج هدفها دائماً
214	المهنة؟
216	قدرة المرأة
217	حتى روميل تغلب الصحراء
218	دموعها!
219	الطرف القوي والأقوى

220 نهاية الحب!
221 المصابون بالحول!
222 وتأتي النهاية
224 تبادل التنازلات
225 الأهل!
227 يفضلونها هبلة!
228 أنت أول واحد!
229 تطبيع العلاقة بينها وبينه
230 كلهم من خامة واحدة؟
231 الزوج الخائن
232 ماذا يرضيه في ملابسها؟
233 حديثها
234 هي التي تختارك
235 احترس من الكلام العسل
237 الزعيمة وعقدة الرجل
239 هل انتهى حبك لها؟
241 وعود الهوى
243 الاستقرار

245 حتى برناردشوا!
247 عالم من الذئاب!
249 المرأة رئيسة
251 في أدب المناقشات
